الدكتور سيد عويس

نظرات باحث علمي اجتماعي مصري

الكتاب الذهبي
يناير ١٩٨٨

مكتبة روز اليوسف

الاشراف الفنى : ماری میخائیل

الإهداء

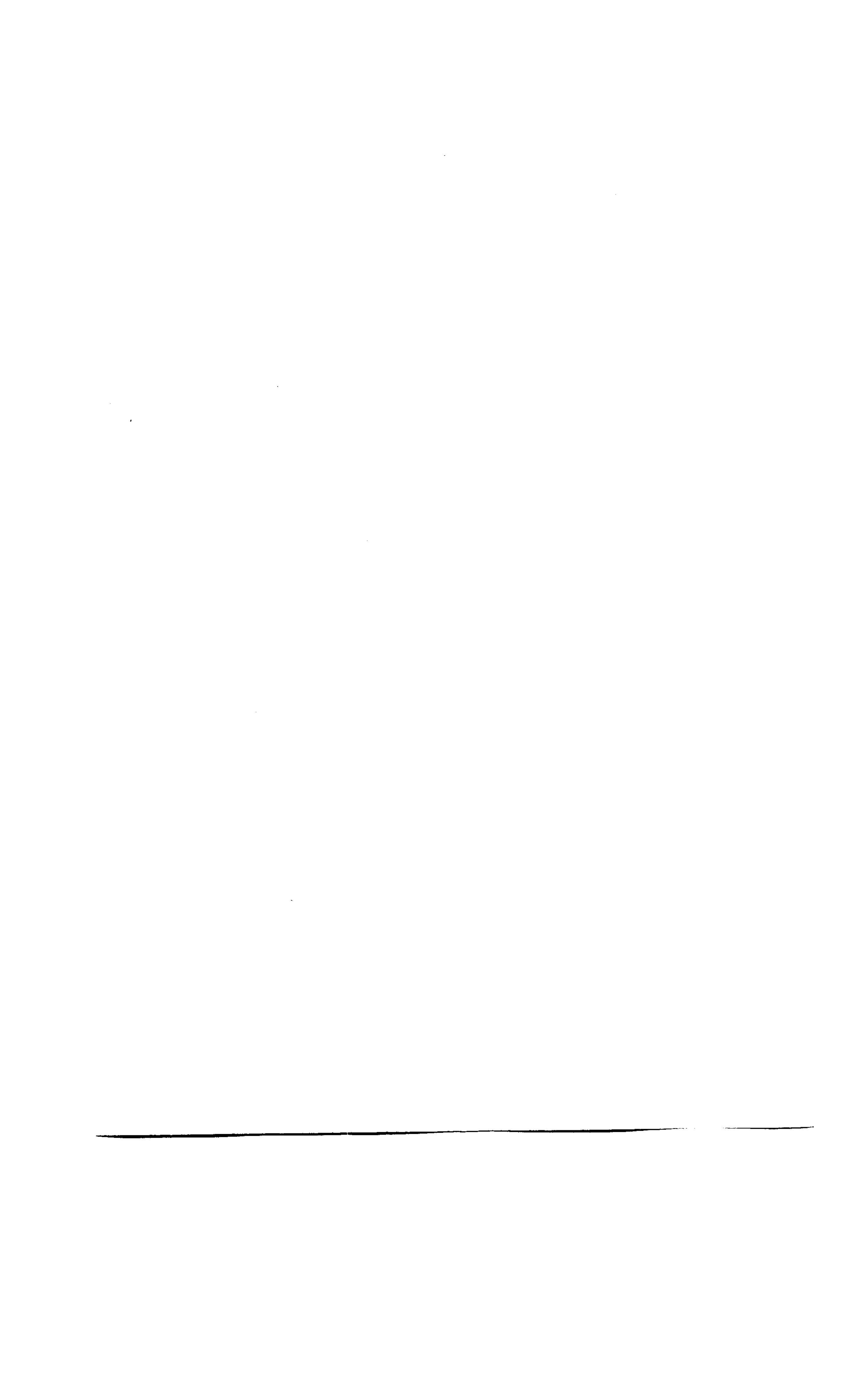
الى الكادحين من اعضاء المجتمع المصرى المعاصر ..

نكورا كانوا أو اناثا ..

اهدى الكتــاب الحــالى ..

راجيا لهم جميعا المستقبل المشرق والعزة والمنعة .

ســيد عويس





المحتويات

الموضـــوعات	رقم الصفحة
ـ الاهـــداء	٥
ـ المحتويات	٦ ـ ٧
ـ المقـــدمة	٩ ـ ١٧
اولا : نظرات الى مفهـــوم العلم ومفهـوم البحث العلمى الاجتماعى	١٩
● النظرة الى مفهوم العلم	٢٠ ـ ٣٠
● النظرة الى نشأة مهنة البحث العلمى الاجتماعى	٣٠ ـ ٤٥
ثانيا : نظرات الى حياة الانسان المصرى المعاصر . . .	٤٧
● النظرة الى المجتمع المصرى المعاصر . .	٤٨ ـ ٥٤
● النظرة الى مفهوم الشخصية المصرية . .	٥٥ ـ ٦٤
● النظرة الى قدم المجتمع واستمراره . .	٦٤ ـ ٧٢
● النظرة الى ظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى	٧٢ ـ ٨٥

الموضـــوعات	رقم الصفحة
● النظرة الى بعض العوامل الثقـــافية المعـوقة للتغيير الاجتماعى	٨٥ ـ ٩٨
ثالثا : نظرات الى حياة المرأة المصرية	٩٩
● النظرة الى مكـــان المرأة المصرية ومكـــانتها الاجتماعية	١٠٠ ـ ١١٣
● النظـــرة الى تكوين الاسرة المصرية بأنواعها ووظائفها الثقافية والاجتماعية	١١٧ ـ ١٤٢
رابعا : نظرات الى حياة الشباب فى مصر	١٤٣
● النظرة الى قضايا الشـباب فى مصر . .	١٤٤ ـ ١٥٢
● النظرة الى القيم الاجتماعية وعلاقتها بظاهرة الوطنية	١٥٢ ـ ١٦٢
● النظرة الى الأزمة الاقتصادية وموقف الشباب المصرى منهـــا	١٦٢ ـ ١٦٥
● النظرة الى ظاهرة العصـــبية وظاهرة التعصب فى مجتمعنا	١٦٥ ـ ١٦٩
● النظرة الى مكـانة الادمان على المخدرات فى محيط الشباب المصرى	١٦٩ ـ ١٧٦
● النظرة الى مشروع خطة عمل ثقـافى اجتماعى رياضى لاسهام المؤسسات الاجتماعية فى تربية الشباب فى محافظة القاهرة	١٧٧ ـ ١٨٧
ـ خاتمـــة	١٨٨ ـ ١٩٠

المقدمة

ارجو ان يغفر لى القارىء الكريم لأننى استعرت عنوان أحد كتب المغفور له الأديب الفنان « مصطفى لطفى المنفلوطى » الذى قرأته عندما كنت يافعا ، أى منذ أكثر من خمسين عاما ، ومازلت أعود اليه من حين الى حين وقد بلغت سن الشيخوخة ٠ صحيح لقد كان المنفلوطى **أديبا فنانا** وكتب كتابه المشار اليه فى هذا الضوء ، وانا أكتب « نظراتى » « فى ضوء كونى باحثا علميا اجتماعيا » ، ولكننى أرى أن ما هدف اليه ذلك الأديب الفنان فى ضوء ظروف العصر الذى ولد فيه وعاش لا يختلف كثيرا عما اهدف اليه فى ضوء ظروف عصرنا المعاصر العصرى ٠ فالهدف هو هو ، أقصد ان يعى القارىء أدبيا وفنيا ما يجب ان يكون عليه المجتمع المصرى وذلك بأن يستنير اعضاؤه بما كتب ٠ ذلك فى حالة الأستاذ المغفور له مصطفى لطفى المنفلوطى ٠ وهدفى من كتابة نظراتى **هو نفس الهدف** وان استخدمت اسلوب الباحث العلمى الاجتماعى ، اى وان **أكدت على سيادة العلم الحديث والتكنولوجيا** الحديثة وبخاصة ونحن سنواجه فى القريب القريب القرن الواحد والعشرين ، عصر الحضارة العالمية ٠

وارجو ثانيا أن يعلم القارىء الكريم بأننى فى الكتاب الحالى لم ارغب ابدا فى ان اغلب مهنة البحث العلمى الاجتماعى فى ضوء مبادئها وشعاراتها وآدابها ، فانا قد بدأت فى مجال عملى بتطبيق أحد فروع مهنة **الخدمة الاجتماعية ، فكنت أول اخصائى اجتماعى محترف** فى ميدان خدمة الجماعة منذ حوالى خمسين عاما ، واننى اذ افخر بهذه البداية واعتز بها اعتزازا كبيرا ، لا يمكن أن انسى أو اتناسى موضوعات الكتاب الحالى عن « نظرات الى مفهوم العلم ومفهوم البحث العلمى الاجتماعى » ، فقد

مكثت أعمل فى هذا الميدان منذ اكثر من ثلاثين عاما • وكنت فى نفس الوقت أعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية متطوعا منذ عام ١٩٤٧ وحتى هـــذه اللحظة ، لحظة كتابة هذه السطور •

وأرجو ثالثا أن تكون فى الكتـاب الحالى الدروس الموضوعية لمـــن يأتى من بعدى سواء من يتخذ « ميادين مهنـــة الخدمة الاجتماعيـــــة » أو « ميادين مهنة البحث العلمى الاجتماعى » موقعا لعمله • لقد كرســـت حياتى من أجل هاتين المهنتين ، وقمت ، مع غيرى من العـــاملين الجادين المخلصين فى معظم هذه الميادين ، بكل نشاطاتى فيها مؤديا واجبى نحـــو مصرنا الخالدة بشرف • وآمالى التى أرنو اليها وأرجو ان تتحقق •• ان تزدهر مهنة الخدمة الاجتماعية فى المجتمع المصرى ازدهارا تســـتحقه عن جدارة ويستحقه هذا المجتمع عن جدارة أيضا على الرغم من أن القليل من بعض المتخصصين فى علم الاجتماع لا يزالون لا يعترفون بهـذه المهنة كعلم اجتماعى « تطبيقى » حتى الوقت الراهن •

وأرجو رابعا أن يقوم المسئولون عن مهنة الخدمة الاجتماعية بالاسهام فى اثراء نظرياتها وقوانينها فى ضوء نتائج بحوث ودراسات تجرى فى كل ميدان من ميادينها • فأنا أرى والكثيرون معى يرون ما أرى ، ورجائى أن يرى القـــارىء ما نرى ، ان المهنتين : مهنـــة الخـــدمة الاجتماعية ومهنة البحث العلمى الاجتماعى توأمتان تكادان أن تكونا متماثلتين . اذا ازدهرت احداهما تزدهر الاخرى • فعملى فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة « يجعلنى انظر الى هذا المركز ، كأول مؤسسة اجتماعيـــة كونت ولا تزال تكون أجيالا من الباحثين العلميين الاجتماعيين ، على انه مؤسسة اجتماعية متميزة ، انه بالنسبة لغيره من المؤسسات الاجتماعية الاخـــرى ومنهـــا « الجامعة » مثلا أولى بالاهتمام وبالحرص على كيانه ومستقبله • وفضلا عن ذلك فاننا نلاحظ أن التاريخ العلمى الاجتماعى يســجل لهذا المركز مآثر عديدة وجليلة وبخاصة ما قام به على الرغم من بعض الظروف غـــــير المواتية من بحوث ودراسات رائدة من المجتمع المصرى المعاصر » .

وأرجو خامســـا أن يؤخذ بالرأى القائل بأن المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ان هو الا مؤسسة اجتماعيـــة متميزة ، أو يجب أن يكون كذلك • ومن ثم فاننى أرى أن نعمل ، والدولة تكون فى هذ االســبيل القدوة الحســـنة ، على أن تكون نتائج بحوثه ودراســـاته ذات فعالية فى

تغيير المجتمع المصرى المعاصر الى ما يجب أن يكون أو ما يمكن أن يكون فى ضــوء مبادىء هذا المجتمع وقيمه ومثله العليا • أى أن نسـعى حثيثا لكى يكون للمركز فى ضــوء نتائج بحوثه ودراســـاته وزن فى **الاســـتراتيجية الاجتماعية** التى تسير ، أو يجب ان تسير ، على هديها الدولة • ومن ثم يكون **لمهنة الخدمة الاجتماعية بالمشاركة مع غيرها** من المهن التى تسهم فى التغيير الاجتماعى المقصود فى مجتمعنا ، أى ارساء دعائم التنمية فيه والقيام بتنفيذ الاجراءات التى تحققها ، **الدور الحاسم** •

وأرجو سادسا أن يتفضل القارىء ويعيد النظر فيما سبق أن ذكرته عن بعض التجارب والخبرات فى كتاب « التاريخ الذى أحمله على ظهرى : دراسة حالة » وبخاصة فى الجزء الأول منه (الأرض والبذور) الذى يدل دلالة قاطعة على مالمهنة الخدمة الاجتماعية ومهنة البحث العلمى الاجتماعى من **صلة وثيقة** وبخاصة فى مجتمع نام كالمجتمع المصرى المعاصر •

واننى اذ أدعو ملحا الى ذلك ، أرجو أن يكون اختيار الذين سيعملون فى ميادين المهنتين من **العناصر الرشيدة** من شــباب مصرنا الخالدة الذين يرون أن العمل من أجل المجتمع المصرى هو فى ذاته عمل انســانى جليل • وعلى هذا فان كوادر المختارين بعد ان يؤهلوا ويدربوا علميا وعمليا يجب أن يتوقعوا المعاملة التى تليق برســالتهم التى يعنى تحقيقها – بالتعاون مع كوادر المهنيين الآخرين الذين فى ظل استراتيجية قومية يواجهون مشـكلات المجتمع المصرى وحاجاته العديدة – نهضة هذا المجتمع ورفعته • والمعاملة اللائقة التى أقصدها هى فى بســاطة أن **يعطوا بقدر ما يعطون وأن يكون ما يعطونه** ، ماديا كان أو معنويا ، عطاء ســخيا • أى أن اختيــار الذين سيعملون فى ميادين المهنتين اذا كان اختيارا موفقا يشــكل الأساس الأول الذى يجب أن يكون من عناصره الشـعور بالانتماء لمصرنا الخالدة وللمهنة التى سيعمل فى ميادينها عضو الكادر بعد التدريب الكافى المنتظم والمتجدد ، فالعمل فى ميادين الخدمة الاجتماعية أو فى ميادين مهنــة البحث العلمى الاجتماعى يعتمد أساسا على العاملين فى هذه الميادين أو فى تلك الميادين ، أى يعتمد على الخبرات وتجددها وليس بالضرورة على ما يحمله العاملون من مؤهلات عالية كدرجة الماجستير أو درجــة الدكتوراه مثلا • **ولنا فى مهنة القضاء ومهنة الصحافة وغيرهما من المهن أسوة** • فكم من أصــحاب هذه المهن ممن لم يحصلوا على درجـــات علمية غير الدرجــة الجامعية (الليسانس أو البكالوريوس) كانت لهم اليد الطولى فى ارساء العديد من

مؤسسات المجتمع المصرى · كانوا القادة المبرزين فى مواقع أعمالهم وفى غيرها مما أتيح لهم أن يعملوا فيها · وتاريخ مصرنا الحديث شاهد على ذلك ·

وانني أرجو سابعا أن يتفضل القارىء الكريم بموافقتى على أن هذا الكتاب يهتم أول ما يهتم **بالانسان المصرى** · ومن ثم نجد أن معظم فصوله تتضمن النظرات الى حياة المجتمع المصرى فى ضوء تاريخه والى حياة المرأة المصرية وتكوين الأسرة المصرية والى حياة أطفالها ذكورا كانوا أو اناثا ثم الشباب ·

وأرجو ثامنا أن يغفر لى القارىء الكريم **تكرار حديثى** عن بعض الأمور والقضايا ، ومن بينها مثلا حديثى عن « نظرات الى حياة المرأة المصرية » ، علما بأننى الفت كتابا خاصا عن المرأة المصرية المعاصرة فى عام ١٩٧٧ ، وذلك لأننى أرى أن الحديث عن المرأة المصرية المعاصرة لا يمكن أن ينتهى · فهى كما قلت مرارا وتكرارا ، كانت فى ضوء تاريخها ، ولا تزال حتى الوقت الراهن ، العمود الفقرى للأسرة وأن كيان الاسرة الصالح يتوقف ، الى حد كبير ، على صلاحية المرأة كزوجة وكأم ، ولم يكن الكتاب المذكور هو الكتاب الوحيد المنشور ، فقد نشرت غيره من الكتب والبحوث والدراسات العلمية التى أجريتها أو قمت بالاشراف على اجرائها قد تتصل **ببعض ما فى فصول الكتاب الحالى** · ولكن يجب أن يتفضل القارىء الكريم بملاحظة أن جوانب موضوعات فصول هذا الكتاب ، وهى تتناول فى الأغلب الأعم الانسان المصرى ، **تتضمن بالضرورة جوانب أخرى** · وهى فى الوقت نفسه تكمل العديد من موضوعات الكتب الأخرى المنشورة ومضامين ما أجريته من بحوث ودراسات علمية أو قمت بالاشراف على اجرائها ، وفى هذا الضوء نلاحظ أن التكرار ، كما يعلم القارىء ، من ناحية غريزى ومن ناحية أخرى منهجى وبخاصة اذا كان ييسر الشرح والايضاح فعندئذ يكون محببا مقبولا ·

وأرجو تاسعا أن يتفضل القارىء الكريم بموافقتى على أن المجتمع المصرى المعاصر يقف فى الوقت الراهن فى مفترق الطرق · واننى اعترف بأنه ليس لدى صيغة معينة للوصول الى المستقبل المشرق لمصرنا الخالدة · وذلك لأننى مجرد « باحث علمى اجتماعى مصرى » أحاول فى حدود طاقتى ونتائج بحوثى ودراساتى التى قمت باجرائها أو أشرفت عليها ، أن أرصد

شخصيات الناس وانماط سلوكهم في كل مكان وأرصد أيضا المواقف التى يواجهونها · أى اننى اقدم زادى للمفكرين الذين ييسرون للمنفذين عـلى اختلاف مستويات سلطانهم وسلطاتهم العمل من أجل التغيير الى ما يجب او يمكن أن يكون عليه المجتمع المصرى المعاصر ، أى من اجـل تحقيـق المستقبل المشرق لمصرنا الخالدة ·

وأرجو عاشرا أن يسـمح لى القارىء الكريم بأن أؤكد له أن الكتاب الحالى : « نظرات باحث علمى اجتماعى مصرى » قد كتب من أجل الاماطة عن لثلم الغموض السـائد فى مجتمعنا المصرى المعاصر أو بعض هـذا الغموض . وان هدف اهدافه أن ييسر السبيل لمن فى يدهم قنوات التنفيـذ وهم على بينة من الامر من أجل الوصول الى هذا المستقبل المشرق المنشود .

وأرجو حادى عشر أن يتفضـل قارىء هذا الكتاب بملاحظة أننى قد اتخذت ، فى بعض مضمونه ، من رسالة « ايبور الحكيم المصرى القديم » المشهورة أسوة · تماما كما سبق أن ذكرت أن اسـتعارة عنوانه كانت من عنوان احد كتب المغفور له الأديب الفنان مصـطفى لطفى المنفلوطى – واذ اذكر ذلك ارانى مدينا للقارىء فى هذا المجال بأن ألخص مضمون الرسـالة المشار اليها فيما يلى :

اننى اقصد بمفهوم « الحكيم » فى الكتـاب الحالى هو كل من يتقن الأمور · والملاحظ أن « الحكمة » بكسر الحاء وسـكون الكاف تعنى كـل ما يمنع صـاحبها أى الحكيم من أخـلاق الأرذال ، فرأس الحكمة كمـا يعلم القـارىء ، مخافة الله ، ومن يخاف الله ينأى بالضرورة عن اخلاق الارذال ويتمسك ما استطاع الى ذلك سبيلا بالاخلاق العالية ، اخـلاق الصالحين الطيبين ·

والحكيم المصرى القديم هنا هو الحكيم « ايبـور » الذى كتب الى الملك (فرعون) فى عهده رسالة قيل انه كتبها فى خلال الفترة التى انتهت فيها « الدولة المصرية القديمـة » وابتدأت « الدولة المصرية الوسـطى » حيث كانت الاحوال فى هذه الفترة غير مواتيـة الى حـد الرثاء والأسى – وقال بعض علماء الآثار المصرية الآخرين أن ايبور كتب هذه الرسـالة فى نهاية الأسرة الثانية عشرة أى قبل غـزو « الهكسـوس » لمصر حيث احتلوها لفترة حوالى ١٤٠ عاما بعد أن طردهم الفرعون العظيم « أحمس » ·
ومهما يكن من الأمر فان الاحوال التى كتبت فيها رسالة ايبور تـدل

دلالة صريحة فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى عاش تحت ظلالها هذا الحكيم ــ على أن الدولة المصرية فى شخص فرعون مصر فى ذلك الحين الذى لم نعرف اسمه حيث ان الكاتب لم يذكره والذى كان هو الحاكم الأوحد فى البلاد ويعتبر الها والمواطنون أو أغلبهم هم عبيده ــ قد أثارت غضب الحكيم ايبور فكتب رسالة دونما مبالاة لما كان يحتمل أن يحدث له ٠ ومن ثم كانت مجازفته هذه وساما لخلود اسمه على مر الزمان ٠ والاهتمام برسالته التى أصبحت وثيقة يتهافت على قراءتها وحل طلاسمها العلماء بقصد ايضاح معانيها ٠

وكان أول المهتمين بقراءة رسالة ايبور وحل طلاسمها عالم الآثار المصرية القدير الانجليزى « آلان ٠ هـ ٠ جاردنر » ٠ كان ذلك فى عام ١٩٠٩ حيث نشر ما وصل اليه تحت اسم « تحذيرات حكيم مصرى » ٠ وبعد مرور اكثر من ٥٠ عاما أعاد ترجمتها أحد مشاهير علماء الآثار المصرية وهو « و ٠ فولكنر » الذى نشرها فى :
«Journal of Egyptian Archeology , Vol. 51 (1965)»

وفى ضوء التاريخ نلاحظ أن وثيقة ايبور قد كتبت منذ اكثر من ٤٠٠٠ عام او منذ حوالى ٣٨٠٠ عام ، أى منذ فترة طويلة عاشت مصر بعدها فى خلال فترات أخرى مجيدة كما عاشت أيضا فى فترات غير مجيدة آخرها الفترة منذ ٥٢٥ ق٠م ــ ١٩٥٣ م أى طوال فترة ٢٤٧٨ عاما كان يحكم مصر فى خلالها ويتحكم فى مصائرها حكام غير مصريين ٠

ولقدم وثيقة الحكيم ايبور التى كتبها على بردية وجدت أجزاؤها ممزقة ، ومن ثم فقد تعذر التعرف على بعض الكلمات التى كانت مكتوبة عليها ، نلاحظ مثلا أن بداية البردية قد فقدت من البلى ، وهى الجانب الذى كان يحتوى على بيان الأحوال التى دعت ذلك الحكيم الى الادلاء بتحذيراته ونصائحه الواردة فى هذه الوثيقة ، وان كانت تلك الأحوال فى ظواهرها الرئيسية واضحة ٠ فتراه يبدأ بالقاء نظرة ثاقبة على نظم الحياة لأهالى وادى النيل فى ذلك الوقت ، فيجد أن كل شيء قد آل الى الفوضى ٠ فالحكومة قد وقفت حركتها تقريبا ٠ و « قوانين قاعة العدل قد ألقى بها ظهريا ، فصارت تدوسها الناس بالأقدام فى المحال العامة ، والفقراء يفضونها على قارعة الطريق » ٠

ويقول الحكيم فى رسالته الى فرعون « حقا ! لماذا تدور الدنيا كما

تدور عجلة الفخار ! فاللص هو الآن صاحب الثروة · لماذا أطلقت الخادمات السنتهن ، وعندما تتكلم السـيدة يثقل ذلك على الخدم ؟ ! « حقا ! لماذا أصبحت الطرق غير محروسة ، ويختبيء الناس بين الاشـجار حتى يأتى الشـخص الراكب فيأخذون منه أحماله ويسرقون ما معه ، ولا ينال غير الضرب بالعصا ويقتل ظلما » ·

« أنظر ! ان السيدات النبيلات أصبحن يجمعن فضلات الحصـاد ! واصبح النبلاء يعملون فى المصنع ، وأصبح الذى لم ينم فى حياته على لوح من الخشب مالكا لسرير ·· أنظر ان الذين كانوا يملكون الاثواب أصبحوا يرتدون الخرق ، والذين كانوا ينسجون لأنفسهم ، أصبحوا يملكون الملابس الثمينة » ·

« أنظر الآن ! لقد وصل بنا الأمر الى الحد الذى جعل عددا قليلا من غير المسـئولين يحرمون البلاد من الملكية · أنظر فان أصـحاب الحرف لا يقومون بأى عمل قط ، وأعداء البلاد يفقدونها فى حرمتها » ·

« أنظر ان الذى يحصـد المحصول لا يعرف عنه شيئا ومن لم يحرث الأرض يملأ أهراءه » ·

« أنظر ان الماشية قد تركت ضالة فى السـبيل ولا يوجد أحد يجمعها ويلم شتاتها ، فكل انسان يأخذ لنفسه منها ما يسمه (بالكى) ·· والحروب الداخلية لا تأتى بضريبة ·· ومائدة بيت المال الذى لا دخل له ؟ » ·

« وفى الحق ! ان المتحلى بالفضائل يسير وهو محزون لما حدث فى البلاد » ·

« وفى الحق ان العدالة موجودة فى البلاد باسـمها فقط ، وما يلقاه الناس حينما يلتجئون اليها هو العسف » ·

وفى الحق ان السرور قد مات ولم نعد نتذوقه بعد ، ولا يوجـد فى الأرض الا الأنين الممزوج بالحسرات » ·

« وفى الحق ان كلا من العظيم والحقير صار يقول : ليتنى كنت ميتا · ويقول الأطفال الصغار : ليتنا لم يعلنا أحد ومتنا قبل هذا ·· ، وفى الحق ان قلوب كل القطعان تبكى ، والماشية تئن بسبب حالة البلاد » ·

وما سطرت ليس كل ما فى وثيقة ايبور الحكيم ، وارجو أن يكون كافيا لنجد انه قد تأثر به وبغيره من وصـول البلاد الى هذا الدرك غير الرفيع ·

ولعل لذلك يبدو واضحا عندما كان هذا الحكيم يقرع نفسه لأنه لم يسع من جهته لانقاذ ذلك الموقف من قبل ، وأنى له فى ضوء الظروف التى عاشـها وعايشها أن يفعل ذلك • ويؤكد ما أقول قوله : « ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى كنت أنقـذ نفسى من الألم الذى أنا فيـه الآن ، فالويل لى لأن البؤس عم فى هذا الزمان » •

وأرجو ثانى عشر ان يكون القارىء الكـريم قد لاحظ اهدائى الموجه الى « الكادحين من أعضـاء المجتمع المصرى المعاصر » ، ذكورا كانوا أو اناثا ، راجيا لهم جميعا المسـتقبل المشرق والعزة والمنعة • والملاحظ أنه لا يمكن التسليم بأن كل أعضاء المجتمع المصرى الراهن من الكادحين • فقد أفرز هذا المجتمع فى ضـوء ظروفه الثقافية والاجتماعية والاقتصـادية والسياسية السائدة فئات أو طبقات تحاول أن تحل محل الفئات والطبقات الماضية • ونجد من هؤلاء المقاولين ومن يمارسون أعمال التجارة والذين يمارسـون تجارة العملة الحرة أو يمارسـون تهريب المخدرات بأنواعهـا وتجارتها وتوزيعها وأصحاب « البوتيكات » وبعض العمال الحرفيين •• الخ •• وممن يحصلون على أموال الشـعب واقوات الملايين بالطرق الأخرى غير المشروعة ومن أهمها ارتكاب الجرائم غير المنظورة كجرائم الرشوة مثلا فضلا عن الاتجار بالأعراض ولعب الميسر وعرض الافلام غير الاخلاقية •• •• الخ • ويلاحظ أن معظم الجرائم غير المنظورة ترتكب فى « الشـقق المفروشة » ويترك لارتكابها العنان بحجة رواج السياحة وغيرها من الأعذار التى لا تقرها قيم المجتمع المصرى الأصيلة ذات الأهداف الحميدة •

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم أننى أقصـد بمفهوم الكـادحين الملايين من المصريين غير الأعضـاء السـابق أن ذكرت بعض فئاتهم • فهم أعضاء المجتمع المصرى الذين يعيشـون فى الطبقة الدنيا والطبقة الدنيا العليـا من أهل الريف ومن العمـال غير الحـرفيين ومن موظفى الدولة والمؤسسات فى الدرجات المنخفضـة وبخاصـة الذين تفشت فيهم الامية الأبجدية أو الأمية الوظيفية ، ذكورا كانوا أو اناثا • انهم ايضـا جماهير المجتمع الذين لا يجدون المساكن اللائقة التى تأويهم وأن وجدوها عاشـوا فى الأكواخ معيشة غير آدمية او عاشـوا فى حيشـان المقابر مع الأموات ولا يعرفون اذا ماماتوا أين يعيشون !

ومهما يكن من الأمر فان النظرات المدونة فى الكتاب الحالى تتضمن

عدا المقدمة والخاتمة ما يلى :

اولا ـ نظرات الى مفهوم العلم ومفهوم البحث العلمى الاجتماعى ٠

ثانيا ـ نظرات الى حياة الانسان المصرى المعاصر ٠

ثالثا ـ نظرات الى حياة المرأة المصرية ٠

رابعا ـ نظرات الى حياة الشباب فى مصر ٠

ولا يسعنى وقد أكملت النظرات التى يضمها الكتاب الحالى الا ان اتقدم بالشكر الجزيل الى أعضاء أسرتى : السيدة العزيزة حرمى وابنتى آمال وتيسير وأبنائى الأعزاء أحمد وسمير ومسعد ، والى الأخ الأستاذ الفاضل فوزى عبد العظيم النجار ، فقد كان لتشجيعهم لى ولتعاونهم الصادق الحافز الأكبر الذى يسر لى تحقيق ذلك ٠

وأرجو ان تسمح لى السيدة الفاضلة الزا ثابت بتقديم امنياتى الخالصة على ما قامت به ومازالت تقوم به من أريحية انسانية لا أستطيع أن أصفها ٠ ورجائى الخالص أن يمن الله عليها بالصحة والعافية ٠

وان انسى لا أنسى الجهد الكبير الذى بذله كل من الحاج محمد شوقى والسيدة الفاضلة حرمه فى عملية نسخ موضوعات النظرات التى يضمها هذا الكتاب على الآلة الكاتبة راجيا لهما التوفيق والسداد ٠

مصيف جمصة السياحى فى شهر يوليو عام ١٩٨٧

د٠ سيد عويس



أولا

نظرات إلى مفهوم العلم والبحث العلمى الاجتماعى

- النظرة إلى مفهوم العلم
- النظرة إلى نشأة مهنة البحث العلمى الاجتماعى

أولا : نظرات الى مفهوم العلم ومفهوم البحث العلمى الاجتماعى

١ ــ النظرة الى مفهوم العلم

اصبح مفهوم العلم منذ عهد غير بعيد جزءا من الشعار الذى ترفعه الدولة فى جمهورية مصر العربيــة ألا وهو شـــعار « العلم والايمــان » ٠ والاهتمام بهذا المفهوم بمعنى أنه الخبرات الانسانية المنتظمة ، مرجعه الى اننا نوجد فى عصر أصبح فيه العلم وسيلة مباشرة من وسائل الانتاج ٠ اى انه اصبح يتغلغل فى كل امور الحياة ٠ حياة الانسان فى عصرنا الحالى ٠ ومن حق هذا العلم فى هذا الضـــوء أن ينفرد بالحكم فى شـئون الفكر ٠ ومجتمعنا المصرى المعاصر كمجتمع نام يحتاج الى العلم العصرى حاجته الى الحياة ٠ ويجب الا يقف فى سـبيل تحقيق ذلك محاولة تزييف معنى مفهوم العلم ، أو المقارنة بين العلوم المادية والعلوم الانسانية ، أو محاولة تزييف نتائج العلم فى بعض المجتمعات ٠

فالمعروف انه ليس كل متعلم عالما ، وان كان العــالم يكون بالضرورة متعلما ٠ فالعلم خبرات انسانية ، ولكنها خبرات انسانية منتظمة يحصــل عليها العالم عن طريق منهج معين هو المنهج العلمى ٠ ومعلومات المتعلم هى خبرات انسانية ايضـــا ، قد تكون خبرات منتظمة أو خبرات غير منتظمة يحصل عليها المتعلم بالتلقين والحفظ احيانا او بالممارســة احيانا اخرى ٠ وشتان ما بين عالم الذرة أو عالم الاجتماع وبين عالم الدين ، عالم الازهر مثـــلا ٠

والمنهج العلمى ، على عكس الحفظ والتلقين ، يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية ٠ وهو اذ يفعل ذلك يكون دائما مهتديا بالشـــعار القائل « لا شىء ياتى من لا شىء » ٠ وهو يحاول دائما ان يكون

منهجا لفهم الحياة **بقصد تغييرها** · ويسعى دائما الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولمـــاذا ؟ أى التعرف على العوامل التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة انه كمنهج لا يبحث ابدا ولا يهمه ان يبحث أبدا عن الاجابة عن السؤال لماذا ؟ **على وجه الاطلاق** · بل هو فى بساطة يدرس الظواهر المادية والانسانية دراسة واقعية ، أى يقوم بدراسة العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية ، فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضـوء بعض المبـــادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب ·

ويلاحظ أن مفهوم « الخبرات الانسانية المنتظمة » تعنى الخبرات التى تفسرها القوانين التى يكشفها الانسان عندما يســتخدم المنهج العلمى فى دراسة الظواهر مادية كانت أو انسانية · فالعلم العصرى ليس فقط سـجلا للاراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الآراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية ·

ويقصد بالمواجهة الموضوعية الوصـــول الى حقائق المادة او حقائق المجتمع ، أى الى حقائق الوجود · والقدرة على هذا الوصول فى ضـــوء المنهج العلمى مكفولة ، على الرغم مما قد يقال احيانا بأن الانسان لا يستطيع أن يصل الى حقائق الانســان لأن الانســان مغاير جوهريا للطبيعة · ومن ثم فان المنهج الذى يصلح لاســتكشاف ظواهر الطبيعة لا يصــلح لاستطلاع احوال الانسان · ان الواقع يدحض هذه الآراء · فالملاحظ أن الانســان فى ضوء المنهج العلمى قد استطاع أن يعرف الكثير عن نفسه فى ميادين علوم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها ، وقد استطاع فى مجالات هذه العلوم أن يغير اتجاهات الناس وان يعالجهم وان يتحكم فى تصرفاتهم وأن يتسلط على معاشهم · وقد نجح فى كل ذلك نجاحا مرموقا · والعلوم الانســانية تطبق الآن مناهج مشابهة لتلك التى تتبعها العلوم المادية ، وقد نجحت فى هذا المجال نجاحا مرموقا · واصــبح التعاون بين العلوم المادية والعلوم الانســانية وثيقا فى ســبيل تحقيق أهداف التنمية الشــاملة للمجتمعات المتقدمة والنامية على الســواء · والنتيجة المتوقعة لكل ذلك اننــا نجد ان العلوم الانســانية لا يمكن ان تقل شانا عن العلوم المادية · واننى أرى أن تحقيق كل ذلك قد يتأكد اذا استمر اتجاه أهداف البحوث الانســانية الى الأهداف التطبيقية عن طريق الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة

الاجتماعية ككل فى ضوء وضوح رؤية نظرى يؤمن بالتغيير الى الأفضل ، وذلك بقصد تحقيق التنمية الشاملة لهذا المجتمع · وبهذا يتحقق اثراء خبراتنا الانسانية المنتظمة فى هذا المجال للصيرى ، أى اثراء النظرية بربطها بالتطبيق ربطا جدليا وتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع جميعا ·

واذا لم يكن كل شخص متعلما بالضرورة عالما ، فان المجتمع المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه التاريخية الحالية فى حاجة الى المتعلمين والى العلماء على السواء · والملاحظ ان نسبة الأميين غير المتعلمين فى هذا المجتمع نسبة فادحة · فنسبة الأمية الوظيفية فى مجتمعنا تبلغ نحو ٨٥٪ وربما تكون اكثر من ذلك · ومما يثير دهشتى أن هذه النسبة كانت هى نفس النسبة تقريبا عندما كنت يافعا · وقد بلغت الآن سن الشيخوخة وبقيت نسبة غير المتعلمين المصريين كما كانت منذ اكثر من خمسين عاما · واننى اتساءل ولعل القارىء يتساءل ايضا عن عوامل بقاء هذه النسبة مرتفعة واستمرار هذا البقاء على الرغم من قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ حتى الآن · ان الذين ارادوا ذلك لم يريدوا الخير ابدا لمصرنا الخالدة · ومع ذلك قد نجد بعضهم يرى ان يحرم الجماهير الأميين غير المتعلمين من حقهم الشرعى لكى يحكموا أنفسهم بانفسهم لأنهم أميون غير متعلمين · وكأن ذنب ذلك يقع على كاهل الجماهير وحدهم · ولا يرى هذا البعض أن من حق الجماهير أن يقفوا ضد ذلك · فهم على الرغم من كونهم أميين غير متعلمين ، الا أنهم مواطنون يؤدون للوطنية على مر الزمان واجباتها · فالوطنية كما يعلم القارىء لا يمكن ان تحتكر ، لان الوطن وطن الجميع · ومن حق الأغلبية أن تأخذ من الأقلية عنوة مادامت تؤدى على الدوام واجباتها · ويكفيها شرفا الشهداء من بناتها وابنائها الذين تقدمهم من أجل مصر فى الحرب وفى السلم على السواء * · وفى ضوء تطبيق المنهج العلمى يكون من المتيسر دراسة عوامل بقاء هذه النسبة المرتفعة على الرغم من مرور حوالى خمسة وثلاثين عاما على ثورة عام ١٩٥٢ · وفى ضوء هذا المنهج ايضا يكون من المتيسر ايجاد الأساليب والوسائل التى تستطيع أن تواجه هذه المشكلة

---

* يلاحظ أن نسبة السيدات اللاتى تكون حمى النفاس أو غيرها عاملا حاسما فى وفاتهن قد تفوق أن لم تساو على الاقل عدد من يموتون شهداء من الرجال فى الحروب .

الاجتماعية الخطيرة مواجهة فعالة ٠

ويلاحظ أننا نجد فى بعض الأحيان أن بعض الناس يخشـــون العلم العصرى ، ويظنون بالعلمــاء الظنون ٠ فالذين عانوا من ويلات الحروب ، مثلا ، يودون لو أتيحت لهم الفرصة فيفترسوا العلماء الذين اخترعوا آلات الدمار ٠ وحتى فى وقت السلم نجد أن صرعى حوادث السيارات اكثر من القتلى بسبب جرائم القتل العمد مع سبق الاصرار والترصد ٠ ولا يمكن أن نتوقع واحدة من الأمهات التى قتل ولدها تحت عجلات احدى السيارات التى يقودها أحد هواة جنون السرعة ، ان تكون فى عداد المعجبات بالسيارة او بمن اخترعها ٠ وحتى بعض رجال الدين ، نجدهم لسبب أو لآخر يعتبرون العلم خطرا شديدا على الانسانية ٠

ولكن يلاحظ ان التطبيق العلمى لا ينتج شرا دائما ٠ ففى ضوء العلم لا يمكن ان يكون شيئا مطلقا ٠ ومن ثم فمن العدل ان نسجل للعلم العصرى آثاره ومآثره ٠ ولن نستطيع ان نفعل ذلك ، لأن السـجل حافل ، ونجده فى محيط العلوم المادية وفى محيط العلوم الانســانية ســـواء كانت متعاونة بعضها مع بعض فى ســـبيل تحقيق أهداف التنمية الشاملة فى المجتمعات الانسانية ، أو كانت غير متعاونة ٠ ويكفى ما يلاحظه اى شخص عادى من تأثير البخار وتأثير الكهرباء فضلا عن تأثير الطاقة النووية وبنوك المعلومات وغيرها على الطبيعة وعلى شئون الناس فى كل بقعة من البقاع على وجه الأرض أو فى الفضاء فى وقتنا الحاضر ، وما يرجى من تأثير كل ذلك فى المستقبل ، مستقبل الطبيعة ومستقبل الناس ٠ واذا كان العلم العصرى يدمر العدو ، فانه يحمى أيضا من يقاتل هذا العدو ٠ وليس بالضرورة أن يكون هذا العدو الانســـــان فحسب ٠ فربما يكون ميكروبا مؤذيا او اثرا من آثار الطبيعة العاتية ٠ واذا كان العلم العصرى يستخدم فى وقت الحرب كسلاح رهيب فتاك ، فان بعض آثاره التى يصل اليها العلماء فى اثناء الحرب تنقذ الأرواح فى وقت الســلام ٠ واذا كان العلم العصرى فى بعض المجتمعات الراسمالية المتقدمة قد انتج الحضارة الاستهلاكية المعاصرة ، التى اختزلت الانسان الى بضاعة تنتج البضـــاعة وتستهلك البضــــاعة ، وجعلت منه مستهلكا سلبيا يفعل الحب ولا ينفعل ، والذى أصبح فى كنفها كلما ازداد شراؤه الكمى بامتلاك الأشياء ازداد فقره النوعى من امتلاك الضـــجر له وابتعاد حلم السعادة الحقيقية المعاشــة التى تجعل منه انســـانا كاملا لا انسانا مشطورا على ذاته ومعزولا عن الآخرين الذين لم تعد علاقاته بهم

الا علاقات بين أشـــياء ـ فان ذلك لا يمكن أن يكـــون مرجعه الى العلم العصرى ، وحده ، الذى عرف سر الطبيعة والمجتمع وأمكنه بطاعتهما ان يتسلط عليهما ويتحكم فيهما • ان ذلك مرجعه الى ارتباط العلم بايديولوجية معينة أو بفلسفة معينة • ولا يعيب العلم ذلك فالعلم يجب أن يكون بالضرورة للمجتمع • والمجتمعات متباينة ، وأيديولوجياتها أو فلسـفاتها الســائدة متباينة كذلك • والعلم اذ يتعرف موضوعيا على ما هو كائن فى الطبيعة وفى المجتمعات لكى يفهمها ، يحاول أن يغيرها الى ما يمكن أن يكون أحيانا أو يغيرها الى ما يجب أن يكون أحيانا أخرى • ويكـــون التغيير فى مجتمع العدالة الاجتماعية بالضرورة فى سبيل مصـــلحة الملايين ، وفى المجتمع الراسمالى يكون التغيير بالضرورة فى سبيل مصلحة حفنة من أعضـــاء المجتمع أو حكومة تحكم باسم هذه الحفنة من الناس الذين لا هم لهم الا ان يملأوا جيوبهم بالأرباح الوفيرة •

ولعلنا نحن المصريين فى ضوء ظروف مجتمعنا المعـــاصرة أن نكون أولى الناس الذين يجب أن يستخدموا العلم العصرى • فنحن أولا نعيش فى بلد نام يحاول أن ينهض لكى يبنى نفســه ويجددها ، ولكى يعمر ما خربته القوة الغاشمة والجشع والاستغلال • ونحن ثانيا قد صدقنا العلمُ العصرى • ونحن نبنى مدننا وجامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا ومصانعنا ، وعندما بنينا السد العالى ، وعندما بنينا جيشنا لكى نطهر به الأرض من أدران احتلالها ـ فصدق هذا العلم معنا • ونحن ثالثا نلاحظ فى ضوء البحوث والدراسات التى أجريت فى واقعنا الحى أن هناك أكثر من مصر أخرى غير تلك التى بنت هذا الصرح الشامخ من الانجازات الانسانية العظيمة • فهناك مصر ثانية لا تزال تعيش فى رواسب الماضى البالية • ترى أهلها يعيشون فى الخرافات وتعيش فيهم الخرافات • أى أنهم يسيرون فى حياتهم على قواعد أو مبادىء سلوكية لا يحيدون عنها ، وهى قواعد أو مبـــادىء سلوكية قد أكل عليهـــا الدهر وشرب • ولكنهم يفعلون ذلك ويستمرون ، وتبدو عليهم الســعادة من أجل ذلك • تراهم يؤكدون مثلا فى أثناء كتب الكتاب أنه « اذا وضعت حتة ســكر تحت لســـــان العروسة وبعدها وضــعت فى كوب وشـــربه العريس يتفقوا ويتوفقوا معـــا » • وتراهم يذكـــرون عن يقين ان الســـت العاقر « اذا طلعت السلم بالمندار (بالعكس) تقدر تحبل بعدها » • ويتبرعون دون ان يسألهم أحد بالوصفات ، فاذا تأخر أحد الأطفال عن التكلم قالوا على سبيل المثال «دق المياه فى الهون يخلى العيل اللى مابيتكلمش يتكلم » •

وترى هؤلاء الناس اذا ذكر أمامهم العلم العصرى كانت الصورة الذهنية له غير الصورة التى ذكرتها آنفا . كانت صورة تعكس محتوى « علم السيميا » .

وهناك مصر ثالثة قد لا تعترف بالعلوم الزائفة السابقة علنا ، وان اعترفت بها ممارسة . وهى لا تعترف أبدا بالعلم العصرى لا علنا ولا ضمنا . والعلم عندها ولا علم غيره هو « العلم اللدنى » .

وقد يرى البعض أن نتائج العلم العصرى غير كافية فهى لا تتصل بالحقيقة المطلقة بسبب . ونحن لسنا فى حاجة الى الحقيقة المطلقة ان مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والسياسية لا يحتاجها . انه يحتاج الحقيقة التى تيسر قطع دابر عدونا الماكر الغدار ، والتى تيسر القضاء على الأمية وعلى البلهارسيا وعلى الجرائم وعلى تعاطى المخدرات وغيرها من المشاكل الاجتماعية . ان الحقيقة المطلقة لا تواجه هذه المشاكل الاجتماعية الخطيرة ولا تواجه غيرها مثل مشاكل الاسكان والمرور والنقل والهجرة الداخلية والصراع الثقافى بين الأجيال فضلا عن العصبية غير السوية والتعصب الذى لا يعنى الولاء .

وقد يرى آخرون ان العلم العصرى هو افكار مستوردة ، ونحن لكى نحيا منتصرين سعداء ، يجب أن نلتصق بطين مصر الثقافى التصاق الطفل بثدى أمه . والملاحظ أن العلم العصرى قد بشر ببداياته علماء مسلمون افاضل ابتداء من جابر بن حيان ، أى منذ القرن الثامن الميلادى . وان استيراد الأفكار من خارج نطاق الثقافة الاسلامية موضوع وارد . ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد العصر الاسلامى الذهبى فى خلال المدة من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر الميلادى والترجمات لأمهات كتب الاغريق الى اللغة العربية . كما نذكر الجهود التى بذلها علماء وفلاسفة أفاضل من أجل ازدهار العلم والفلسفة من أمثال الكندى (مات فى عام ٨٧٣ م) ، والفارابى (مات فى عام ٩٥١ م) ، والرازى (مات فى عام ٩٢٥ م) ، وابن سينا (مات فى عام ١٠٣٧ م) ، والبيرونى (مات فى عام ١٠٤٨ م) ، وابن رشد (مات فى عام ١١٩٨ م) .

وبالنسبة لمجتمعنا المصرى المعاصر فاننى اذ أسلم بأن محاولة التغيير الشاملة فيه يجب أن تميز بين النظم القديمة الأصيلة فى هذا المجتمع وبين

النظم القديمة الدخيلة وبين النظم المســتحدثة · فانني أرى انه مهما بدا الصراع بين القديم والمستحدث ، فان **الوعى الموضوعى بهذا الصراع أمر ضرورى** · فالملاحظ أن الأصيل القديم يمكن أن يتغير أو يتطور أو يعدل ، وأن الدخيل القديم أو المستحدث فى ضوء المصالح الحقيقية لأعضـــاء المجتمع يمكن أن يكـــون كذلك ، أى يتغير أو يتطور أو يعدل · فالمصريون قد غيروا لغتهم التى يتكلمـــون ويكتبـــون بها أكثر من مرة فى خلال تاريخهم القديم المستمر ، واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرة أو مرتين ، وجمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم وألوان ثقافاتهم ، واتصـــلوا بالعالم الخارجى واقتبسوا (استوردوا !) عن أهله وثقافاته فى الشرق والغرب على السواء · والمجتمع المصرى المعاصر فى الوقت الحاضر · وبخاصة ، بعد ثورة ٢٣ يوليـــو ١٩٥٢ ، يواجه ظـاهرة التغير فى تراثه الاجتمـاعى بعناصره الثقافية المادية وغير المادية · ويسير فى ســـبيل تحقيق أهداف العدالة الاجتماعية على أرضه قدما على هدى ما قام به فى الماضى باستمرار من الأخذ والعطاء ، والجمع بين القديم والجديد · فالجديد فى مجتمعنـا لم يكن دائما لينســـخ القديم · وانما كان **التوفيق** بين القديم والجديد ، وان تسبب فى جعل بعض نظمنا الاجتماعية فى جملتها معقدة غاية التعقيد ، هو القاعدة فى هذا المجتمع العريق ·

وهناك مصر رابعة هى مصر « الفهلوة » أعضاؤها يدعون العلم على اختلاف انواعه . فهم العلماء العصريون تارة ، وهم العلماء المزيفون حفظـــة التراث المصرى الاصيل تارة أخرى، وهم العلماء اللدنيون الواصلون العارفون تارة ثالثة . ولعل وجود هؤلاء ان يكون مرجعه الى ضعف العلماء العصريين فى الوقت الحاضر ، ومن ثم الى غلبة الآخرين . والتعرف على اهل « الفهلوة » ليس صعبا . فأنت تجدهم الأشخاص الذين يبحثـــون باستمرار عن أقصر الطرق واسرعها لتحقيق الأهداف الدنيوية والأخروية على السواء . وأنت تعرفهم عندما يتجنبون العناء والجد المطلوبين عـــادة فى اجتيـــاز العقبـــات للوصول الى تحقيق هذه الأهداف والغايات · تراهم يتجنبون اســـــتخدام الوسائل الطبيعية لتحقيق هذه الأهداف والغايات ، ويكون همهم ليس انجاز العمل على أكمل وجه وانما انجازه وتحقيق أهدافه وغاياته حتى لا يقال عنهم انهم عاجزون عن ذلك · ومن سمات هؤلاء أيضا ما نلاحظه عندما يعجزون عن تقبل الحقائق الموضوعية ، أى عندما يعجزون عن تقبل الواقع وفقا لما تفرضه الظروف الحرجة من تصرف سريع ، مما يضطرهم الى اخفاء العيوب والفشل

والنقائص بغية انقاذ المظاهر والحفاظ على ماء الوجه · انهم الادعياء الذين يعرفون كل شيء ويرون أن غيرهم لا يعرف شيئا · **انهم الذين رفعوا في يوم منكود شعار « أهل الثقة » أولا ، ثم « أهل الخبرة أخيرا وآخرا »** وكأن البلد بلدهم وكأن الوطنية مقصـــورة عليهم · والفهلويون في كلمة هم الانتهازيون الملونون المتلونون المنافقون .

والاهتمام بالعلم العصرى لا يعنى مطلقا ان الحياة في ظله ستكون جافة ولا يطيقها البشر · بل على العكس ستكون هذه الحياة في ظله أكثر يسرا · فالانسان عن طريقه سيكون أكثر حرية · فالحرية الحقيقية بمفهومها العلمى هنا تعنى القدرة على فهم الموقف الاجتمـــاعى أو المواقف الاجتماعيـــة التى يواجهها الانسان فهما موضوعيا · **ان قدرة الانسان على هذا الفهم هى الحرية في ذاتها** · اى ان مجرد فهم الشخص منا للموقف الذى يواجهه يعنى حريته في التصرف ازاءه ، وان مجرد عـــدم فهمه للموقف الذى يواجهـــه يعنى تيـــده بالاغلال ، اغلال هذا الموقف . اى ان الحرية تعنى التسلط على الظـــواهر الطبيعية والظواهر الانســـانية · والمواقف الاجتماعية ان هى الا مظهر من مظاهر الظواهر الطبيعية أو الظواهر الانسانية أو احداها · والتسلط على الموقف الاجتماعى يعنى فهم هذا الموقف ·

ولا يحق للقارىء ان يتهمنى بأننى مع العلم العصرى **على حســاب الفن بانواعه . لأن الفن بانواعه احد مصادر** المعرفة الانسانية غير المنتظمة . وهو مصدر هام يحتاج اليه الانسان ما عاش . ولعل الفن الصادق أولى ، في ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، بالرواج وبالغلبة · ان الفن الصادق بكل انواعه نشاط انسانى ينبع من الحياة ويصب في الحياة وييسر مواجهة الحياة . **اننى اذ ارفع شعار أن يكون العلم العصرى حكما اعلى في شــئون الفكر في** مجتمعنا المصرى المعاصر ، أؤكد ان الفن الصادق بانواعه في ضوء انسانيتنا ضرورة لا يمكن ان يستغنى عنها بحال . واذا كان الاقتناء في مجـــال الثروة والسلع المادية وما شابهها لا يمثل عندى اهمية انسانية كبرى ، فان الاستغناء عن الفن الصادق بانواعه يعتبر بحق اهدارا للانسانية .

واذا كان العلم العصرى كخبرات انسانية منتظمة مصدرا من مصـــادر المعرفة الانسانية ، فان **الدين** مصدر آخر لهذه المعرفة . وعلى الرغم من ان العلم العصرى يعمل في ظل الشعار القائل « لا شيء يأتى من لا شيء » وفي ظل الشـــعار « لا شيء مطلق » ، ويسعى دائما في هذا الضوء الى الاجابة على

السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ فانه من الملاحظ أن الوصــول الى النتائج فى نطاق العلم العصرى يحتاج الى البرهنة الموضوعية ، أما الوصول الى النتائج الدينية فلا يحتاج الا الى الايمان ولقد كان « نيقولا كوبر نيكوس » (١٤٧٣ — ١٥٤٣) أسقفا من أساقفة الكنيسة ، وكان بطبعه شديد التدين ، وكانت الكنيسة فى عصره تدعو الى العقيدة الدينية التى تقتضى حينئذ ان تكون الأرض ، موطن الانسان ، مركز الكون ، وان تكون كذلك ثابتة لا تتحرك . ولم تمنع كل هــذه الامور كوبرنيكوس من ان يكون باحثا موضــوعيا رأى ان الشمس هى مركز النظام الشمسى . وعلى الرغم مما حدث للفيلســـوف « برونو » (١٥٤٨ — ١٦٠٠) عندما جهر بقبوله للنظام الكوبرنيكى وعد ذلك منه خروجا وهرطقة على الكنيسة وحوكم فى عام ١٥٩٤ وحكم عليه وألقى فى غياهب السجن ، وفى عام ١٦٠٠ حكم عليه بالموت حرقا — لم يمنع كل هذا « كبــلر » (١٥٧١ — ١٦٣٠) و « جاليليو » (١٥٦٤ — ١٦٤٢) وغيرهمــا من ان يكونوا باحثين موضوعيين . فالعلم العصرى يقتضى الموضوعية والا لا يكون علما . وهناك فرق بين أن يقول العالم العصرى « أنا أعرف » وبين ان يقول « أنا أشــعر » أو « انا اعتقد » . اى ان قضية الموضوعية فى العلم تتعلق بالعلم نفســـه ، بقيمته أو بعدم قيمته . فالعالم العصرى أما ان يكون موضوعيا أو انه لا يكون عالما . أى انه اذا خلع رداء الموضوعية ، عن رهبة أو عن رغبة ، فقد خسر نفســـه قبل أن يخسره العلم . ان الذين يزيفون الحقائق الموضـــوعية أو يشــوهونها ، عن رهبة أو عن رغبة ، لا يمكن أن يكونوا علماء عصريين او يكونوا باحثين علميين عصريين ، لانهم فى بساطة اشخاص مزيفون .

وفى هذا الضوء نلاحظ ان العلم العصرى فى استطاعته أن يبحث الظاهرة الدينية ، وان الدين فى ضوء طبيعته لا يحاول دراســة الظــواهر العلميــة وما يتصل بها . فالعلم العصرى فى ضوء منهجه يواجــه الظــواهر المــادية والانسانية ، ومنها الظاهرة الدينية ، على السواء . فهو يدرســـها ، اى الظاهرة الدينية ، فى المجتمعات البدائيــة وفى المجتمعــات الزراعيــة وفى المجتمعات الصناعية المتقدمة . وهو يدرس هذه الظاهرة وهى فى عنفوانها ويدرسها وهى تخبو وتحتضر . ويدرس العلم العصرى آثار ظاهرة الدين فى التغير الاجتماعى وفى الميدان السياسى ، كما يدرس الحركات الدينيـــة فى الماضى السحيق وحتى وقتنا الحاضر .

وفى ضوء الظروف الاجتماعية الثقافيــة فى المجتمع المصرى المعــاصر ، نلاحظ ان الدين الاسلامى يلعب دورا خطيرا فى حياة الناس . ومن ثم فالعلم

العصرى يهتم بهذا الدين اهتماما كبيرا . ان الدين الاسلامى فى مجتمعنا حقيقة لايمكن التغاضى عنها ، والعلم العصرى من اجـل ذلك يلاحظ هذه الحقيقـة ويدرسها دراسة موضوعية بقصد فهمها ومحاولة الافـادة من نتـائج هذه الدراسة . وتدخل فى هذا النطاق ملاحظة موضوعات اسلامية شتى ودراستها. ومن هذه الموضوعات ما يكون تاريخيا مثل دراسة سير الشخصيات الاسلامية والغزوات ونشأة الخلافة · ومن هذه الموضوعات ما يكون اجتماعيا كمكانة المرأة فى الاسلام ومكانة الطفل فى الاسلام مثلا · ومن هذه الموضـوعات ما يتصل بالفقه والشريعة والاخلاق والحكومة والمؤسسات الحربية وغيرها · وقد يكون الاهتمام بدراسة العلم العصرى فى ظل الاسـلام موضوعا من الموضوعات كذلك ·

ولأن الدين الاسلامى حقيقة ويلعب دورا خطيرا فى حياة المسلمين ، فاننا نلاحظ احيانا ان موقف العالم منه وبخاصة العالم الامبريالى موقف عداء لامراء فيه . والعلم العصرى يرى ان هذا العداء لا يمكن ان يكون موجها الى الدين الاسلامى من اجل الدين الاسلامى فحسـب ، على الرغـم من ان الغـزو الاستعمارى للعالم العربى لم يعد للذاكرة ذكريات الحروب الصليبية فحسب ، بل انه هو نفسه كان صليبيا وكان يتظـاهر بذلك . وعلى الرغم من انه من المعروف انه عندما احتل الفرنسيون سوريا زار الجنرال الفرنسى الغاصب قبر صلاح الدين قائلا : ها نحن قد عدنا يا صـلاح الدين — ذلك لان هـدف الاسـتعمار ، كما يعلم القارىء ، هو أولا وقبل كل شىء ، أن يحقق احتكار السوق الوطنية كما يحقق تبعيتها للسوق الامبريالية ·

واذا كانت الفلسفة تتأثر بالعلم العصرى فهى تؤثر فيه كذلك ·فالفلسفة وبخاصة المادية ، كما يعلم القارىء ، تستند الى هذا العلم · والملاحظ أن العلم العصرى مثله مثل أى انسان ، وهو يطبق المنهج العلمى ، يعيش فى ظل فلسفة اجتماعية معينة . اى يكون له موقف تجاه الانسـان والعـلاقات الاجتماعية والمجتمع والحياة بصفة عامة ، ويكون هذا الموقف عادة من وراء سلوك هذا العالم عندما يحدد أهداف بحثه وعندما يختار موضوع بحثه وعند تفسير النتائج التى يستخرجها من هذا البحث . وقد تكون هذه الفلسفة بقصد التغيير ، كما ذكرنا من قبل ، من أجل مصلحة الملايين من اعضـاء المجتمع ، أو يكون هذا التغيير كما هو فى المجتمع الرأسمالى من أجل حفنة من اعضـاء هذا المجتمع · والملاحظ أن سيادة فلسفة اجتماعية معينة فى مجتمع ما أمر متوقع · فالمجتمعات متباينة ، ومن ثم فان فلسفاتها الاجتماعية السـائدة

متباينة كذلك · وتأثر الباحث العلمى وهو يحدد أهداف بحثه وعندما يختار موضوعا من الموضوعات وعند تفسير نتائجه لا يمكن ان ينفى موضوعية هذا الباحث · لأن هذا أمر متوقع · والعبرة كل العبرة تكون فى موضوعية الحقائق المجموعة وتحليلها واستخراج نتائجها ، وبخاصة فى محيط الظواهر الانسانية ، أو فى عدم موضوعية ذلك . فاذا كانت أهداف الباحث العلمى المعاصر اهدافا غير تطبيقية اى لا تهدف الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع او كان موضوع البحث لا يتسم بالشمول ولا يدرس ككل فى علاقاته المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الاخرى ، واذا كان الباحث العلمى لا يهتم بربط النظرية بالتطبيق ، فانه من الملاحظ ان ترجمة نتائج هذا البحث الى برامج والى تشريعات والاستفادة منها فى التخطيط لا يمكن ان تتحقق .

ولعل ما قلته فى هذه النظرة سبق ان قلته قبل ذلك فى دراسات اخرى . وأرجو المعذرة من القارىء اذ اكرر نفسى · ذلك لأن البعض اذ يعترف باسهامات العلم العصرى وتأثيره الايجابى على الحياة الانسانية ، يتمسك عادة بآثاره السلبية المتوقعة . وترى هذا البعض يتشدق فيضرب الامثلة اذ يرى ان العلم قد فشل فى محو ما يترتب على شيخوخة الانسان أو احـزانه او وحـدته . ويتناسى أمجاد علوم الطب الاساسية والتطبيقية فى سبيل الاقلال من وفيات الأطفال الرضع ورفع سن الحياة فى محيط الرجال والنساء فضلا عن التقدم الهائل ليس فقط فى مكافحة أمراض شلل الأطفال والدفتيريا والتيفويد والالتهاب الرئوى والسل وغيرها ··وغيرها بل فى الوقاية منها ومن غيرها · وقد يزداد تشدق هذا البعض فيذكر ان العلم العصرى لم يزل احزان الناس وبخاصة اذا كان الحزن على عزيز فقد ، كما لم يعمل فى سبيل انقاذ بعض اعضاء المجتمع من الوحدة ، والملاحظ ان البعض الذى يتشدق بهذه الترهات قد قال ما قال على وجه الاطلاق ودونما موضوعية ، أى دون ان يخصص اى المجتمعات قد قصده ·

٢ ـ النظـرة الى نشـأة مهنة البحث العلمى الاجتماعى

كان البحث العلمى ، بمعناه الحديث ، فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر حتى أوائل القرن الحالى مقصورا على العلماء الأجانب فقد اهتم هؤلاء العلماء بدراسة المجتمع المصرى دراسة موضوعية لعوامل

سياسية فى معظم الأحوال · وذلك بقصد فهم هذا المجتمع للاستفادة من امكاناته ولاستغلال ابنائه ·

ولعل المبعوثين المصريين الاوائل قد عرفوا الكثير عن المجتمع المصرى فى اثناء دراساتهم فى اوروبا ثم فى امريكا من بحوث ودراسات قام بها علماء اجانب او من كتب تضم هذه البحوث والدراسات ·

واقتصر اهتمام المفكرين المصريين فى تلك الآونة على الدراسات النظرية الدينية والفلسفية والأدبية فى معظم الأحوال · ولم يتغير هذا الاهتمام الا بعد الحرب العالمية الأولى حين انشئت الجامعة المصرية فى عام ١٩٢٥ التى خلقت نمطا من المناخ الثقافى اتاح لعدد قليل من المفكرين المصريين الاهتمام بالدراسات النظرية النفسية ثم بالدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية · وكان معظم الجهد المبذول فى هذا المجال هو جهد ترجمة بعض الكتب التى تتضمن هذه الموضوعات الى اللغة العربية · وقد انشىء فى كلية الآداب بالجامعة فى ذلك الحين قسم مستقل لتدريس علم الاجتماع ، سار على نهج المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى بدأها « اوجست كونت » فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأرسى قواعدها « أميل دوركايم » فى أواخر ذلك القرن وفى اوائل القرن الحالى · وقد اثرت هذه المدرسة فى طابع الدراسة فى هذا القسم ·

ومنذ انشاء الجامعة المصرية حتى عام ١٩٣٦ لم يتغير اتجاه المفكرين المصريين نحو الدراسات النظرية لعلوم النفس والتربية والاجتماع والانثروبولوجيا الى الدراسات الواقعية التى تهدف الى دراسة المجتمع المصرى الا قليلا · فقد شذ عدد قليل منهم واجروا بحوثا واقعية عن موضوعات تتعلق بهذه العلوم · منها دراسات اسماعيل القبانى فى علم التربية وعلم النفس ، ودراسات يعقوب فام فى علم التربية ودراسات مصطفى عامر عن بعض مشاكل السكان فى مصر ، ودراسات الأب عيروط اليسوعى عن الفلاحين المصريين التى نشرها بالفرنسية فى أواخر الثلاثينيات وترجمت الى اللغة العربية فى أوائل الأربعينيات ·

ولم تبدأ الجهود الجماعية التى كرست للبحث العلمى الواقعى فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر الا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، عندما أنشئت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ·ولعل القلق الذى كان يستحوذ على قوى المجتمع الخلاقة ، ولعل وطأة الحاجة الى ايجاد

بعض الحلول فى سبيل مواجهة المشاكل الاجتماعية الصارخة فى ذلك الحين ، فضـــلا عن توقيع المعاهدة ـ لعل كل ذلك قد اتاح الفرصة لبعض المفكرين المصريين لانشاء هذه الجمعية · وكان لسان حالهم كان يقول : « ان قوى الشعب الخلاقة قد اســتنفدت كلها فى ميدان السياسة . اما وقد حصلت البلاد على الاستقلال ! فقد آن الأوان أن توجه هذه القوى نحو القضاء على المشاكل الاجتماعية القائمة » ·

وقد ضم أول مجلس ادارة لهذه الجمعية بعض الصامة من المصريين وبعض العلماء والمفكرين منهم ، فضلا عن بعض المفكرين الأجانب · واتجهت أهداف الجمعية نحو حل المشاكل الاجتماعية فى الريف وفى محيط العمـــال وفى محيط جناح الاحداث على هدى نتائج البحوث العلمية الواقعية فى هذه الميادين · واستخدمت فى سبيل ذلك أنماطا كثيرة من البحوث ســـواء كانت بحوثا طويلة الأمد أو بحوثا قصيرة الأمد · ومن هذه البحوث نجد البحوث المسحية كبحث مشكلة الفقر فى مصر فى عام ١٩٣٨ ، ومنها بحوث العمـــل الاجتماعى (Social Action Research) كبحث مشاكل الريف فى قــريتى المنايل وشطانوف فى عام ١٩٣٩ · فضلا عن بحوثدراسة الحالة كدراســة حالات الأحداث الجانحين التى كانت تعرض على محكمة الأحداث بالقاهرة فى عام ١٩٤٠ وما بعده · وبالاضافة الى كل ذلك بعض البحوث الواقعية التى كانت تطلب من طلبة مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة ، التى أنشئت فى عام ١٩٣٧ ، كشرط ضرورى للحصـــول على البكـالوريوس فى الخـــدمة الاجتماعية من هذا المعهد ·

والملاحظ أن العنصر الأجنبى فى هذه الجمعية ، فى ذلك الحين ، كانت له السيادة الفكرية على اتجاهات تحقيق اهدافها · ولعل الاتجاه نحـــو البحث العلمى ، بمعناه الحديث ، فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها أن يكون مرجعه الى سيادة هذا العنصر · مع ملاحظة أن البحوث والدراسات التى أجريت فى ذلك الحين قد تم اجراؤها على هدى الاتجاهات الغربية التى كانت سائدة وأهمها الاتجاهات الوضعية التى قصد بها البرهنة على أبدية الرأسمالية وتبرير وجودها · وكانت الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى فى ذلك الحين دعوة ملحة ! على أن تكون الجهود نحو هذا الاصلاح الاجتماعى ، لكى تؤتى ثمارها ، مبنية على دراسات متعمقة ودقيقة للظروف الاجتماعية كما هى موجودة فى المجتمع المصرى فضلا عن المشاكل والمبادىء التى يجب أن تواجه ، وأن الخطوة الأولى نحو الاصلاح الاجتماعى هى الدراســـة

الدقيقة للظروف الأجتماعية التى يقوم بها اشخاص قد تدربوا خصيصا لهذا الغرض ، وان يكون حماسهم للعمل لا يقبل اى شك ٠

ويعزز الرأى السابق ما انتهى عليه تقرير « بحث مشكلة الفقر فى مصر عام ١٩٣٨ » عندما طرح السؤال عن الجدوى من اجراء هذا البحث اذا كانت نتائجه معروفة وشائعة ٠ وكان الجواب على هذا السؤال انه « كما أن دورة الأجيال الانسانية تتكرر بلا نهاية ، كذلك هذه النتائج الشهيرة الشائعة ستستمر فى هذه الدورة وهى متنكرة فى ثياب اللاهوت ، أو فى ثياب الخرافات أو فى ثياب السياسة الخرقاء ، أو فى ثياب عدم تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية ٠ والدراسة الحالية قد نجحت فى الكشف عن العناصر الشريرة وأبرزت شرها وخبثها ومقتها وتهديدها ، بل نجحت فى الكشف عن عجزها الذاتى فى مواجهة القضاء عليها اذا عقد العزم على مكافحتها والقضاء عليها » !

وبالاضافة الى أن اللجنة التى كانت تشرف على بحث مشاكل الريف فى قريتى المنايل وشطانوف قد وضعت فرضا معقولا تحاول اختباره وهو : أن حدوث أى تغيير حقيقى الى الأفضل يستدعى معاونة القرويين أنفسهم ويعتمد على رغبتهم فى هذا التغيير ، اما اذا لم توجد الرغبة من جانب القرويين فلابد من العمل على ايجادها ـ فان هذه اللجنة قد وضعت لنفسها اسسا وقواعد تسير على هديها ، منها :

١ ـ ان عمل المرحلة الأولى هو بمثابة تمهيد أولى للتجربة التى ستليه٠

٢ ـ ان اللجنة لا يمكن أن تتبع اية طريقة معينة للتغيير حتى تتم البحوث والدراسات نهائيا ٠ فالظروف المحلية هى التى ستفرض دون غيرها التحسينات التى يمكن ادخالها فى القرية ، كما ستقرر ترتيب أولويتها ٠

٣ ـ ان المفروض أن التجربة التى تشرف عليها اللجنة هى تجربة علمية وعليه فلابد من الاقلال من التخمين بقدر المستطاع ٠

٤ ـ ان اللجنة المشرفة على التجربة ستأخذ فى اعتبارها كل ناحية من نواحى النشاط الصحى والاقتصادى والتربوى والاجتماعى وكل ما من شأنه أن ييسر رفع المستوى العام فى القرية ٠

٥ ـ ليس غرض اللجنة انشاء قرى نموذجية ٠ وانما الغرض هو اكتشاف الصيغة الملائمة لاصلاح الحياة القروية والتى يكون من المتيسر

اتباعها فى قرى مصرية أخرى ٠ولا ينبغى أن يظن أن كل ما يعمل فى القريتين التجريبيتين فى الوقت الحاضر سيعاد عمله فى القرى الأخرى ٠ فاللجنة ستعلم عن طريق التجارب بعض الوسائل غير الصالحة كما ستعلم بعض الوسائل الصالحة ٠ ولا تتوقع اللجنة أن يكون من الضرورى انشاء مركز لرعاية الطفل ووحدة طبية فى كل قرية مصرية !

٦ - وحتى تستكمل التجربة وتتحقق الخبرة الكاملة عن كل الظروف ، فانه من الضرورى الاهتمام بالقريتين التجريبيتين أكبر الاهتمام ، الأمر الذى لا يتوقع عمله فى جميع القرى المصرية ٠

٧ - ولكى تتحقق أغراض التجربة ، فانه من المتوقع انفاق مبالغ كبيرة نسبيا لا تكون هناك ضرورة لانفاق مثلها بعد اجراء التجربة ، والملاحظ أنه أرخص لنا أن نرتكب بعض الأخطاء فى قريتين اثنتين ، مثلا من أن نرتكب نفس الأخطاء فى آلاف القرى المصرية الأخرى ٠ واذا عرفنا الاجراء السليم فاننا سنوفر الوقت والمال عند تطبيق التجربة على مدى أوسع ٠ ومن المعلوم أن الشركات الكبيرة مثل الشركة العامة للكهرباء (General Electric) والشركة العامة للسيارات (General Motors) تنفق ملايين الدولارات لاكتشاف جهاز بسيط يمكن بيعه للجمهور بقيمة زهيدة لا تتجاوز السنتيمات !!

٨ - لا يمكن أن نتوقع حدوث معجزة ، أو أن نتوقع اكتشاف صيغة الاصلاح فى وقت قصير ٠

٩ - ان اللجنة على أتم استعداد لتحمل العمل الشاق مدة طويلة حتى تصل فى النهاية فى خلال الجيل الحالى ، ان أمكن ، الى نتائج صائبة فى ميدان اصلاح القرية المصرية ٠

ولعل القارىء قد لاحظ أنه على الرغم من الدعوة الحارة الى اجراء البحوث العلمية من اجل مواجهة المشاكل الاجتماعية الخطيرة التى كانت تواجه مصر منذ عام ١٩٣٧ وما بعده ، فان هدف هذه المواجهة لم يعد غير الاصلاح واجراء بعض التحسينات ! لم يكن الهدف فى ذلك الحين التغيير الجذرى ٠ ويرجع ذلك ، كما رأينا ، الى سيادة الاتجاهات الغربية غير التقدمية الواردة من البلاد الأوروبية والأمريكية وبخاصة التى تتجاهل « الصراع » بانماطه وتتبنى فى نفس الوقت وجهة النظر ذات الجانب الواحد

التى تدعو الى تبرير وجود الوضــــع الراهن (الاتجاهات الوظيفية البنائيـــة مثـــــلا) .

وبحوث دراسة الحالة التى كانت تجرى على حالات الاحداث الجانحين التى كانت تعرض على محكمة الاحداث بالقاهرة كانت لها نفس الاهداف ، اى أهداف الاصلاح الاجتماعى ! فقد كان الغرض الاساسى من القيام بخدمـــــات اجتماعية فى محاكم الاحداث هو معاونة القاضى فى وظيفته كمربى للأحـــداث وحام للطفولة ، فيكون الاخصائى الاجتماعى بمثابة حلقة الاتصال بين القـــاضى وأسرة الحدث والحدث نفســه ، وما بين هؤلاء وبين المؤسـسات المختلفة ، سواء كانت حكومية أو أهلية ، التى تعنى بالحدث لسبب أو لآخر . وكـــانت أهم الخطوات التى تتبع فى سبيل تحقيق هذا الغرض الأساسى ما يلى :

١ ـــ القيام ببحث دقيق لحالة كل حدث والبيئة التى يعيش فيها وعلاقة هذا كله بأعمال التشرد أو الأجرام التى تصدر عنه . ويشفع مثل هذا البحث الاجتماعى ببحث حالة الحدث الصحية والنفسية ولذا يكون فى متناول القاضى المعلومات الدقيقة التى يستنير بها فى فهم حالة كل حدث .

٢ ـــ اقتراح الحل الملائم لكل حالة تعرض سواء فيما يتعلق بالتربيـــــة أو المعالجة النفسية أو بتغيير بيئة الحدث أو بالحاقة باحدى المؤسسات التى تلائم حالته الخاصــــة .

٣ ـــ المساعدة فى تنفيذ العلاج المقترح وبوجه خاص مراقبة الحــــــدث وأسرته اجتماعيا والتأثير الصالح فى كل منهما !

ويجب أن يلاحظ أن أنماط البحوث والدراسات السابقة وان كانت تجرى فى ظل اتجاهات غير تقدمية ، فانها ـــ ما فى ذلك من شك ـــ كانت بداية على الطريق . كانت هذه الانماط من البحوث والدراسات محاولة لترشيد العمل الاجتماعى فى ضوء العلم ، وتأكيد ضرورة هذا العلم فى مواجهة الرواسب البالية التى يزخـــــر بها التراث الثقـــافى المصرى فى ذلك الحين ، ثم تهيئـــة اذهان المصريين لاقتحـــام البحث العلمى فى ميـــادين العلوم الاجتماعية ومجـــــالاتها .

واستمرت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية تعمل فى هذا الاتجاه . واعتبرت فى ذلك الحين مركزا لتشجيع البحث العلمى الواقعى فى محيط العلوم الاجتماعية وبخاصة علوم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا . وفى عام ١٩٤٢ انشأت الجمعية مكتبا للبحوث الاجتماعية وكانت أهدافه القيام باجراء البحوث

الاستقصائية كبحث الملكية الزراعية وبحث أجور العمال الزراعيين مثلا . وكان اهم البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية والانثروبولوجية التى أجريت منذ انشاء الجمعية حتى قيام ثورة عام ١٩٥٢ قد قام بها مصريون كانوا أعضاء فى الجمعية ، او مصريون من غير الاعضاء استفادوا من المناخ الثقافى الاجتماعى الذى خلقه وجود هذه الجمعية ، أو من الحقائق التى جمعتها اجهزة الجمعية كمكتب البحوث الاجتماعية أو مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الاحداث أو احد المراكز الاجتماعية الريفية فى قرى المنايل وشطانوف ثم المجايزة .

ومع ذلك فالملاحظ أن البحوث الواقعية التى أجريت فى تلك الفترة كانت بحوثا قليلة . وكانت ـ كما سبق أن أوضحنا ، فى ضوء الايديولوجية السائدة ـ كلها ، تتجه نحو العلاج فى معظم الأحيان ، ونحو الوقاية فى أحيان قليلة . وهى لم تتجه أبدا نحو التنمية الشاملة بمعناها الحديث . صحيح كانت بحوثا ودراسات رائدة وتهتم بالتطبيق ولكن أهدافها كانت محدودة وكانت الجهود التى تبذل فى اجرائها متفرقة لاتضمها خطة واضحة المعالم .

وفى عام ١٩٥٥ ولدت مهنة البحث العلمى ، بمعناه الحديث ، فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر ، حين أنشىء المعهد القومى للبحوث الجنائية . ولأول مرة فى تاريخ البلاد اتيح للمصريين أن يمارسوا هذه المهنة فى ميادين العلوم الجنائية : علوم القانون والاجتماع والنفس والعقاب والكيمياء والطبيعة والطب ، فضلا عن العلوم الشرطية . ولأول مرة فى تاريخ البلاد وجدت المؤسسة القومية التى تلم شعث الجهود المتفرقة التى كانت تمارس البحث العلمى فى ميادين هذه العلوم ومجالاتها قبل ذلك . وفتح هذا المعهد منذ لحظة انشائه حتى تطوره الى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن ، ذراعيه لكل من يجد فى نفسه الرغبة فى اجراء البحث العلمى . أو القدرة على ذلك ، أو يجدهما معا .

واصبح المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية منذ صدور قانون انشائه رقم ٢٢١ لسنة ١٩٥٩ يمارس البحوث العلمية الواقعية بأنماطها فى معظم ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها . فبالاضافة الى العلوم الجنائية المشار اليها نجد علوم الانثروبولوجيا والتربية والسياسة والسكان والاحصاء تعمل جنبا الى جنب . وتعتبر البحوث التى اجراها المعهد القومى للبحوث الجنائية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية كلها بحوثا رائدة .

ويمكن أن يقال بحـــق أن المركز صاحب الفضـــل فى تطوير المدرســــة الفكرية لعلم الاجتماع بعد ثورة ١٩٥٢ . فمنذ انشـــائه قد نهج نهجـــا علميا فى تدريب باحثيه الجدد ، واتاحة الفرصـــة لهم للتزود بالمعرفة على اختلاف الوانها ، وفى التفرقة بين الدراسات المكتبية التى تعتمد أساسا على المصادر العلمية المكتبية والوثائق والاحصـــاءات وبين البحوث الميدانية . واصبح المركز بعد عام ١٩٥٩ أشبه بجامعة صغيرة للبحث العلمى . وأصبح يضم خمس وحدات لبحوث التصنيع ، والريف ، والرأى العام ، والبحوث النفسية والتربوية ، وللاسرة وذلك فى شعبة البحوث الاجتماعية ، كما يضم أربع وحدات لبحوث السـلوك الاجرامى ، والأحداث ، والعقوبة والتدابير الاصلاحية ، وكشف الجريمة ، فى شعبة البحوث الجنائية * .

ونقل ما كتب عن فلسفة المجلة الاجتماعية القومية وعن أهدافها التى اصدرها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، فى أول عدد لها فى شهر يناير عام ١٩٦٤ ، أى بعد صدور القرارات الاشتراكية فى شهر يوليو عام ١٩٦١ ، أن يلقى الضوء «رسميا» على فلسفة المركز وأهدافه . فقد تساءل رئيس تحرير المجلة « ما هى الفلسفة التى تحملها هذه المجلة وما أهدافها ؟ » وكانت الاجابة على هذا السؤال فى ثلاث نقاط هى :

١ ـ ان العلوم الاجتماعية ، وقد أخذت بالأسلوب التجريبى فى وقـــت متأخر ، أصغر سنا من العلوم الطبيعية . ونظرية المجتمع البشرى كما جاءت فى فكر الاغريق وغيرهم من القدماء تنتسب الى عصر لم يكن الانسان قد ألم فيه بعد بطرف مذكور من اسرار الطبيعة وكان لابد أن تحدث ، أولا ، نهضة فى العلوم الطبيعية تشحذ العقل البشرى وتفتح آفاقه ، حتى يكتشـــف مناهج جديدة فى نظرية المجتمع .

(*) فى ضوء مشروع الهيكل التنظيمى لهيئة بحوث المركز يصبح الآن فى المركز اربع شعب هى :

شعبة بحوث المجتمعات والفئات الاجتماعية وشعبة بحوث مؤسسات وقوى التنمية الاجتماعية وشعب بحوث الجريمة والســياسة الجنائية وشـــعبة بحوث الجوانب الكيميائية والبيولوجية للمشكلات الاجتماعية وزاد عدد اقسام المركز الى ١١ قسما فضلا عن المشروعات البحثية الكبرى .

لقد كان فلاسفة المجتمع يطمعون فى كشف معمياته وحل مشـــكلاته عن طريق التأمل والمنطق بغير أن يفتشوا عن الحقيقة الاجتماعية ، بـــداءة فى « تربة المجتمع » وأنفاسه الحية . ان التطور الحديث فى مناهج البحث العلمى فى المجتمع قد طرح هذا الأسلوب التجريدى ، أو قرن اليه ، العمل الميدانى الذى أدخل تحولا فى معرفة الانسان لنفسه وخلص هذه المعرفة من الكثير من الأفكار المسبقة والمضاربات الفكرية •

واذا كنا نعلق على المنهج التجريبى فى دراسة المجتمع الآمال الكبـــيرة فاننا نود ألا ننسى أن المجتمع ليس علما محضا بل يعيش ايضا بالانسانيات كالدين والأخلاق والفلسفة بكل ما يلابسها من القيم والمثل والانفعالات •
وقد كانت هذه الصلة أوضح فى الماضى عندما كانت ذاتية العلوم الاجتماعيـــة اقل وضوحا وعندما كانت العقائد الدينية والتقاليد الاخلاقية أشد ارتباطـــا بها وعندما كانت الفلسفة هى المرجع الأم لكل أبحاثها • واذا كان العقل البشرى يسعد بالمنهج العلمى التجريبى الذى تتبناه العلوم الاجتماعية اليوم فانـــه جدير بالا يقع فى خطيئة الانفصال التام ، فى ادراك المجتمع ادراكا عميقا ، عن عـــالم الانســـانيات . ان المجتمع لم ولن يكـــون أبدا مـــادة بغـــير روح أو « أنبوبة اختبار » فى يد الباحثين يسلط عليها اللهب وينتظر كيف يكون التفـــاعل •

ان « المجلة الاجتماعية القومية » تسعى الى النهوض بالمنهج التجريبى فى دراسة المجتمع من أجل اقامة بنيان قوى من الحقائق الاجتماعية دون ان تسعى الى « ميكنة » المجتمع وتجريده من عناصره الانسانية .

٢ — ان المجتمع لن ينقسم أبدا بعدد العلوم الاجتماعية . ان المجتمـــع واحد . وعلم المجتمع واحد . ان علم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس وعلم الاقتصاد وعلم السياســـة وعلم القانون وعلم التاريخ — كلها فى حقيقتها قطع متكاملة فى أسطول واحد يســـعى الى ضـــفاف الحقيقة الاجتماعية وموضوعها الانسان فى المجتمع •

ان « كونت » هو القائل بأن الدراسة المتخصصة — حتى فى مجـــال العلوم الطبيعية — يجب ان تكون على صـــلة وثيقة مســـتمرة بالدراسة فى الميادين المجاورة • وان المتخصصـــين الذين لا ينظرون الى ما بعد حدودهم جديرون بأن يروا الاشياء فى نسب خاطئة ويحرمون انفسهم من الاستبصار الذى يولده التقدم فى كل علم اذا قورن وقيس بالعلوم الاخرى . ولابد مـــن

التضافر بين العلماء وان يتجهوا بجهودهم الى اذابة الحدود الصناعية الفاصلة بين العلوم الاجتماعية عن طريق النظر المتبادل واستعارة المناهج وتنسيق النظريات والمشاركة فى البحث ٠

ان ((المجلة الاجتماعية القومية)) تسعى الى تحطيم الحدود التقليدية بين العلوم الاجتماعية وتبادل الاتصال بينها ٠ هذا الاتجاه هو طريق الأمل نحو علم المجتمع المتكامل الذى يتسع صدره لكل المعارف التى تتناول المجتمع الانسانى ٠

٣ — ان العلم لايقاس الا بمقدار ادائه لوظيفته الاجتماعية سواء كان علما طبيعيا أو اجتماعيا . وقد يثور الجدل فى مدى استعداد العلم الاجتماعى فى الآونة الحاضرة للقيام بما ينتظره وفى مدى كفايته كأساس للتكنولوجيا الاجتماعية ٠ الا أن هذا الجدل لا يخفى مع ذلك حقيقة بارزة وهى أن العلماء مواطنون أولا والمجتمع ينتظر من علم المجتمع ، سواء بلغ اشده او لم يبلغه ، ان يمد يد المعونة على قدر طاقته وفى حدود أمكاناته .

ان « المجلة الاجتماعية القومية » تسعى الى تنمية التكنولوجيا بالاستعانة المنتظمة بنتائج البحث العلمى الاجتماعى فى التخطيط الاجتماعى والسياسة الاجتماعية ٠

تلك كانت فلسفة المركز واهدافه التى اعلنت رسميا فى العدد الاول من المجلة الاجتماعية القومية فى يناير عام ١٩٦٤ . واننى لا أعلق على هذه النقاط الثلاث ، ويترك ذلك للقارىء . وان جاز لى التعليق فانه يلاحظ أن الاستعانة المنظمة بنتائج البحث العلمى الاجتماعى فى التخطيط الاجتماعى والسياسة الاجتماعية لم يتم تحقيقها أبدا . وذلك لأن رأى المركز فيما يحال عليه من المسائل الاجتماعية ، فى ضوء قانونه ، رأى استشارى ٠ وانه اذا وجدمستوى معين من التخطيط الاجتماعى فى مصر فان السياسة الاجتماعية غير موجودة ! وبالاضافة الى ذلك فاننا نذكر أن ابن خلدون قد قال قبل ظهور مفكرى النظام الراسمالى والنظام الاشتراكى ، بوجوب اتخاذ « الاجتماع الانسانى » موضوعا لعلم مستقل ٠ وسمى هذا العلم باسم « علم العمران » (أى التساكن والتنازل فى مصر ، أو حلة للانس بالعشير واقتضاء الحاجات) ٠ وقال ابن خلدون عدة مرات بأن موضوع هذا العلم هو « العمران البشرى والاجتماع الانسانى » ٠ مع ملاحظة أن علم العمران عند ابن خلدون كان علما شاملا ٠ لأنه يعتبر الحياة السياسية والاقتصادية

والصناعية والعلمية من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وينظر الى الابحاث المتعلقة بها كفروع لعلم الاجتماع .

وعلى الرغم من اعلان فلسفة المركز وأهدافه رسميا فان أعضاءه كانوا يعملون في ظل تخصصاتهم التى تعلن عن الخلفية النظرية التى تعتمد عليها هذه التخصصات احيانا ، أو لا تعلن عن هذه الخلفية أحيانا أخرى . واستمر المركز يعمل في ظل هذا المناخ الثقافى حتى واجه المجتمع المصرى هزيمة يونيو في خلال عام ١٩٦٧ . وعانى أعضاء المركز أزمة هذه الهزيمة ، وعانوا من ذلك معاناة كبيرة . وفي خلال عام ١٩٦٨ نشأ حوار مستمر في محيط أعضاء المركز حول كثير من الامور . وكانت أهم هذه الامور ضرورة وضع سياسة علمية للمركز بالنسبة المعالم والاهداف حتى يسير على هديها في بحوثه ودراساته وغيرها من النشاطات الاخرى . وفي خلال المدة من يوم ٢١ من شهر ابريل عام ١٩٦٩ حتى يوم ١٢ من شهر مايو عام ١٩٦٩ بدأ مجلس الخبراء بالمركز العمل في شكل لجنة لانجاز هذه المهمة . وقد جرت المناقشات على هدى مذكرات مكتوبة تدمها الأعضاء تعبيرا عن وجهات نظرهم .

وحول موضوع وضع « سياسة علمية للمركز » دارت مناقشات طويلة . فقد رأى بعض الأعضاء أن الموضوع المطروح على بساط البحث هو تطوير السياسة العلمية للمركز وليس وضعها . ويستند هذا الرأى الى بعض الحقائق التى يتضمن اهمها أن المركز منذ أن كان « المعهد القومى للبحوث الجنائية » في عام ١٩٥٥ ، ومنذ أن أعيد تنظيمه وصار « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية » كان يعمل في ظل قانون ، وكانت له أهداف ومجالات عمل ، وكانت له انجازات ثمينة في محيط باحثيه وخبرائه ، وكانت له انجازات أخرى في شكل البحوث التى قام باجرائها والبرامج التدريبية التى أشرف عليها فضلا عن المؤتمرات والحلقات والندوات التى عقدها ودعا اليها واشترك فيها والمنشورات التى قام بنشرها .

في هذا الضوء يرى هذا الرأى أن المركز كانت له فعلا «سياسة علمية» بصورة أو باخرى ، عمل المركز على هديها في خلال المرحلة الماضية من عمره. ونحن الآن بصدد تطوير هذه السياسة ولسنا بصدد وضع سياسة علمية للمركز لأول مرة . ويبدو أن اللبس القائم بين الاعضاء كان مرجعه الى أن ادارة المركز في المرحلة الماضية من عمره قد احتفظت وحدها ، أى دون اشراك العاملين في المركز ، بحق وضع هذه السياسة .

وقد تناولت مناقشات الاعضاء اهمية موضوع تطوير السياسة العلمية للمركز · وأكدوا بما يشبه الاجماع أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به المركز فى عمليتى التنمية والتطور الاجتماعى فى المجتمع المصرى فى ذلك الوقت وقد ابرزوا الظروف الهامة التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر ومنها ظـــروف التغيير الاجتماعى الثقافى الشامل السريع ، والتحديات الخارجية والتحديات الداخلية ومنها حالة المجتمع منذ شهر يونيو عام ١٩٦٧ حيث يعيش المجتمع المصرى فى حالة اجتماعية نفسية غير عادية ، وحيث تتضـــــح جليا ضرورة مواجهة كل ضروب الانحراف والسلبية التى سرت عدواهـــا الى كثير من مؤسسات المجتمع وذلك بدراستها وتحليلها ومحاولة الحد منها .

واستغرقت المناقشات حول مفهوم السياسة العلمية وقتا طويلا . وكان الاجماع ضد وضع تعريف معين للسياسة العلمية فى المرحلة الحالية · ولكن الاجماع كان مع تحديد أهم العناصر التى تتضمنها أو يجب أن تتضمنها السياسة العلمية بعامة ، والسياسة العلمية للمركز بخاصة · وانتهى الأمر الى الاتفاق على بعض العناصر ، هى : وظيفة المركز ، واهداف المركز ، والأيديولوجيـــة التى يعمل فى ظلها المركز ، ومناهج البحث الاجتماعى ، ومجالات العمــــل بالمركز ، واخيرا وضع خطة علمية للمركز .

وفى ضوء طبيعة الدراسة الحالية فانها تتضمن كل مادار حول موضـــوع « الأيديولوجية التى يعمل فى ظلها المركز » من مناقشات فحسب . ولعل ذلك أن ييسر الكشف عن الخلفية النظرية للذين اشتركوا فى هذه المناقشات . ومن ثم ييسر الكشف عن الخلفية النظرية السائدة التى توجد بين جنبات المركـــز » ، وهو معقل مهنة البحث العلمى فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتهـــا فى مصر فى الوقت الحاضر ·

تناول بعض الاعضاء موضوع الايديولوجية التى يجب ان يعمل فى ظلها المركز ، كموضوع أساسى ، فى مذكراتهم ولم يتنـــاول البعض فى مذكراتهم هذا الموضوع ! وتناول البعض هذا الموضوع فى مذكراتهم كموضوع ثانوى ! وفى أثناء المناقشة حاول الكثيرون أن يعرضوا آراءهم ·

وقد لوحظ خلاف الاعضاء حول موضوع الايديولوجية · قال بعضهم ان باحثى المركز هم بعض أعضــــاء مجتمعنـــا المصرى المعاصر . وهم اذ يعملون لا يمكن ان يعملوا فى فراغ ايديولوجى . فهم يعملون بالضرورة فى ظل مناخ ثقافى معين وفى ظل أوضاع ثقافية اجتماعية اقتصادية سياسية معينة واسهام

باحثى المركز فى ضوء تحقيق اهدافه ، **يجب ان يهتدى بقيم المجتمع المصـــرى** ومبادئه ومثله العليا • أى **يجب أن يكون هذا الاسهام فى ظل الايديولوجية الاشتراكية العلمية** التى اختارها مجتمعنا فى ذلك الحين .

وقال احد الاعضاء ان وظيفة المركز وأهدافه ترتبط بموضوعين هامين. اولهما : **الفلسفة الاجتماعية** وهى موقف تجاه الانسان والعلاقات الاجتماعية والمجتمع والحياة بصفة عامة — طبيعة كل منها وغايته — يتخذان صـــــراحة او ضمنا أساسا للفعل الاجتماعى . وثانيهما : **السياسة الاجتماعية ، وهـــى برنامج لتحقيق الأهداف الاجتماعية التى تستتبعها الفلسفة الاجتماعية** • ورأى هذا العضو ان من الأمور الهامة التى يجب أن تناقش فى **هـــذا الصـــدد أمرين.** اولهما : **حرية الباحث الاجتماعى أو التزامه** • والثانى : **معيار المفاضلة** بين السياسات الاجتماعية المختلفة . فالمناقشة الجادة فى هذه الموضـــــوعات ضرورة لانها فى ضوء نتائجها تحدد ما اذا كان جهد ما سيبذل والمسار الذى يسلكه • **ولاحظ هذا العضو أنه ليس هناك ما يمكن أن نسميه فلســـــفة اجتماعية واضحة محددة المعالم ، وبالتالى فان الكلام فى الالتزام صراع فى غير ميدان ، وتفضيل سياسة اجتماعية على أخرى لا يقوم على حجـــــة مقنعـــة •**

وذكر عضو آخر وهو **يتناول هذا الموضوع أنه مما يؤثر بصورة لا تقبل** الشك على مستقبل البحوث والدراسات هو انتماء الباحث **الى معتقدات** وايديولوجية خاصة مما يعرضه **الى نوع من القهر الايديولوجى** يمارس قوته على تصور الظواهر واختيار موضوعات البحث ومناهجها وأدواتها من جهة ، وتجنب مصادمة المؤسسات التى تتبنى هذه المعتقدات والافكار من جهـــة أخرى . وهو يرى أنه قد يتم ذلك على المستوى الشعورى أو اللا شعورى بالنسبة للباحثين العلميين ، ومن ثم تصبح **حرية** البحث العلمى **وحصـــــانة الباحثين** شرطا ضروريا لأية سياسة علمية يرتجى منهـا تحقيق الهدف من موضوعية البحث العلمى .

وقدم عضو آخر تعريفا لمفهوم الايديولوجية من وجهة نظر اخرى . وهو يرى أن الاشتراكية العلمية هى **أيديولوجية علمية وثورية وتقدمية للطبقة العاملة** • وذكر هذا العضو أنه بينما تقف الاشتراكية العلمية فى هــــذا **الجانب** ، تقف الفلسفة المثالية التى **تعتنقها البرجوازية** وتســـخرها للدفاع عن مصالحها الطبقية ضد جموع الشعب العامل فى جانب آخر مختلف تماما. **ولا** سبيل بالتالى الى اى لقاء بين الايديولوجيتين . وقد اكد هذا العضـــو

عند التحدث عن موضوع حرية الباحث أنه موضوع على جانب كبير من الحساسية والأهمية . لانه يرى أن احد الأهداف الرئيسية للتحول الاشتراكى هو الحرية بمفهومها العلمى ، وعدم الاكتفاء بالمفهوم المثالى الليبرالى فى هذا الصدد . ويرى هذا العضو التأكيد على احترام الحرية الشخصية للباحث بمعنى أن تكفل له الحرية التامة فى معتقداته ما دامت لا تتعدى هذه المعتقدات الدائرة الشخصية الى محاولة تخريب البحث العلمى الاجتماعى ، فى حالة تعارض أيديولوجيته الخاصة مع أيديولوجية المجتمع . ويستند هذا الرأى ، كما ذكر هذا العضو ، الى أن فى المجتمع الاشتراكى يتم تمويل مراكز البحث العلمى عن طريق دولة الشعب العامل ومن غير المعقول أن يترك المجال لتمويل بحوث تخدم الثورة المضادة لمصالح الشعب العامل . واذ يرى هذا العضو أن الفصل بين الأيديولوجية ، على المستوى الشخصى ، وتدخل الباحث فى توجيه البحث العلمى الاجتماعى مدفوعا بأيديولوجيته أمر واضح التعسف ، يرى أن التطبيق السليم للاشتراكية العلمية يستطيع أن يتغلب على هذا الموقف بالتربية السياسية الحزبية والثورة الثقافية . وقد لاحظ هذا العضو ملاحظة بالغة الأهمية والخطورة معا ، هى أن الباحث فى حدود انسجامه على نحو عام مع أيديولوجية المجتمع (فى مجتمع اشتراكى مثلا) ، قد يتعرض أحيانا عند اختياره لمشكلة البحث وكذلك عند تفسيره للنتائج ـ بالهجوم على عدد من المسئولين عن التطبيق الاشتراكى الذين قد ينحرفون . وقد يشكل هؤلاء مركزا من مراكز القوى فى المجتمع ، الأمر الذى يعرض الباحث للاضطهاد . هنا يرى هذا العضو وجوب كفالة حرية الباحث تماما ، وان رأى ان هذا الكلام لا يعدو المستوى النظرى فى غيبة تنظيم سياسى فعال ورقابة شعبية حقيقية واعية على الأجهزة البيروقراطية .

ويلاحظ ، فى ضوء ما سبق ، أنه بالاضافة الى ما اثير حول موضوع الايديولوجية ، اثيرت أيضا موضوعات الاشتراكية العلمية وحرية الباحث الاجتماعى والتزامه وحصانته وموضوعية البحث العلمى . وقد نوقشت كل هذه الموضوعات فى اسهاب . وأدلى كل عضو من الاعضاء الآخرين بدلوه . وقد ذكر أن الايديولوجية المصرية تقدمية ، فنحن نعمل فى المجال الاشتراكى لتحقيق مزيد من العدالة الاجتماعية . وأن الاشتراكية المصرية هى اشتراكية علمية لأنها فى الواقع الاشتراكية المؤمنة بالعلم . ونحن فى ضوء الواقع المصرى ننشر الاشتراكية المعتدلة . ومن حق الدولة على المركز كمؤسسة من مؤسساتها التى تمولها وتشرف عليها أن تفرض عليها

أيديولوجيتها . مع الأخذ فى الاعتبار أن المجتمع المصرى المعاصر فى فترة انتقال . وان ما تقوم به الدوله فى هذا الشـأن فى ظروفنا الحاضرة يعتبر امرا مرحليا .ونحن كباحثين اجتماعيين يجب أن نكون ملتزمين لأننا نعمل فى ظل ايديولوجية المجتمع القائمة . أى أن الاطار الايديولوجى يربطنا كما يربط المجتمع . وبالنسبة لحرية الباحث الاجتماعى وحصانتة فأن الدسـتور والقانون يضمنان هذه الحرية وهذه الحصـانة . وعن موضوع حرية الباحث الاجتماعى قيل أيضا انه لا توجد حرية مطلقة . فاذا كان الباحث الاجتماعى قادرا على انتقاء أدوات البحث الذى يجريه ، فان آداب مهنـة البحث العلمى الاجتماعى فى مجتمع معين قد تحول بينه وبين اجراء تجارب معينة عـلى البشر .

ولعل القارىء أن يلاحظ أن ما وجد بين الاعضاء لم يكن مجرد خـلاف عادى حول موضوع الايديولوجية بل كان صراعا . ولعل ذلك ان يرجع الى عدم وضوح الرؤية أمامهم . ولعل ذلك أن يرجع ، كما قال احدهم ، الى انه ليس هناك مايمكن أن نسميه فلسفة اجتماعية واضحة محددة المعالم . ذلك أن ارتباط العلوم الاجتماعية بأيديولوجية معينة أو بفلسفة اجتماعية معينـة أمر ضرورى . ولا يعيب هذه العـلوم ذلك . فالعـلم ، كل علم ، يجب أن يكون بالضرورة للمجتمع . والمجتمعـات متبـاينة ، وايديولوجياتهـا أو فلسفاتها الاجتماعية السائدة فيها متباينة كذلك . والعلوم ، ومنها العـلوم الاجتماعية تهتم بالتعرف موضوعيا على ما هو كائن فى المجتمع لكى يتم تغييره الى مايجب أن يكون . ويكون التغيير الى ما يجب أن يكون فى المجتمـع الاشتراكى ، مثلا ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة الملايين . وفى المجتمـع الراسمالى يكون التغيير الى ما يجب أن يكون ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة حفنة من اعضاء المجتمع أو حكومة تحكم باسم هذه الحفنة .

وعدم وجود ايديولوجية او ما يمكن أن نسميه فلسفة اجتماعية واضحة محددة المعالم لا ييسر وجود سياسة اجتماعية واضحة المعالم والاهـداف فى المجتمع . واذا لم تكن السياسة الاجتماعية المبنية على أيديولوجية او فلسفة اجتماعية واضحة محددة المعالم موجودة فكيف توجد سياسة علمية للمجتمع المصرى واضحة المعالم والاهداف ؟ واذا لم توجد هذه السياسـة الأخيرة فكيف يهتدى أعضاء المركز أو ادارته أو هما معا الى وضع سياسة علمية للمركز؟ وبدون سياسة علمية للمركز كمعقل للبحث العلمى فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها ستستمر معظم الجهود فى نطاق البحوث والدراسات فيه ، تدور فى

حلقة الموضوعات التقليدية المرتبطة اما باهتمامات اكاديمية بحتة أو بمشاكل اجتماعية جانبية أو جزئية. وستستمر قائمة الموضوعات الهامة لا تتطرق اليها جهود المشتغلين بالبحث العلمى فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها ، فى المركز أو فى خارج المركز . ومن الموضوعات نذكر على سبيل المثال لاالحصر « ملامح التركيب الطبقى للمجتمع المصرى » و « أوضاع الفلاحين والعمال ، وبخاصة أوضاع عمال التراحيل ، أو العمال الموسميين ، والحرفيين » . و « دراسات تقويمية عن عائد الخدمات العامة فى مصر .. الصحة والتعليم والنقل والعدالة » و « تحديات التنمية الاقتصادية الداخلية ــ كالأمية والجهاز الادارى ــ والخارجية كالعلاقات الاقتصادية الدولية وتآمر الامبريالية واسرائيل» .... الخ ، وستستمر الجهود التى كرست لدراسة بعض القضايا الاجتماعية تقف عند حدود وصفها دون محاولة تفسيرها فى اطارها التاريخى والاجتماعى . أما البحوث والدراسات التى اهتمت بالتفسير فتستمر فى الكثير من الأحيان أسيرة للتحليلات غير التقدمية كالوضعية والوظيفية البنائية التى استنفدت قيمتها الأكاديمية حتى فى المجتمعات التى ظهرت فيها ،وأصبحت قيمتها غير كبيرة فى تطوير ثقافة مجتمع فى حالة ثورة وفى تقديم فهم سليم لمشكلاته .

ويعنى استمرار هذه الأمور أو غيرها على شاكلتها ، كما سبق ان أوضحنا، عدم وضوح الرؤية عند الكثير من أعضاء المركز وغيرهم من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية فى مصر . ولعل وضوح الرؤية ان يكون موجودا عند بعضهم ، ولكن هؤلاء لا يزالون أقل من القليل فى الوقت الحاضر . والأمل ان يتمسك هؤلاء بهذا الوضوح وأن يتماسكوا حتى يزداد عددهم ويستطيعوا عن وعى، تنقية العلوم الاجتماعية من الشوائب التى تثير البلبلة والحيرة وتنتج العقم فى معظم الأحيان .



ثانيا :

نظرات إلى حياة الانسان المصرى المعاصر

- النظرة إلى المجتمع المصرى المعاصر
- النظرة إلى مفهوم الشخصية المصرية
- النظرة إلى قدم المجتمع واستمراره
- النظرة إلى ظاهرة التغير الاجتماعى في المجتمع المصري
- النظرة إلى بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغيير الاجتماعى

٢ ـ النظرة الى المجتمع المصرى المعاصر

فى ضوء خبراتى المتواضعة ، وكلها خبرات ثقافية اجتماعية منتظمة اكتسبتها فى خلال الفترة من عام ١٩٣٨ حتى الآن ـ سـأتحدث فى النظرة الراهنة عن المجتمع المصرى المعاصر · ســأتحدث عن بعض ظواهره وعن بعض سماته ، وعن بعض جماعاته كيف يعيش اعضاؤها حياتهم ، وما آمالهم، وآلامهم وأهم أهدافهم فى هذه الحياة ؟.

والمجتمع فى بساطة هو جماعة من الناس (رجال ونساء وأطفال) يهدفون متعاونين أحيانا أو وهم فى صراع أحيانا أخرى ، الى تحقيق مصالح جوهرية (حفظ الحياة وحفظ النوع مثلا) · ويعيشـــون فى بيئة جغرافية واحدة بصفة شبه مستمرة ، فى ظل مناخ ثقافى اجتماعى معين ·

والملاحظ ان المجتمعات الانســانية مجتمعات شتى · وهى أيضـــا عديدة · أعرف ذلك ، كمـــا أرجو أن يعرف القارىء ذلك أيضـــا · فهى مجتمعات صغيرة ، وهى مجتمعات كبيرة · وهى مجتمعات بدائية ، وهى مجتمعات قومية ، وهى كذلك مجتمعات محلية ·

ومن المجتمعات الانسانية ما يعيش اعضـــاؤها فى تخلف ، ومنها ما يعيش اعضاؤها فى مستوى حضارى متقدم · ومن المجتمعات الانسانية ما يواجه ظاهرة التغير الاجتماعى السريع وكأنه يعيش فى ثورة اجتماعية عارمة ، ومنهـــا ما يكون معدل سرعة التغير الاجتماعى فيـه اقل من هذا المستوى ·

والملاحظ ، ايضا ، أن قوام المجتمع ·· اى مجتمع ·· هو الجماعات لا الأفراد · فالفرد لايمكن أن يتصور أنه يعيش فى فراغ · فهو يعيش فى

جماعة أو فى جماعات . وهذه كلها تعيش فى المجتمع . كل واحد فيها يبدأ ظهوره فى المجتمع ، أول ما يبدأ . فى أسرة عادية أو فى أسرة بديلة ، أى فى جماعة . وهذه الأسرة تعيش فى حى فى المدينة ، أى فى مجتمع محلى . أو تعيش فى ناحية من نواحى القرية . وهذا الحى أو المجتمع المحلى ، يرتبط بغيره من الأحياء أو المجتمعات المحلية فى المدينة · وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى · وما المدينة أو القرية الا جماعات · جماعات ذات مصالح متآلفة أو ذات مصالح متنافرة ، أو منظمات اجتماعية مثل المنظمات الدينية والتربوية والاقتصادية · وما المدينة أو القرية الا جماعات قد تعيش فى طبقات ، أو قد تحاول الا تعيش فى طبقات . وما المدينة أو القرية الاجماعات يظلل أعضاءها مناخ ثقافى اجتماعى معين · مناخ قوامه العقائد والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمثل العليا · وما المجتمع الا مجموعة كل ذلك · جماعات تعيش فى مجتمعات محلية حياة جماعية ، أى يعمل أعضاؤها فى جماعة ، ويتعاونون ويتصارعون ، ويظللهم مناخ ثقافى اجتماعى معين ·

والملاحظ كذلك أن المجتمع المصرى مجتمع قديم · فعمره المكتوب هو نحو سبعة آلاف سنة · أما عمره غير المكتوب فلم يستطع انسان حتى الآن أن يعرف بالضبط له عددا · وقد بنى هذا المجتمع فى خلال عمره الطويل حضارات عديدة أصيلة منها ، دونما تفاخر أو تعال ، أول حضارة انسانية على وجه الأرض ·

وقد عاش المجتمع المصرى القديم واستمر حتى الآن على الرغم من العاديات ومن الظلم ومن الألوان القائمة من البؤس التى قاساها ، على هدى ما قام به باستمرار من الأخذ والعطاء ، والجمع بين القديم والجديد · فالجديد فى مجتمعنا لم يكن دائما لينسخ القديم · وانما كان التوفيق بين القديم والجديد وان تسبب فى جعل بعض نظمه الاجتماعية فى جملتها معقدة غاية التعقيد ، هو القاعدة فى هذا المجتمع العريق ·

ولأن المجتمع المصرى مجتمع قديم ومجتمع مستمر ، فان محاولة فهمه أمر ضرورى . ذلك لأننا اذا فهمنا ما هو كائن أمكن أن نخطط لما يجب أن يكون أو ما يمكن أن يكون . ومع ذلك فأن محاولة فهم مجتمعنا أمر غير يسير . ولكنه أمر يمكن أن يتحقق · ولا يمكن تحقيق هذا الفهم الا فى ضوء العلم · ولايمكن أن نخطط لما يجب أن يكون أو يمكن أن يكون الا فى ضوء العلم

كذلك · ولكى نفهم مجتمعنا ، فى ضوء العلم ، يجب أن ندرسه · ندرس بناءه وظواهره ، ندرس قيمه ومثله العليا ، ندرس عناصره الثقافية المعوقة ، كما ندرس اتجاهات أعضائه .. الخ .

وفى ضوء كل ما سبق أرجو أن يتوقع القارىء أن تتضمن هذه النظرة، فى حدود قدراتى وخبراتى ، كل ما هو موضوعى وجاد ، على أن يأخذ فى الاعتبار أن هذه القدرات هى قدرات شخص ذى تخصص محدود ، وأن هذه الخبرات لا تقول كل شىء ، لأنها لا تستطيع الا أن تقول بعض الأشياء · فهى خبرات تتضمن بعض الانطباعات وبعض الحقائق وبعض الآراء ·

وأقصد بالانطباع مجرد الصورة الذهنية لبعض الأشياء سواء كانت أشياء مادية أو علاقات انسانية أو أنماطا من السلوك البشرى · ويلاحظ قولى « بعض الأشياء » وعدم قولى « كل الأشياء » لأن هناك بالضرورة عملية اختيار . فأنا أختار من بين ملايين الأشياء التى أواجهها اشياء دون اشياء ، والقارىء يفعل ذلك ، وكل انسان يفعل ذلك أيضا · وتتحكم فى عملية الاختيار هذه أمور عديدة · منها انتماء الشخص الى طبقة معينة · ومنها الخبرة التى اكتسبها الشخص أى شخص ، فكل شخص منا لديه خبرة ما ، وهى خبرة غير ثابتة ، بل هى فى تطور مستمر . وهذه الخبرة تبلور عادة موضوعات اهتماماتنا ·

واذا كان الانطباع مجرد صورة ذهنية لشىء مادى معين ، أو لعلاقة انسانية معينة ، أو لنمط من أنماط السلوك البشرى ـ فانه يلاحظ أنه ليس بالضرورة أن تكون هذه الصورة الذهنية موضوعية . فاذا كانت موضوعية فلا تكون العملية التى حدثت هى الوصول الى انطباع ، ولكن الوصول الى حقيقة (Fact) · فالحقيقة هى ، فى بساطة الصورة الموضوعية للأشياء ، سواء كانت اشياء مادية (ظواهر مادية) أو علاقات اجتماعية أو أنماطا من انماط السلوك البشرى (ظواهر انسانية) . فالصورة الموضوعية لشىء ما تعنى صورته الواقعية · أى أن مصدر الحقائق ، كل الحقائق ، يجب أن يكون الواقع المادى والواقع الانسانى · ولابد أن القارىء قد لاحظ قولى « كل » و « يجب » ، لأن بعض الحقائق لا يأتى من الواقع المادى أو من الواقع الانسانى · ولعل القارىء أن يعرف الكثير من هذه الحقائق · وهى رغم خطورتها وخطرها لا يمكن أن ترقى الى الحقائق بالمعنى العلمى لهذا المفهوم ، أقصد الحقائق العلمية (Scientific Facts) · ويلاحظ

أن الوصول الى الحقائق العلمية ليس أمرا سهلا · ولكنه مع ذلك فى ضوء مستوى التراث الثقافى الانسانى المعاصر ، يكون فى متناول البشر ·

وكل الحقائق العلمية عبارة عن ذاتيات متداخلة وديناميه · وهى فى تغير مستمر · ويلاحظ أن درجة هذا التغير ليست متعادلة · فالتغير قد يكون سريعا فى بعض الأحيان ، وقد يكون فى بعض الأحيان الاخرى بطيئا . وليس كل الحقائق العلمية حول سلوك الانسان بالضرورة أن تكون حقائق اجتماعية · فالقول بأن لون شعر رأس ٣٠٪ من السكان من نوع معين هو مجرد حقيقة عن عدد كبير من الناس ، ويقال نفس الشيء اذا ذكرنا انه توجد نسبة صغيرة من السكان من العنصريين المتطرفين · وتكون الحقيقة العلمية حقيقة اجتماعية على حد قول العالم الاجتماعى « اميل دور كايم » اذا كانت موجودة خارج عضو المجتمع وكانت تفرض عليه الزاما معينا ، وان كنت أفضل أن نقول اذا كان عضو المجتمع قد تمثل هذه الحقيقة ومن ثم تفرض عليه الزاما معينا ·

وهنا أرجو أن يلاحظ القارىء أمرا هاما ، هو : أن الحقيقة العلمية غير الحق · لأن هذا الحق هدف · وهو فى الواقع أسمى هدف يحاول الانسان الوصول اليه · ونرى الانسان يشقى فى سبيل ذلك كثيرا · ومع ذلك فاننا نراه لا يسعد عند الوصول اليه دائما · والشواهد الدالة على ذلك كثيرة ، فى ضوء الوقائع التاريخية ، فى الماضى ، وحتى فى وقتنا الحاضر ، أقصد ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين . ولعل ذلك يرجع الى أن المجتمع الانسانى لم يصل الى مستوى النضج الاجتماعى المرجو · والناس فى هذا الموضوع ، أى موضوع النضج الاجتماعى للمجتمع الانسانى مذاهب · وهم يختلفون اختلافا كبيرا · فمنهم من لا يرى وصول المجتمع الانسانى الى مستوى النضج الاجتماعى المرجو أبدا · ومنهم من يرى ذلك حتما . وهو فى رأيى لابد واصل الى هذا المستوى الذى يكفل لأعضائه ما يمكن أن نطلق عليه مفهوم « السعادة » · وذلك عندما يشترك هؤلاء الأعضاء عن وعى فى السير الى الأمام فى سباق مع الزمن لتحقيق العمل الانشائى السلمى ، ولتحقيق الأهداف الانسانية السامية · وعندما يرغبون فى النضال من أجل بلوغ هذا كله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

والحقائق العلمية ، وحدها ، توصلنا الى الحق · وحقيقة واحدة عاجزة عن تحقيق هذا الهدف · ولكن لابد من مجموعة حقائق · ومع ذلك

فليست كل مجموعة حقائق علمية موصلة الى الحق . فالحقائق العلمية يجب أن تكون منسقة بأسلوب منطقى معين حتى تساعدنا على الوصول الى الحق المنشود . فحقائق ظاهرة مادية معينة أو ظاهرة انسانية معينة ، من غير هذا الأسلوب ، لا تعنى شيئا . واقصد بهذا الاسلوب المنطقى الأسلوب الذى يطلق عليه المنهج العلمى .

والمقصود بالحق هنا ، الحق العلمى (Scientific truth) .

ويتضمن هذا الحق العلمى بالضرورة القانون العلمى أى القانون الذى يحكم ظاهرة معينة أو عدة ظواهر معينة ، سواء كانت هذه الظاهرة أو الظواهر مادية أو انسانية . والقانون العلمى هو أحد الأهداف الانسانية العصرية . يستطيع الانسان فى ضوئه أن يفسر الظواهر التى يحكمها ، كل الظواهر ، انسانية كانت أو مادية . وفى ضوئه أيضا يستطيع الانسان أن يسيطر على هذه الظواهر . أى يوجهها لما فيه الخير أو عما فيه الشر . أى يوجهها من أجل عمليات التغيير الى الأفضل ، التغيير الثقافى أو التغيير الاجتماعى على السواء .

ولعل القارىء أن يكون له رأى أو آراء فى كل الذى كتبته قبل ذلك .

ويحق لكل قارىء أن يكون له رأى فى كل الذى كتبته قبل ذلك ، وفى كل الذى ساكتبه بعد ذلك فاذا اقتنع القارىء ، مثلا ، بما أكتب فان مجرد اقتناعه يعتبر تعبيرا عن رأيه . وحتى اذا خالفت آراء القارىء ما أكتب فهو يعبر عن طريق هذه المخالفة عن رأيه . وتعنى الآراء فى الواقع القيام بعملية التفسير ، تفسير كل شىء ، ماديا كان أو غير مادى . واختلاف الآراء يعنى الاختلاف فى هذا التفسير . ويرجع الاختلاف الأخير الى اختلاف الطبقة التى ينتمى اليها كل شخص يحاول هذا التفسير ، والى اختلاف خبراته . وخبرات الأشخاص غير ثابتة ، بل فى تطور مستمر . والخبرات المنتظمة تعين على التفسير الأصح . والمقصود بالخبرات المنتظمة الخبرات التى تكون فى ضوء القوانين العلمية ، والنظريات العلمية ، والخبرات الواقعية ، أو ما يطلق عليها أحيانا الخبرات التجريبية (Emperical) . وأسمى انواع الخبرات المنتظمة هى التى تكون فى ضوء القوانين العلمية . ومع ذلك فقد نجد أشخاصا يفسرون الأمور فى ضوء أية خبرة . وكثيرا ما يحدث هذا مع ما يتضمن من خطورة فى بعض الأحيان . ولكن العبرة ، أخيرا وآخرا ، فى أن يكون التفسير صحيحا . أى فى التأكد من صحة

نتائجه وتحقيقها عمليا ، والاستفادة من هذا التحقيق العملى من أجـــل سعادة الانسان · والأدهى من كل هؤلاء من يتخذون المنهج العلمى الحديث شعارا او يتشدقون به ولا يعملون على هديه أبدا . بل على العكس تراهم يعوقون سيره الى الأمام بحجة ضرورة الحاجة الى بحوث ودراســات علمية تطبيقية · وانا لا اوافق على ذلك فى ضوء ظروف مجتمعنا الاقتصادية والثقافية الاجتماعيـــة والسياسية ، فاننى أرجـــو والح فى الرجاء ان يهتم المسئولون فى شخص الدولة والمسئولون المنفذون على كل مستويات السلطة والسلطان بنتائج البحوث والدراســـات العلمية الأساســـية ـ فنحن فى سباق مع الزمن والعالم العصرى يسير قدما بخطى سريعة نحو التسلط على الطبيعة والمجتمعات الانسانية عن طريق العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة التى لا نعرف عنها بسبب الظروف المشار اليها الا القليل ·

وأرجو ان يلاحظ القارىء الكريم معى ان الانسان المصرى فى مجتمعنا المعاصر يختلف عن غيره من بنى البشر فى المجتمعات البشرية الأخـــرى · فهو ليس فقط كل من يولد فى مصر ويعيش ويترعرع تحت سمائها ، ويكون آباؤه واجداده قد ولدوا فى مصر وعاشـــوا وترعرعوا تحت ســـــمائها أو دفنوا تحت أرضها ـ بل هو أيضا كل من يتغذى على عناصر تراثهـــا الثقافى الاجتماعى ويستوعب هذه العناصر ويهضمها ويتمثلها ســـــواء فعل ذلك بقصد أو بغير قصد ، أو تم له ذلك بوعى أو بغير وعى·

والانسان المصرى فى هذا الضـــوء قد يكون ذكرا وقـــد يكون انثى ، كما قد يكون بالضرورة شابا أو بالغا أو من المسنين · اى ان مفهوم الانسان المصرى عنـــدى هو أسم جنس يعنى كل هـــؤلاء حسب اختلاف مكاناتهم الاجتماعية وحسب تباين مستويات ثقافاتهم ، أى سواء كانوا من اهــــل الريف أو من العمال او اعضاء من فئة اخرى من فئات القـــوى العـــاملة فى مجتمعنا المصرى المعاصر ·

ولكى نعرف شيئا أو أشياء عن الانســـان المصرى المعاصر معـــرفة موضوعية ، يقتضى ذلك ان نعرف موضوعيا شيئا أو أشياء عن شخصيته ، اى عن عواملها التكوينية وعواملها النفسية والعقلية وعواملها الثقافيـــة الاجتماعية . ولن يستطيع شخص واحد مثلى ان يفعل ذلك . فانا اكـــرر وليعذرنى القارىء اننى شخص ذو تخصص محدود · واذا كانت اهتماماتى الماضية وحتى الآن تحاول ان تعرف شيئا او أشياء عن الانســـان المصرى

المعاصر فان كل ما عرفته لم يكن الا أقل القليل · وانا فى هذا لا اتواضع أو احاول ان افعل ذلك · ولكننى اذكر الحقيقة عارية · ذلك ان مفهوم « شخصية الانسان المصرى المعاصر » يعنى مجموع السمات المشتركة الموجودة فى شخصيات الملايين من المصريين اصحاب الشخصيات ، أى الملايين من المصريين من غير الأطفال · فالأطفال فى المجتمع المصرى وفى غيره من المجتمعات الانسانية ، مجرد أفراد وشخصياتهم لم تتكون أو هى فى سبيلها الى التكوين · وانه لكى نعرفها موضوعيا ، اقصد شخصية الانسان المصرى المعاصر ، لابد من تجنيد العديد من علماء الطب والطب النفسى والاجتماع والنفس الاجتماعى والانثروبولوجيا وغيرهم وغيرهم لكى يقوموا على مر السنين بل على مر الاجيال باجراء البحوث والدراسات العلمية العديدة عن هذه الشخصية ·

ويكفى لكى ادلل على جدية هذه القضية أن اذكر هنا أمرا واحدا هو أن شخصية الانسان المصرى المعاصر هى نتاج المجتمع المصرى منذ ان أصبح لهذا المجتمع وجود . اى منذ الماضى السحيق . وقد ذكرت من قبل ان هذا المجتمع هو مجتمع قديم ومستمر وبنى حضارات عديدة ، منها دونما تفاخر أو تعال ، أول حضارة انسانية على وجه الارض · وفى ضوء حقائق التاريخ نتبين ان المصريين قد غيروا الكثير من العناصر المادية وغير المادية · فقد جدد الزارع المصرى فى الحقل ادواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمان . وقد جدد أنواع محصولاته فأضاف اليها نباتات جديدة من وقت لآخر · وقد جدد أنواع الحيوان المستأنس وأضاف اليها ما لم يكن معروفا من قبل . وقد غير المصريون لغتهم التى يتكلمون ويكتبون بها اكثر من مرة فى خلال تاريخهم الطويل ، واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرتين أو أكثر وقد عاش المجتمع المصرى القديم واستمر حتى الآن ، على الرغم من العاديات ومن الظلم ومن الألوان القاتمة من البؤس التى قاساها ، محتفظا بروحه العالية ، ومحتفظا بتماسكه وحيويته على الرغم مما ذكر فى (سفرحزقيال ـ اصحاح ٣٠ : آية رقم ١٢ وآية رقم ١٣) . ونجد ابناءه يحاولون ، الآن صنع حياتهم من جديد ، أى يغيرون من انفسهم من جديد الى ما يجب ان يكونوا عليه أو ما يمكن ان يكونوا عليه ·

٤ ــ النظرة الى مفهوم الشخصية المصرية

كثر الحديث عن « الشخصية المصرية » منذ ان تفجرت ثورة عام ١٩٥٢ وازداد الحديث عن هذا المفهوم بعد عام ١٩٦٧ ، عام الهزيمة • واستمر هذا الحديث فى اثناء حرب اكتوبر المجيدة وحتى الآن • ومن الغريب ان كل من تعرض للحديث عن « الشخصية المصرية » لم يذكر أبدا ما المقصود بهـــذا المفهوم ؟ كان المتحدثون يتحدثون عن « الشخصية المصرية » أحيانا ، وكانوا يتحدثون عن « الشخصية العربية » أحيانا أخرى • ولم يكلف واحد منهم نفسه فقام بشرح معنى هذا المفهوم ووضع النقاط على الحروف حتى تتضح الرؤية لمن يقرؤه أو يستمع له أو يسمعه . انهم لم يهتموا بهذا الشرح ابدا . ومع ذلك فقد اهتموا بتشريح هذا المفهوم الغامض • هكذا قالوا ولايزالون يقولون •

ذكروا الكثير عن سلبيات « الشخصية المصرية » ، كما ذكروا الكثير عن ايجابيات هذه الشخصية . قالوا مرة أن « الشخصية المصرية » اختــل تكاملها الداخلى ! ، وقالوا مرة أخرى ان « الشخصية المصرية » بـــدأت تصحو من سباتها الطويل •ودعوا عند معالجة هذا الموضوع ، موضوع « الشخصية المصرية » ، ان تكون النظرة « نظرة علمية متوازنة » • ولــم يكتفوا بالتحدث عن «الشخصية المصرية » أو بالتحدث عن « الشــــخصية العربية » ، ولكنهم ألفوا الكتب عن ذلك • وغالوا حتى انه قد جـــــازف كاتبـــان فنشر احدهمــا كتابا عن « ملامح الشــــخصية المصرية فى العصر المسيحى » ، وآخر عن « الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العــــــربى » •

والملاحظ أن مفهوم « الشخصية » (Personality) كمعظم المفهومات الانسانية له معان عديدة • له معان غير علمية ، وله أيضا معــان علمية • فمن المعانى الأولى نجد عند قدماء المصريين أن العناصر التى تكـــــــون الشخصية الانســـــانية كانت عديدة . فهى فى مرة تتكون من ثلاثى يجمع فى وحدة كلا من « الكا » الذى يرى فيه البعض صورة غير مادية للجســــــم « صنو أو قرين » ، و « الخو » اى الروح ، و « لفـــات » أى الجســـم . وهى تتكون فى مرة أخرى من ثلاثى آخر يجمع « الخاييت » أى الظـــل ، مع « البا » اى الروح ، و « السحو » اى الموميــاء « الجثــة المحنطــة » .

أما القلب الجسدى فقد كان يسمى « الحاتى » ، وكان يفترض فيه أن يكـون مقر الذكاء . أما روحه فيسمى « الآب » . ويعنى الارادة والشـــهوات . وكان ومن « الشرارة الحية » أو القوة المتحكمة يسمى « ســخم » ، وكان الرمز « ران » يعبر عن الاسم الشخصى · ونجد فى التعبيرات « الشخصية الترابية والشخصية الهوائية والشـــخصية المائية والشـــخصية النارية » مصطلحات غير علمية تنتشر فى المناخ الثقـــافى المصرى . ومن المعـــانى غير العلمية للشخصية ما نلاحظه عند ممارسة السحر أو ما يشبه السحر · فالاسم الشخصى فى الوقت الحاضر ومنذ الأزمان الماضية « الران » ، يطابق الروح ، ومن ثم تكفل خدمات الروح عندما ينطق بالاسم . فالروح هى الاسم والاسم هو الروح · فاذا رغب الساحر فى القيام بعمل ضد شخص ما ، فانه يستخدم اسمه وهو ينطق بتعويذاته السحرية الفعالة · ويتأثر الموتى كذلك كلما ذكرت اسماؤهم عند التضرع لهم أو عند الشكوى اليهم والطلب منهم ! وتطرد كذلك الارواح الشريرة الذين يعرفون اسماءها . ونجد أن شـــارب القهوة يمكن اذا « فتح له الفنجان » التعرف على شخصيته لأنه ترك فى هذا الفنجان « نفسه » ' وحتى « الأثر » وهو ما يملكه الشخص من ملابس أو أدوات شخصية مستعملة يستخدمها الساحر أو يستخدم بعضها للتعـــرف على شخصية صاحب الاثر ! ·

أما المعانى العلمية للشخصية فهى عديدة كذلك . فمنها المعنى النفسى أو الاجتماعى أو الثقافى . وترى النظرة العلمية لهذا المفهوم أنه يتصل اتصالا وثيقا بأعضاء المجتمع ، اى مجتمع . فكل عضو من الاعضاء هو فرد له شخصية . وقد يستثنى هؤلاء كما ذكرت من قبل ــ الاطفال فهم أفراد لم تتكون شخصياتهم بعد . والملاحظ ايضا ان مفهوم « الشخصية » يعنى ببساطة « جملة العناصر غير البيئية التى توجد فى سلوك الفرد » · أى ان السلوك هو وظيفة تفاعل الشخصية مع البيئة . اى ان الافراد يسلكون سلوكا مختلفا فى مجال ما قـــد يبدو موضوعيا انه نفس البيئة . واذا كان أطفال المجتمع أفرادا لم تتكـــون شخصياتهم بعد ، فان شخصية كل شخص تزداد نموا كلما نما جسميا ونضج عقليا وعاطفيا ، وكلما نمت خبراته الاجتماعية ، أى كلما ازدادت عـــلاقاته الاجتماعية ، واتسعت مجالاتها ، اى كلما تعددت أدواره الاجتماعيـــة التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه . ويعتمد تعدد الأدوار الاجتماعية على النمو الجسمى . والنضج العقلى والعاطفى ، والعكس صحيح . وكلما ازداد تعدد الأدوار الاجتماعية عند شخص زادت مكانته الاجتماعية ·وتقل مكانة الشخص

الاجتماعية كلما قلت أدواره الاجتماعية التى يؤديها للمجتمع الذى يعيش فيه . وترجع قلة الادوار عند شخص ما الى عوامل عدة · منها المرض ، الجسمى أو النفسى أو العقلى ، ومنها الشيخوخة والفشل الاجتماعى . ويلاحظ ان كل شخص فريد فى نوعه · فلا يوجد شخصان لهما نفس السمات ، اقصد نفس السمات الشخصية . والاشخاص كالحيوان وكالنبات . وحتى كالجماد ، مختلفون ومتباينون . والحيوانات كذلك . وأنواع النباتات كذلك ، وحتى الذرات . نجد كل أولئك على اختلاف وعلى تباين . وان وجد مع هذا الاختلاف والتباين فى محيط الانسان والحيوان والنبات والجماد ، تشابه ، أى سمات متشابهة .

وفى ضوء ما سبق يلاحظ ان مفهوم « الشخصية » قد يعنى مجموع الادوار التى تمد اجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع الفرد لها لكى يقوم بأدائها كما يتوقعها منه المجتمع الذى ولد فيه أو يعيش . وقد يعنى هذا المفهوم المحددات التكوينية والاجتماعية الثقافية والنفسية العقلية لعضو المجتمع · وهذه المحددات تكون ، فضلا عن تعددها ، بالضرورة ، دينامية . والاختلاف والتباين فى محيط الشخصيات الانسانية يرجعان حتما الى اختلاف وتباين الجهاز البيولوجى لكل فرد واختلاف البيئة وتباينها التى يعيش فيها هذا الفرد وهو مزود بهذا الجهاز · والتشابه فى محيط الشخصيات الانسانية يعزى بالضرورة الى العناصر المتناسقة البيولوجية والبيئية . فالكائن الحى يتحرك فى مجال يكون عادة محدودا بكل من الثقافة وبالظروف الاجتماعية والمادية التى يعيش فيها بحدود متناسقة نسبيا ولكنها عرضة لتغييرات لا حصر لها ، ضمن نطاق الشكل العام ، تنشأ من رد الفعل لخصائص المحددات التكوينية للكائن الحى ومن حدوث مواقف خاصة .

واذ أرى ان مفهوم « الشخصية » هو مفهوم يختص بأعضاء المجتمع ، كل اعضاء المجتمع حتى الاطفال الذين تكون شخصياتهم عادة فى دور التكوين، فان مفهوم « الطابع القومى » (National character) قد يهتم عادة بمجتمع من المجتمعات وليس بعضو من الأعضاء أو بفرد من الأفراد · أى أن مفهوم « الشخصية » يختلف عن مفهوم « الطابع القومى » . والملاحظ أن المفهوم الاخير يعنى ببساطة « محاولة عزل الدوافع المشتركة بين أعضاء أحد المجتمعات الذين يشتركون فى نفس العادات أو فى نفس الثقافة ، ووصف هذه الدوافع » . والملاحظ أننا نلاحظ أن مفهوم « الطابع القومى » هو مفهوم انثروبولوجى · وأننا نجد انه يستخدم فى بعض الاحيان استخداما فضفاضا

لكى يعنى ان يكون مرادفا لكل انماط السلوك الثقافى المتعلم . ويعنى تطبيق هذا المعنى ان ارتباط «الطابع» بالثقافة هو بصورة عامة ارتباط بذاته · ومن الواضح ان مفهوما بهذا المعنى الشامل لن يسمح بجمع حقائق ميدانية دقيقة .

ويلاحظ أيضا وجود مفهوم آخر ظهر فى عام ١٩٣٩ هو مفهوم « نمط الشخصية الأساسية » (Basic Personality Type) ويمكن أن نشرح معنى هذا المفهوم بوضوح اذا قلنا « حيثما توجد جماعة من الناس يعيشون فى نفس المكان ويكونون قد نشئوا تنشئة اجتماعية بنفس الطريقة ، فانهم يظهرون نفس نمط الشخصية عندما يكبرون . وعندئذ يمكن أن نتحدث عن نمط الشخصية الاساسية فى هذه الثقافة » .

والاهتمام بمفهوم « الطابع القومى » عند علماء الانثروبولوجيا الثقافية يرجع الى انهم قد تأثروا باهتمام علم النفس الدينامى بمرحلة تجارب الطفولة المبكرة وعمليات التنشئة الاجتماعية فى تحديد بناء الشخصية الانسانية · وهم يفترضون ان اساليب تربية الاطفال تميل الى ان تكون متشابهة فى محيط الأعضاء فى مجتمع معين . ومن ثم فهى تنتج سمات سلوكية ثابتة نسبيا ويمكن التنبؤ بها عندما يصبحون أعضاء بالغين فى هذا المجتمع .

ومهما يكن من الامر فان محاولات التعرف على الامم الاخرى عن طريق الآراء المبنية على القوالب المتجمدة (Stereotyped views) ، كلها محاولات قديمة ومستمرة حتى الآن · والملاحظ أن المهتمين الاوائل بهذا الموضوع كانوا من علماء السياسة . اى أن علماء السياسة بدأوا ابراز هذا الموضوع ، ثم تبعهم الانثروبولوجيون الثقافيون الذين طوروا مفاهيمه . وقد أدلى علماء النفس بدلوهم فى هذا الميدان . ومع ذلك فاننى الاحظ انه اذا كانت العلاقة المتبادلة لكل من الشخصية الأنسانية والثقافية والنسق الاجتماعى يتفق عليها الكثير من العلماء الاجتماعيين ، فانهم لايتبنون مفهوما مثل مفهوم « الطابع القومى » . وقد يرجع ذلك الى عوامل عديدة ، منها :

١ – ان مفهوم « الأمة » (Nation) مفهوم غامض ولا يعنى بالضرورة أن يطابق معناه مفهوم « المجتمع » أو مفهوم « المنطقة الثقافية » (Cultural area) ، أو حتى مفهوم « الدولة المستقلة سياسيا » (A politically autonmous state) . واذا افترضنا التجانس الثقافى فى محيط المجتمعات البدائية ، فان هذا التجانس لايمكن تطبيقه على المجتمعات الصناعية حيث نجد اختلافات عديدة تبعا للاقليم ، ومحل الاقامة ، واللغة

والدين ، والمكانة الاجتماعية ، والمهنة . ومن ثم لايمكن افتراض ان يكون **مفهوم « الطابع القومى »** شكلا جزئيا فالاختلافات فى داخل الامم قد تكون اعظم من تلك التى بينها .

٢ — انه من الضرورى ان نحدد الفترة التاريخية التى تطبق فى خلالها فكرة « الطابع القومى » . ذلك لانه على الرغم من ان بعض السمات قد تبقى مستمرة نسبيا ، فان هذا لا يعنى انها لن تتغير بسرعة تحت ظروف معينة ، مثل نتائج حدوث ثورة اجتماعية أو نتائج حدوث استعمار أجنبى .

٣ — ان الدراسات المتعلقة بموضوع « الطابع القومى » تتعرض دائما للنقد الشديد وبخاصة فيما يتعلق بمناهج البحث التى طبقت فيها . واغلب هذه الدراسات تعنى بالتفسير بغير القيام بدراسات منتظمة ضابطة أو دراسات مفصلة مقارنة .

٤ — وبالاضافة الى ماسبق نلاحظ عدم الاهتمام الكافى بالتمييز بين الابعاد النفسية للطابع القومى من حيث انماط « الشخصية المنوالية » (Model personality types) ، والابعاد الاجتماعية لهذا الطابع من حيث الرموز والنماذج الثقافية . (Cultural symbls and patterns) — من جهة — وبين الابنية التنظيمية المميزة (Characteristic Institutional Structures) من جهة اخرى (*) .

والملاحظ ان تعريف الطابع القومى بانه مجموع انماط السلوك الثقافى

(*) يقصد بانماط الشخصية المنوالية تلك التى تظهر باكبر قدر من التكرار فى المجتمع .

– والرمز هو الذى لا يكون مجرد شىء شخصى ، وانما لكونه ذا معنى مشترك فهو ينقل هذا المعنى . وقد يكون الرمز مرئيا أو مسموعا مثل الاشارات والعلامات والشعارات والطقوس والكلمات والموسيقى .. الخ .

– اما النماذج الثقافية فهى الهيئة التى تكون عليها السمات الثقافية والمركبات الثقافية التى تصنع ثقافة المجتمع فى زمن معين . اى هى لا تهتم بالافعال المادية لعمل الاشياء بقدر اهتمامها باساليب عمل الاشياء .

– ويقصد بالابنية التنظيمية المميزة المعايير المنظمة لسلوك اعضاء المجتمع داخل بقية انساق المجتمع .

المتعلم يعتبر ، كما سبق القول ، تعريفا قاصرا ولاييسر القيام باجراء بحوث علمية سليمة . ومما يؤكد هذا القصور ويعززه عدم التمكن من التدليل علـــى وجود سمات الشخصية المناظرة فى محيط السكان موضوع الدراسة .

ومع ذلك فمما لا شك فيه اننا نلاحظ الفرق واضحا جليا بين الروسى وبين الأمريكى وبين كل منهما وبين المصرى · وعلى الرغم من ذلك فمن الخطأ وربما من الخطر أن نقول أنه توجد شخصية روسية او شخصية امريكية أو شخصية مصرية . ان مفهوم « الطابع القومى » أو مفهوم « نمط الشـــخصية الاساسية » لا ثمرة فيه فى الوقت الحاضر · فهو من المفاهيم التى لا توجدعند قائليها او المستمعين اليها أو سامعيها اية صورة ذهنية واضحة المعالم عنها. اى أنه فى ضوء كل ماسبق مازال مفهوما غامضا . ومع ذلك فنجد أن الداعين الى مفهوم « الطابع القومى » ، او الى مفهوم « نمط الشخصية الأساسية » ، او الى مفهوم « الشـــخصية المنوالـــية » يـــرون أن هــــذه المفـــاهيم او احدها وبخاصة مفهـــوم « الطابع القـــومى » انـــه على الرغــــم من الصعاب التى تواجهه والضعف فى أدوات البحث الميسورة ، والاعتراضات عليه ، فان ذلك يجب الا يثبط هممنا · ذلك أننا لازلنا نستطيع ان نتقدم بضع خطوات فى دراسة الطابع القومى وتحليله ·وهم يدعون ان فهم هذا الطابع القومى لمجتمعنا وللمجتمعات الاخرى على حقيقتها سوف ييسر الاســـهام فى القضاء على اسباب سوء التفاهم وسوء التفسير التى قد تؤدى الى اشـــعال الحروب ! ولعل القارىء ان يلاحظ ان نتائج هذا الفهم لايمكن ان تكون مطلقة، اى لايمكن ان تكون ايجابية بالمعانى السابقة . ذلك ان اعداء الشعوب وتجار الحروب ومن على شاكلتهم اذا استطاعوا أن يتعرفوا على مفهوم « الشخصية القومية » لشعب من الشعوب لن يستخدموا معرفتهم الا فى سبيل تحقيـــق مصالحهم الخاصة التى لن تكون بالضرورة نفس مصالح هذا الشعب . ان اعمال الجاسوسية ، والحروب النفسية ، والاعلام السىء القصد ، كل هذه تحاول استخدام « مضمون » الشخصية القومية لتحقيق المآرب الانانية على حساب الآخرين · ومع ذلك فاننى أرجو أن يلاحظ القارىء قـــولى « اذا استطاعوا أن يتعرفوا » وهم فى ضوء غموض المفهوم ومثاليته وعـــــجز استخدام المنهج العلمى السليم فى جمع الحقائق عنه ، وغير ذلك مما سبق ان أوضحناه ، لن يستطيعوا ذلك ·

وفى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر نلاحظ ان الهدف الاسمى الذى يجب ان نراه ولانرى غيره فى الوقت الحاضر هو التغيير الى الافضل . اى

دراسة ماهو كائن لكى نغيره الى مايجب ان يكون أو مايمكن أن يكون فى ضوء قيمنا ومبادئنا ومثلنا العليا ، ولعل ذلك أن يتأتى اذا درسنا المناخ الثقافى الاجتماعى أو بعض عناصر هذا المناخ فى محيط فئة معينة من أعضاء مجتمعنا او فى منطقة ثقافية اجتماعية معينة ، واننى أقصد بالمناخ الثقافى الاجتماعى السمات العامة للاتجاهات الثقافية الاجتماعية الشائعة وخصوصا تلك التى ثبتت منها نسبيا . فتبلورت فى عادات اجتماعية مرعية (أعراف مثلا) وتقاليد وقوانين . نحن فى حاجة الى هذه الدراسة العلمية حتى نستطيع ان نفهم الواقع فهما موضوعيا ، ومن ثم نستطيع ان نواجهه أو نوجهه اذا اقتضى الحال ذلك اى ومن ثم نستطيع ان نغيره الى الافضل . أن استخدام المفاهيم الغامضة، مهما حسنت النيات ، لايجدى . ومفهوم « الشخصية المصرية » أو مفهوم « الشخصية العربية » فى ضوء العلم مفهومان غامضان ولا يتركان أى اثر ذهنى واضح عند من يقرا احدهما او يستمع له أو يسمعه .

والملاحظ ان حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ المجيدة قد اثبتت ، ما فى ذلك من شك ، أن كل ماكان يقال من ان الاعداء كانوا يعرفون « الشخصية المصرية » ، او « الشخصية العربية » لم يكن على اساس سليم . وقد اتضح انهم اذا كانوا قد عرفوا عن المجتمع المصرى اشياء فانهم لم يستطيعوا ان يعرفوا عنه اشياء اكثر . وحتى نحن المصريين المهتمين بدراسة مجتمعنا نلاحظ كل يوم اننا نتعلم اشياء جديدة عن هذا المجتمع القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة .

ولكى اتجنب الغموض الذى شرحت الكثير من سماته آنفا فاننى اقترح مفهوما جديدا هو « مفهوم الذاتية الثقافية » ولعله من الضرورى أن اقوم بشرح هذا المفهوم كما تبينته فى النظرة الراهنة . وابادر فاذكر القارىء الكريم بالمفاهيم التى سبق ان شرحتها آنفا . وقد لاحظت انها وبخاصة مفهوم « الشخصية القومية » أو مفهوم « الطابع القومى » أو حتى مفهوم « الهوية » قد فرضت نفسها فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العالمية ، على المناخ الثقافى الاجتماعى العلمى المعاصر . فنحن نجد الكثير من المهتمين بشئون المجتمعات النامية خاصة والمجتمعات التى يقال عنها أحيانا « مجتمعات العالم الثالث » لايهتمون فقط (كما ذكرت من قبل) بشرح أحد هذه المفاهيم حتى يتضح معناه بل يهتمون ايضا بالحفاظ على تثبيت معالم مضمونه كما يرون معنى هذا المضمون .

وقبل أن أبدأ أرى انه يجب تذكير القارىء بأن « العلم العصرى »

اليوم يزيد من طاقة « التكنولوجيا الحديثة » (وسائل وادوات الانتاج) ويفتح امامها وسائل جديدة للادوار ، وان التكنولوجيا الحديثة . تتيح للعلم تقنيات ووسائل تزيد من قدرته على ارتياد مجالات افسح واعمق . وقد احدثت هذه العلاقة الدينامية تحولا عظيما فى تطور العلم الحديث عامة . ولعل اوضح مثال لحصيلة تلك العلاقة الوثيقة الفتوح العلمية التكنولوجية فى مجـالات دراسات الفضاء وعلوم الفلك والذرة والالكترونيات (بنوك المعلومات) مثلا. وكانت نتيجة ذلك أن أصبح العالم الذى نعيش فيه فى الوقت الراهن يتقلص ويتضاءل يوما بعد يوم وربما لحظة بعد لحظة . أى أننا نعيش اليوم فى عالم صغير ويزداد صغره يوما بعد يوم وربما لحظة بعد لحظة واصـبحت المعلومات عن هذا العالم تكاد أن تكون متبادلة بين المجتمعات الانسانيـة التى تعيش بين جنباته سواء أكانت هذه المجتمعات نامية أم مجتمعـات متقدمة ، وذلك بفضل المواصلات السلكية واللاسلكية وغيرها مما استحدث من فتوحات علمية تكنولوجية كالاقمار الصناعية وغيرها . اى ان مجتمعات هذا العالم على تباين مستويات ثقافاتها قد أصبحت فى الوقت الراهن تكاد أن تكون مجتمعا واحدا من حيث الحاجة الماسة الى المعلومات عنها حتـى تتحقق النظرة الشاملة التى بغيرها لا يستطيع المجتمع المستغل ان يستـغل أو المجتمع المستغل أن يتغلب على الاستغلال والقهر . أن الصراع قـائم بين المجتمع الذى يعلم (المتقدم) وبين المجتمع الذى لا يعلم (النـامى أو الذى فى حكم المجتمع النامى) . والملاحظ أن المجتمع الذى يعـلم فى مسيس الحاجة ، لعوامل عديدة ، لاتخفى على القارىء الكريم ، ليعرف الكثـير عن المجتمع الذى لا يعلم ، والعكس صحيح ! .

ومن حق القارىء الكريم على أن أشرح معنى مفهـوم « الذاتية الثقافية » الذى تبنيته فى هذه النظرة .وأبادر فأقول ان هذا المعنى هو نفس معنى مفهوم « الثقافة » السائدة فى مجتمع من المجتمعات الانسانية . اى ان مفهوم « الذاتية الثقافية المصرية » هو فى حقيقة الأمر أهم السمات الثقافية السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر ككل . اى ان مفهوم الذاتية الثقافية لا يمكن ان يعنى مجرد المعلومات التى نجدها فى « جـواز سفر » لشخص مصرى ، أو مجرد المعلومات التى نجدها فى « بطاقة شخصية » أو « بطاقـة عائلية » لشخص مصرى . انه اى مفهوم الذاتية الثقافية المصرية أكثر من ذلك وأعمق . انه العقائد السائدة والقيم السائدة والمثل العليا السـائدة والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر جميعا ، انه يتضمن

اساليب حياة المصريين المعاصرين وأساليب تفكيرهم واتجاهاتهم كذلك ٠
والملاحظ ان مفهوم « الثقافة » لا يعنى مفهوم « القومية » ، وان مفهوم « القومية » لا يمكن ان يعنى مفهوم « الشخصية القومية » وأن مفهوم « الشخصية القومية » لا يمكن أن يعنى مفهوم « الشخصية (الانسانية) » ٠ وذلك لأن مفهوم « الشخصية القومية » ٠ كما سبق أن ذكرت ، مفهوم مشكوك فيه من الناحية العلمية ولا ييسر اجراء بحوث علمية سليمة ، وانه فى ضوء التجارب والخبرات المنتظمةنلاحظ ان استخدامهذا المفهوم لا ثمرة فيهفى الوقت الراهن ٠ وفضلا عن ذلك نجد أن العديد من الكتاب يخلطون بين مفهوم « القومية » ومفهوم « الشخصية القومية » أى بين مفهوم « القومية العربية » « والشخصية العربية » على الرغم من أن حقائق التاريخ تؤكد على ان القومية العربية هى « حركة حديثة بدأت موضوعيا بثورة شبه الجزيرة العربية على الحكم العثمانى فى عام ١٩١٦ ، وكان من نتائجها قيام « جامعة الدول العربية » فى يوم ٢٢ من شهر مارس عام ١٩٤٥ ٠

واننى ارجو من القارىء الكريم ان يلاحظ معى ويوافقنى أيضا على ان الداعين المخلصين الى « القومية العربية » فى ضوء الخبرات يرون أنها مازالت مجرد حركة ، وأنه على الرغم من ان مفهوم « القومية » ظهر أول ماظهر فى اوروبا الغربية ، نجد من يتبنى المفهوم الاخير فى اخلاص جدير بالاعجاب ٠ علما بأن العنصرين اللذين تقوم عليهما « القومية العربية » : العنصر المعنوى أو الشعورى والعنصر الموضوعى لم يتوافرا حتى الآن * ٠

واذ أرى مؤمنا بأن مفهوم « الذاتية الثقافية » يعنى مفهوم « الثقافة » السائدة فى مجتمع من المجتمعات الانسانية ، فان من حق القارىء على أن يعرف ما المقصود بالتحديد بمفهوم **الثقافة السائدة** ؟ والمقصود بهذا المفهوم ببساطة كل النماذج السلوكية البشرية التى تكتسب اجتماعيا ، والتى تنقل اجتماعيا كذلك الى أعضاء المجتمع البشرى عن طريق الرموز ٠ ومن ثم فمفهوم الثقافة بمعناه الاجتماعى العلمى يختلف كثيرا عن معناه العام ٠ فهو يتضمن كل ما يمكن ان يعلم عن طريق الملاقات الانسانية المتداخلة ، كما

(*) يقصد بالعنصر المعنوى والشعورى هنا السمات الثقافية الواحدة ٠ اما العنصر الموضوعى فيقصد به الاتفاق على الروابط الاقتصادية والسياسية والحرص على تحقيقها ٠

يتضمن اللغة والعادات والتقاليد والأنساق الاجتماعية جميعا . أى ان معناه يشمل أسلوب أو أساليب الحياة للناس فى مجتمع من المجتمعات ، أو فى جماعة من الجماعات . فالفلاح المصرى الامى ، مثلا ، شخص مثقف له عاداته وتقاليده وخبراته . ومن ثم فانه لايجب استعمال مفهوم الثقافة بمعناه الاجتماعى العلمى استعمالا محدودا يقتصر معناه على نوع معين من [illegible] يستعمل فى اللغة العامة أو فى التاريخ أو فى الآداب والفنون . أى ان جماعة المثقفين فى المجتمع اى مجتمع هم « الصفوة » او ما يسمون « بالانتلجنسيا » أو « العقلانيين » من اعضاء المجتمع كالمفكرين والادباء والفنانين والعلماء والاطباء وغيرهم ممن هم على شاكلتهم فحسب . ذلك ان [illegible] مفهوم الثقافة السائدة فى المجتمع الانسانى ، بمعناه العلمى . يحتوى على كل ما يعمل فى هذا المجتمع ومن يعمله وكل ما يقال فيه ومن يقوله وكل مايصنع فيه ومن يصنعه ، ومتى يحدث هذا العمل او هذا القول او هذه الصناعة وتحت أية ظروف .

٥ ـ النظرة الى قدم المجتمع المصرى واستمراره

لقد حاولت فى العديد من البحوث والدراسات العلمية التى اجريتها أو اشرفت عليها ان أؤكد قدم المجتمع المصرى واستمراره ، اى استمرار الكثير من سمات عناصره الثقافية وبخاصة فيما يتعلق بعاداته وتقاليده والالفاظ التى يتحدث بها المصريون وغير ذلك .

والملاحظ ان النظرة الحالية قد تناول موضوعها الكثيرون . وانتهى الأمر الى أنه ما تجاوز المجتمع المصرى مرحلة الظلام العثمانى الى مطلع العصر الحديث فى القرن التاسع عشر ، بدأ المصريون فى تلمس تاريخهم والشعور بقوميتهم . واستمروا يفعلون ذلك حتى وقتنا الراهن .

١ ـ وكان هذا الشعورمن أكبر علامات الصحوة وان شابه الصراع بين اتجاهات ثلاثة هى :

- الاتجاه الفرعونى .
- الاتجاه الاسلامى .
- الاتجاه العربى .

٢ ـوقد ذكر بعضهم محاولا تحديد العلاقة بين القومية والتاريخ :

- ان قوميتنا عربية .

- وتاريخنا مصرى ·
- وعقيدتنا اسلامية ·

٢ - ويرى البعض أنه ليس هناك تناقض بين هذه العناصر الثلاثة · ويرجعون ذلك الى ان الانسان المصرى المعاصر هو فى الواقع نتاج الحقائق التاريخية التالية :

١ - ان المجتمع المصرى مجتمع قديم · فقد استمرت الحياة على أرض مصر منذ أقدم الازمان وعبر حضارات الفيوم ومرمدة (٥٥٠٠ + ٥٠٠ ق · م) وحضارات تاسا والبدارى ثم عصر الأسر الذى بدأ فى عام ٣٤٠٠ ق·م : الدولة القديمة (*) والدولة الوسطى (**) مرورا بالهكسوس وطردهم ثم ظهور الدولة (***) المصرية الحديثة وعصر الامبراطورية المصرية ، ومرورا بغزو الفرس لمصر فى عام ٥٢٥ ق·م وقد ظهرت فى أثنائه فترات متقطعة لاسرات وطنية (أسرات ٢٨ — ٣٠) ، ثم غزو الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٢ ق · م ثم حكم البطالمة ، ثم غزو الرومان فى عام ٣٠ ق·م (أى أن الأسرات الست والعشرين فى تاريخ مصر القديمة من ٣٤٠٠ - ٥٢٥ ق·م أى ٢٨٧٥ عاما (+) · وقد بلغت عصور الاستقرار من

(*) ٣٤٠٠ - ٢٤٧٥ ق · م ·

(**) ٢١٦٠ - ١٧٨٨ ق · م ·

(***) ١٥٨٠ - ١٠٩٠ ق · م ·

(+) ابسماتيك بن نخاو اسس الاسرة السادسة والعشرين ٦٦٣ - ٦٠٩ ق ·م· بعد ان اعاد نوعا من الوحدة الوطنية وحرر البلاد من ربقة الاشوريين بمساعدة الجنود المرتزقة ·

- هذه الاسرة آخر اسرة وطنية عصرها يمتاز بنهضة واضحة استمدت نماذجه (فى الدين والفن والنقوش) من العصور الكلاسيكية للدولتين القديمة والوسطى ·

- استمرت هذه النهضة (١٣٨ سنة فقط) لانها كانت مصطنعة · ولم يكد يظهر قمبيز على ابواب بلوز (أقصى مصب للنيل شرقا) عام ٥٢٥ ق· م حتى سقطت كأنها بيت من الورق (جورج سارتون : « تاريخ العلم » ، الجزء الاول ، دار المعارف ١٩٧٦ ، صفحتا ٣٧٨ - ٣٧٩) ·

- كانت النزعة الوطنية الشديدة فى ذلك الزمان مرتبطة ارتباطا غريبا بالضعف الحربى ·

الطول بحيث أنها يسرت للحضارة المصرية كلها وحدة معينة ٠

ب ـ فى عهد الرومان استمرت الهيمنة الرومانية مدة سبعة قرون بدأت فى عام ٣٠ ق٠م وانتهت فى عام ٦٤٢ ميلادية ٠

أى أن المدنية اليونانية الرومانية قد عاشت فى مصر ما يقرب من الف عام (٣٣٢ ق ٠ م ــ ٦٤٢ ميلادية) .

جـ ـ ومنذ الفتح العربى فى عام ٦٤٢ ميلادية عاشت مصر فى ظل الخلفاء الراشدين ثم فى ظل حكم الامويين والعباسيين ، ومرورا بالدولة الطولونية ثم الدولة الاخشيدية والدولة الفاطمية والدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية ثم البرجية حتى قتل « طومان باى » آخر سلاطين دولة المماليك البرجية ، وبمقتله دخلت البلاد فى عهد جديد ؛ اذ اصبحت مصر تحت السيادة العثمانية فى عام ١٥١٧ ميلادية ٠

د ـ وعانت مصر فى خلال هذه الفترة من ضربات الحروب الصليبية . والمغول ، وحكم المماليك فضلا عن الحكم العثمانى الوضيع ومصادرات الاتراك وسلبهم ونهبهم ، ثم واجه الشعب المصرى الاستعمار الغربى منذ أن وصم هذا الاستعمار تركيا وسماها « الرجل المريض » ٠ أى منذ القرن الثامن عشر ٠

هـ ـ ثم تجرأت فرنسا عندما شن « نابليون » حملته ونزلت جيوشه بالاسكندرية فى يوليو عام ١٧٩٨ ميلادية ٠ ولم يهنأ « الفرنسيس » فى مصر وعادوا يجرون أذيال الفشل فى عام ١٨٠١ ميلادية ٠٠ ولم يلبث ان واتت الفرصة للانجليز فاحتلوا البلاد فى عام ١٨٨٢ ميلادية (*) ٠ واستمر الأخيرون أكثر من سبعين عاما بعدها استرد الشعب المصرى حقوق سيادته ، ولأول مرة منذ عام ٥٢٥ ق٠م حتى عام ١٩٥٣ ميلادية ، حيث تعدد حكامه من غير المصريين ، أصبح الحاكم حاكما مصريا ٠

(*) يلاحظ أن التعسف والاستهتار من جانب الخديوى سعيد وحفر القناة السويس على دماء الفلاحين وفتحها كان فى عام ١٨٦٩ م ٠ واعل هذا المناخ الثقافى الاجتماعى السياسى كان من عوامل اشعال الثورة العرابية فى عام ١٨٨١ م اى بعد حفر القناة باثنتى عشرة سنة ٠

و - والملاحظ انه على الرغم من أن المدنية اليونانية الرومانية قد عاشت فى مصر ما يقرب من الألف عام ، وانه قد حدثت فى خلال هذه الفترة أحداث جسام ، فان الشعب المصرى فى ضوء أصالته الحضارية واجه هذه الأحداث فلم تمس ثقافته الا قليلا ·

ز - وقد تعلم الكثير من المصريين من كل الطبقات اللغة اليونانية وأطلقوا على أطفالهم أسماء يونانية ، وقد سادت هذه اللغة على الرغم من محاولة اللغة اللاتينية أن تحل محلها · وقد بدأ المصريون فى عام ٦٤ ميلادية يعتنقون الديانة المسيحية وكان « انيانيوس » المصرى أول أسقف كرسيه « مرقس الرسول » .

ح - واستطاعت الديانة المسيحية أن تتغلغل فى روح شعب مصر · لأنها عندما دخلت الى مصر لم تجد شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء لأن مصر كانت تعرف « أوزوريس » واستشهاده ، ثم بعثه ، كما تعرف شقيقته « ايزيس » قبل أن يطرق آذانها صوت البشارة المرقسية عن « الفادى المخلص » وأمه «مريم العذراء » ·

ط - وكما أخذت مصر فقد أعطت ، وما أخذته لم يمس الأصيل الذى عندها فى قليل أو كثير بل بقى الأخير مع غيره عبر الأزمان جنبا الى جنب . فرغم النير الرومانى مثلا تمكنت مصر من غزو غزاتها فى عقر عقولهم · ومنحت مصر رغم هوانها وضعفها السياسى العالم المتحضر آنذاك نبضه الروحى وعقيدته الدينية فضلا عن طمأنينته النفسية ·

ى - وانتشار الديانة المسيحية وتغلغلها فى مصر لم يتما بسهولة · وانما تم ذلك بعد صراع جبار كان له ميدانان :

أولهما : الميدان الفكرى وقد قامت بالدور الهام فيه مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وعلماء المسيحيين وفلاسفتهم ·

وثانيهما : كان فى ساحة الاستشهاد وقد قام عمليا بهجوم الوثنيين عام ٦٨ ميلادية على كنيسة الأقباط شرقى الاسكندرية وقتلهم القديس « مرقص الرسول » بعد أن جروه بالحبال فى شوارع المدينة حتى مزقوا لحمه ·

وكان النزاع فى أولى صوره نزاعا بين المسيحية والوثنية · ولكن ما أن

نمت المسيحية فى مصر حتى أصبحت تمثل الشعب المصرى كله تقريبا . وظل حكام الرومان يمثلون الديانة الوثنية ، وظهر عندئذ بوضوح أن هـــذا النزاع كان فى نفس الوقت صراعا بين شعب وحاكميه ، أو بين أبناء وطـن ومستعمريه . ويلاحظ ان الصراع بين عصر المسـيحية وحكامها الرومان وأن بدأ منذ القرن الأول الميلادى فانه لم ينته الا بدخول العرب .

ك ــ وكان دخول العرب فرصة مواتية أحدثت تغييرا لا يمس السياسة وحدها ولكن يمس الدين أيضا . وكانت النتيجة المتوقعة اتجاه مصر نحـو الشرق والاتصال بشعوب الشرق ، بعد أن كانت صـــلاتها الحضـــارية (الثقافية) مقصورة على الغرب أو بعبارة أدق على الحضارة (الثقافة) الاغريقية .

ل ــ وجاء مع دخول العرب الدين الاســـلامى . ومثله مثل الديانة المسيحية عندما دخلت الى مصر فى عام ٦٤ ميلادية ، لم يجد هذا الدين فى شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء . لأن مصر كانت تعرف الوحدانية العالمية قبل ان يغزو أرضها جيش عمرو بن العاص . لهـــذا لما احتضنت مصر تعاليم هذا الدين تمثلت رموزه وأسراره الشبيهة أشد الشبه بما كانت تعى من رموز وأسرار .

فالتاريخ يذكر أن آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة « امنحتب الرابع » (حوالى ١٣٧٥ ــ ١٣٥٠ ق.م) كان « أول الموحدين » ، فقد دعا الى دين وحدانية جديد . وغير اسمه الى « اخناتون » اشارة الى اعتناقه ذلك الدين كما سجل حماسه فى أناشيد اشهرها « عبادة الملك اخناتون والملكة نفرتيتى للقرص » ، أى قرص الشمس آتون اسم الاله الواحد . وهذه الانشـــودة ، كما قال « جيمس هنرى برستد » فى كتابه « فجر الضمير » ، أقدم انشـــودة توحيدية حقيقية فى عالم الأدب ، وفى بعض أجزائها ما يدعو الى مقارنتها بالمزمور رقم ١٠٤ من كتاب العهد القديم (آيات ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و٢٦) .

والملاحظ أن اصلاح « اخناتون » وهو نوع من الاصلاح الدينى قـــد سبق نظيره الأوروبى الذى دعا اليه « مارتن لوثر » بسبعة وعشرين قرنا *

(*) يرى الاستاذ الدكتور سيد كريم فى مقاله الرائع عن « كتاب الموتى بين عقيدة التوحيد السماوية » المنشورة فى مجلة الهلال عدد رقم ٦ شهر يونيو عام =

م – ولم يجىء مع دخول العرب الدين الاسلامى وحده ، **ولكن غزت اللغة العربية البلاد** • وابتداء من القرن التاسع الميلادى أخذت اللغة العربية **تناهض اللغة القبطية** • وحلول اللغة العربية محل القبطية سبقه انتشـــار **العربية كســـلغة** للتخاطب بين أعضـــاء الشـــعب وأصـــبحت العربية لغة الدواوين ثم صارت لغة التعليم • **وقد جاء القرن الثالث عشر والعلماء القبط** يؤلفون فى اللاهوت باللغة العربية • مما يدل على أنها كانت لغة العلم السائدة وكان يفهمها أغلب ســـكان مصر ، ويتكلم بها أغلب **ســكان الوجه البحرى** •

ن – وظلت اللغة القبطية لغة التخاطب فى الوجه القبلى حتى القرن الســـابع عشر • وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انتهى الكلام باللغة القبطية ، ولكنها بقيت لغة الكنيسة تستخدم فى الصلوات وقراءات الكتب المقدسة ، ويعرفها بعض الأفراد من الأقباط فى الأديرة أو المدن عن طريق اتصالهم بهذه الصلوات واهتمامهم بها •

س – والملاحظ أنه على الرغم من أن اللغة القبطيـــة قد اختفت أمام اللغة العربية الا أن ذلك لم يحل دون أن تضفى ملامحها الشـــخصية على اللغة العربية وأن تصبغها بصبغة جعلت اللغة العربية فى مصر تظهر بمظهر **خاص يختلف عنه فى الأقطار العربية الأخرى • تماما مثلما ظلت الكثير من العناصر الثقافية المصرية القديمة حية** حتى الآن فى مصر •

ع – ولعل من مظاهر السمات الثقافية المصرية المستجدة ، ما نلحظه فى أسماء المدن المصرية ، فبالرغم من اختفاء الأسماء المصرية القديمة مدة سيادة اللغة اليونانية (حوالى تسعة قرون) • ورغما من فرض أســـماء يونانية على المدن المصرية ، فان الأســـماء المصرية لهذه المدن لم تلبث ان

= ١٩٨٧ ، ان أول رسالة أو كتاب سماوى بعد « اخناتون » كانت توراة « سيدنا موسى » والتى كشف بعض المؤرخين ان بعض صفحاتها تشترك فى الصيغة والمضمون مع رسائل اخناتون وهو ما أدى بـ « فرويد » الى الادعاء بان اخناتون ما هو الا موسى عليه السلام رغم ان موسى قد ولد بعد موت اخناتون بمائة وستين عاما (صفحتا ٩٣ – ٩٤) •

ظهرت ثانية بعد دخول العرب *

٤ ــ وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن :

ــ المجتمع المصرى المعاصر هو مجتمع قديم ومستمر ، أى أن ثقافته (حضارته) قديمة ومستمرة ·

ــ والقدم والاستمرار صــفتان للثقافة المصرية الأصـــيلة الآتية من الماضى السحيق والتى نشأت فى الغالب فى البيئة الطبيعية الأصيلة ·

ولكن دلالة القدم والاستمرار فى ضوء تاريخ المجتمع المصرى الطويل توضح مصادر الثقافة المصرية الأخرى ·

ــ ومن ثم فان أهم سمات الثقافة المصرية هى :

ــ القـــــدم ·

ــ الاستمرار ·

ــ تعدد المصادر : أهم هذه المصادر هى :

(*) الملاحظ ان اسم هليوبوليس (مصر الجديدة الآن) هو اسم اغريقى وقد انشـــئت فى ٤٢٤٠ ق · م اما الاسم الفرعونى لهليوبوليس فهـــو « أون » (عين شمس) ·

ــ وهى أول جامعة فى العالم انشئت فيها وقد تتلمذ على أيدى علمائها الكثير من اساطين الاغريق فى العالم ، فى العلم والفلسفة والفقه والرياضيات والآداب ، ومنهم طاليس الملطى (ولد فى عام ٦٢٤ ق · م) وفيثــاغورس (ولد فى عام ٥٣٠ ق· م) وافلاطون (ولد فى عام ٤٢٧ ق· م) ·

ــ فيثاغورس تعلم على يد طاليس ثم ذهب الى مصر ومكث فيها ما لا يقل عن اثنى عشر عاما يدرس الفلك والهندسة والاسرار الكهنوتية ·

ــ المعلوم ان افلاطون قد اعتمد على التراث المصرى القديم فى صياغة الفضائل الاســـاسية وهى :

ــ الحصـــــافة .

و ــ العـــــدل .

و ــ الاعتدال (ضبط النفس) .

و ــ الجـــــلد .

العنصر الفرعـــونى :

ـ قبل الاسرات (حضارات الفيوم ومرمدة)

٦٠٠٠ ٥٥٠٠ + ٥٠٠ ق٠م

ـ الاسرات :

٢٨٧٥ ٣٤٠٠ ـ ٥٢٥ ق ٠ م

٨٨٧٥

ـ اليونانية الرومانية :

٣٠٢ ٣٣٢ – ٣٠ ق٠ م (اليونان)

٦٧٢ ٣٠ ق٠ م – ٦٤٢ م (الرومان)

٩٧٤

ـ العرب (الخلافة الاسلامية) :

٢٢٦ ٦٤٢ – ٨٦٨ م

ـ الدولة الطولونية حتى الدولة العثمانية

٦٤٩ ٨٦٨ – ١٥١٧ م

٨٧٥

ـ الدولة العثمـــانية الى محمـد على مرورا بنابليون والانجليز

٢٨١ **العثمانيون** ١٥١٧ – ١٧٩٨ م

٣ **الفرنسيس ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م**

١٤٨ أسرة محمد على ١٨٠٥ ـ ١٩٥٣

٧١ **الانجليز** ١٨٨٢ ـ ١٩٥٣ ٠

٥ ـ وبالاضافة الى سمات الثقافة المصرية السابقة (القدم والاستمرار وتعدد المصادر) وربما بسببها ، وجدت فى ضوء نتائج البحوث والدراسات التى قمت باجرائها فى المجتمع المصرى المعاصر سمة أخرى هى ســـــمة الازدواجية الثقافية المصرية * حيث نجد :

(*) يلاحظ ان سمة الازدواجية الثقـــافية لا توجد فقط فى المجتمع المصرى وانما نجدها ايضا فى المجتمعات الانسانية الاخرى ٠ ولكن عوامل وجودها فى =

أ - ان معانى بعض مفاهيمها وأهداف ممارسة البعض متغيرة ٠
ب - وأن بعض عناصرها متناقض على الرغم من تماثل مجالات الممارسة ٠
ج - وأنها فى معظم الأحيان فى صراع حاد مع الجديد ٠

٦ - النظرة الى ظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى

من حق القارىء الكريم أن أبين له أهم موضوعات هذه النظرة ٠ ذلك لأن ظاهرة التغير الاجتماعى من أهم الظواهر التى تصادفها المجتمعات الانسانية والجماعات الانسانية فضلا عن الانسان نفسه ٠ أى ان هذه الظاهرة تمس الحياة التى يعيشها الناس كما تمس العناصر المادية التى يستخدمونها لتحقيق حفظ نوعهم وحياتهم وتحقيق مستوى معيشى لائق بآدميتهم ٠ وموضوعات النظرة الحالية موضوعات شتى تتضمن طبيعة الظاهرة وألوانها ومظاهرها وتعريفها وعوامل وجودها ٠٠ الخ ٠ وذلك لان التغير هو سنة الحياة ٠ فكل شىء لا يبقى على حال ٠ الأشياء الطبيعية فى تغير مستمر : فالأرض فى تغير مستمر ، والسماء فى تغير مستمر ، والبحار والمحيطات فى تغير مستمر ، والحيوان فى تغير مستمر ، هذه سنة الطبيعة ولن تجد لسنة الطبيعة تبديلا ٠

والانسان كذلك فى تغير مستمر ٠ طبيعته البيولوجية فى تغير وحياته الاجتماعية فى تغير كذلك ٠

واذا كان الموضوع الذى ترتكز عليه النظرة الراهنة هو التغير الاجتماعى أى تغير الحياة الاجتماعية للانسان فاننا نلاحظ أن تغير الطبيعة البيولوجية للانسان أبطأ بكثير من تغير حياته الاجتماعية ٠ فعلى الرغم من أن البناء البيولوجى وكفايات الانسان لم تتغير تغيرا ملحوظا منذ آلاف السنين ، فان سلوك الانسان ومشاعره قد تغيرت كثيرا ٠ فالانسان

= المجتمع المصرى غير عوامل وجودها فى المجتمعات الانسانية الاخرى. وذلك لان المجتمع المصرى فى ضوء واقعه الحى وفى ضوء تاريخه فضلا عن علاقاته بالمجتمعات الاخرى يعتبر بالضرورة مجتمعا متميزا ٠

الحديث لم يكد يتغير جسمانيا فى خلال الـ ٣٠٠٠٠ عام منذ بدء ظهوره ، ولكن فى خلال الـ ٦٠٠٠ سنة الأخيرة على وجه الخصوص نجد أن سلوك الانســان وخلقه ومهارته الفنية وأعماله الاجتماعية قد تغيرت تغيرا كليا وجزئيا وفى سرعة باهرة · وسـيستمر هذا التغير وبخاصــة ونحن على مشـارف القرن الواحد والعشرين حيث خطا العلم العصرى والتكنولوجيا الحديثة خطوات مذهلة ·

١ ـ طبيعة التغير الاجتماعى :

والملاحظ أن المجتمعات البسيطة أكثر تماســكا وأكثر جمــودا من المجتمعات الدينامية المعقدة . فالأخيرة متفككة نوعا ما وفى تغير مســـتمر وانحلال (Disorganization) · ونجد أن المشـــاكل الاجتماعية فى عهد من العهود غيرها فى عهد آخر · ولا يوجد لدينا حتى الآن مقيــاس نقيس به سعادة أو شقاء الناس فى الأزمان المختلفة أو المجتمعات المختلفة · وأرجو ان يلاحظ القارىء قولى « حتى الآن » · وذلك لان الباحثين العلميين الاجتماعيين مع غيرهم من العلماء المتخصصين يكافحون بخطوات ثابتــة ومبشرة من أجل تحقيق هذا الهدف ·

والتوازن الاجتماعى (Social Equilbrium) مسألة نسبية فى المجتمعات الانسانية فحتى فى أبسط المجتمعات نجد فيها تفككا وانحلالا (يعنى أننا نجد مشــاكل اجتماعية قائمة ونعترف بهــا ولم توجد الحلول الملائمة لمواجهتها) ونجد أيضا فى هذه المجتمعات البسيطة تغيرا اجتماعيا (أى تغيرات فى الانساق والوظائف الاجتماعية) ·

واذا كان التوازن الاجتماعى الكامل لا وجود له فالجمود الاجتماعى الكامل لا وجـــود له كذلك · ويستحيل وجودهما فى ظروف الحيـــاة الحديثــــة ·

والتفكك الاجتماعى هو الثمن الذى يدفعه الانسان للتغير الاجتماعى ، ويجب أن ينظر الى ظــاهرة التفكك الاجتماعى على أنهــا ظاهرة عادية ومسألة متوقعـــة ·

ودراسة ظاهرة التغير الاجتماعى ومن ثم ظاهرة التفكك الاجتماعى من الأهمية بمكان لمن يوطد عزمه على اصـــلاح المجتمع ومحاولة تخفيف

وطأة التفكك والانحلال فيه ، وذلك عن طريق معرفة الاسباب ورسم الخطط الملائمة لمواجهتها ٠

٢ ـ ألوان التغير الاجتماعى :

والتغير الاجتماعى عملية لها الوان متعددة :

فبعض الجماعات الاجتماعيـــة والجمعيات ، كجماعة الأصـــــدقاء واللجان والمؤتمرات والحركا تالاصلاحية نجدها قصيرة العمر ، والبعض الآخر كالمعبد والكنيسة والمسجد والدولة نجدها طويلة العمر ٠

وبعض الجمعيات والجماعات الاجتماعية يتغير بسرعة وبعضــــــها يتغير ببطء ٠ وقد رأينا الكثير من التغيرات الاجتماعية فى المجتمع المصرى قد حدثت تحت أعيننا فنجد تغيرا ملحوظا فى أنساقها الاجتماعيـــــة وفى الوظائف الاجتماعية فى المجتمع وفى محيط الأسرة المصرية وفى الـــدولة وفى الريف وفى المدن ٠

ونجد أن بعض التغيرات الاجتماعية مستمر على مر القرون ومثال هذا الريف المصرى والأمثال العامية والمسجد والكنيسة ٠٠ وبعض العادات والنماذج الاجتماعية ٠

والخلاصة أننا نجد أن بعض عمليـــات التغير الاجتماعى مســـتمر وبعضها متقطع وبعضها سريع وبعضها بطىء وبعضـــها يبدو وكأنه دورى (Cycle)وبعضها يبدو سيره خطيا (Linear).

ويهتم علماء الاجتماع بالتغير الاجتماعى الذى يحدث بين القليل من الأفراد كما يهتمون كذلك بالذى يحدث فى المجتمعات ٠

والتغير الاجتماعى فى ضوء ما سبق يمكن ملاحظته ووضـــعه فى اطارات خاصة ، فمثلا نسبة الطلاق وعدد الاختراعات ، ونسبة الانتحـار ، ونسبة الأمية والكثير من الاحصاءات الخاصة بالسلوك الانسانى فى أى مجتمع يمكن مقارنتهـا من وقت لآخر ومن مكان لآخر ، ويمكن عن طريقهـا التعرف على وجود اتجاهات معينة أو تغيرات اجتماعيـــة دورية ، وكذلك يمكن معرفة وجود معامل ترابط (Correlation) أو عوامل مشتركة بينها لمعرفة نسبة التغير (Rate of change) ٠

٣ ـ مظاهر التغير الاجتماعى :

وبصفة عامة يمكن تلخيص مظاهر التغير الاجتماعى الى ما يأتى :

١ ـ الاتجاه المتزايد نحو نقد التقاليد (Secularization)

٢ ـ تفكك العلاقات بين الجماعات · (Outomization)

٣ ـ انتشار الحياة فى المدن · (Urbanization)

٤ ـ تعريف التغير الاجتماعى :

ولقد بذل الكثير من الجهود لمعرفة **اسباب التغير الاجتماعى ومعرفة القوى التى تقاوم التغير الاجتماعى او تساعد على السير فى طريقه** ، ومعرفة المدى الذى يمكن أن يصل اليه التغير الاجتماعى المبنى على أساس التخطيط ·

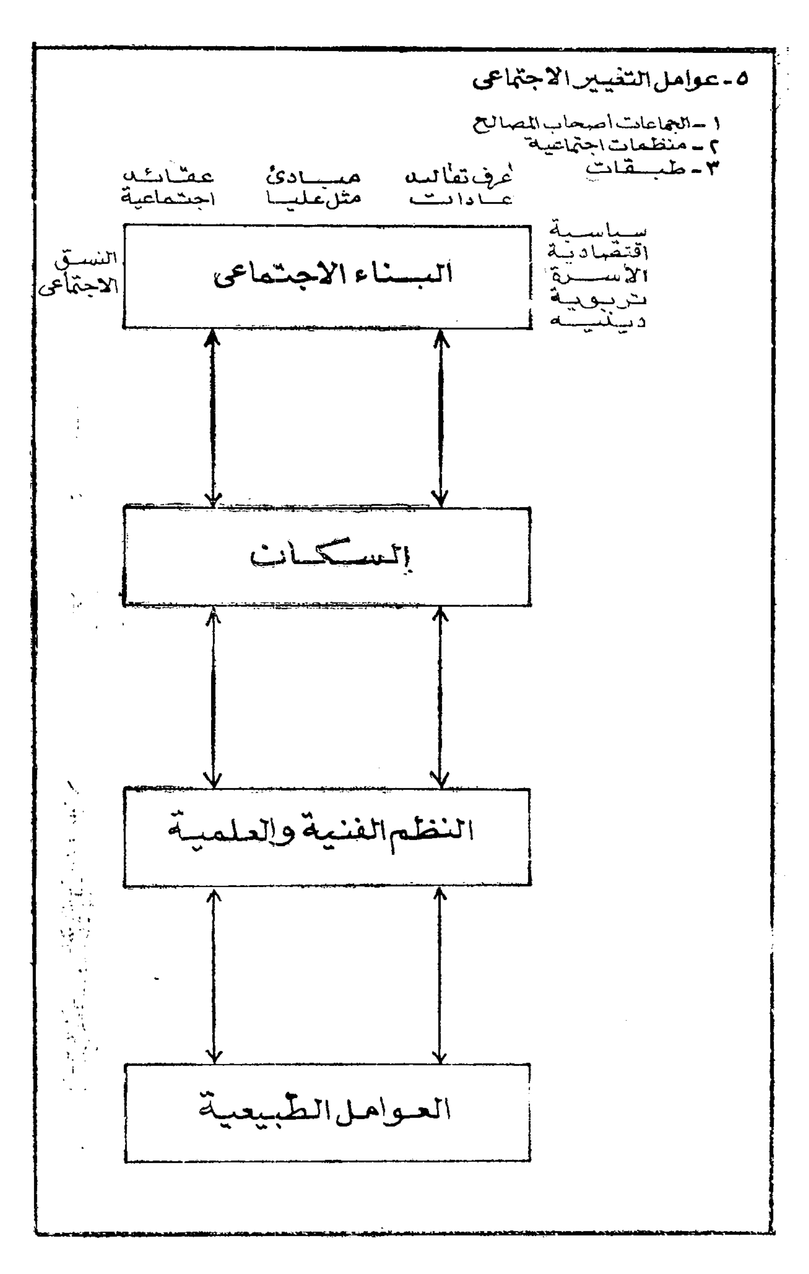
وقبل أن نبحث هذا الموضوع يجدر بنا أن نحاول **تعريف** التغير الاجتماعى ·

ويمكن تعريف التغير الاجتماعى بانه التغيرات أو التعديلات فى اية ناحية من نواحى **العمليات الاجتماعية او النماذج الاجتماعية أو الأشكال الاجتماعية** · وهو اصطلاح يدل على نتائج أى نوع من انواع الحركات الاجتماعية ·

والمقصود **بالعملية الاجتماعية** (Social process) هو أى تغير اجتماعى يكون نتيجة تفاعل شخص مع شخص او شخص مع جماعة أو جماعة مع فرد أو جماعة مع جماعة ، ومن امثلتها عملية التنشئة الاجتماعية (Socialization) أو عمليات التنافس والصراع والتقليد والضبط الاجتماعى او تقسيم المجتمع الى طبقات (Stratification).

والمقصود بالنموذج الاجتماعى (Social pattron) هو السلوك الاجتماعى المتكرر كتناول الطعام ثلاث مرات كل يوم ، والصلاة خمس مرات كل يوم ، والصيام كل عام ·· الخ ·· ويشترط فى هذا السلوك أن يقوم به فردان أو اكثر ، فهو سلوك اجتماعى جماعى ·

والمقصود بالشكل الاجتماعى (Social Form) هو ما يتعلق ببناء الأنساق الاجتماعية والقواعد والعلاقات التى توجد فى المجتمع ·· كشكل الأسرة والدولة ·



٥ - عوامل التغيير الاجتماعى
١ - الجماعات أصحاب المصالح
٢ - منظمات اجتماعية
٣ - طبقات
عرف تقاليد
عادات
مبادئ
مثل عليا
عقائد
اجتماعية
سياسية
اقتصادية
الأسرة
تربوية
دينية
النسق
الاجتماعى
البناء الاجتماعى
السكان
النظم الفنية والعلمية
العوامل الطبيعية

والتغير الاجتماعى قد يحدث نتيجة لبعض العوامل والظروف التى لا دخل لأحد فى حدوثها أو يتوقع أحد حدوثها · وأكثر التغيرات الاجتماعية تحدث نتيجة للحركات الاجتماعية وهذه الحركات الاجتماعية عبارة عن مجهود جماعى واع يهدف الى بناء نوع معين من نسق جديد للحياة · وقوام هذه الحركات الاجتماعية هو عدم الرضا أو القلق الذى يسود نفوس الناس بسبب النسق الاجتماعى القائم ، والحركات الاجتماعية اما أن تكون ثورية أو تطورية . والحركات الثورية تقوم على أساس عدم الاعتراف ببعض الأسس التى يقوم عليها النسق الاجتماعى القائم وتهدف الى تغيير النسق الاجتماعى القائم تغييرا كليا وعلى اسس جديدة ، وقد يكون سبيلها العنف فى سبيل تحقيق أهدافها ·

ونجد أن الثورة الصناعية فى انجلترا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مثلا ، قد انتجت ظروفا اجتماعية لم يتوقعها أحد ، وكانت موضع اهتمام المصلحين الاجتماعيين وخاصة فى القرن التاسع عشر لمعرفة أسبابها ومواجهتها · فقامت حركات اصلاحية عديدة تهدف الى حل المشاكل الاجتماعية القائمة فجمعية (Fbian society) قامت على أساس أهداف اجتماعية اصلاحية تطورية ، ويقابلها فى مصر جمعية الرواد والجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ·

والثورة البلشفية فى روسيا مثل للحركات الاجتماعية الثورية التى استعملت العنف لتحقيقها · والثورة المصرية عام ١٩٥٢ تعتبر مثلا للحركات الاجتماعية التى لم يستعمل فيها العنف مثل الثورة البلشفية ·

ونجد الآن فى جميع بقاع الأرض فى أوروبا وفى امريكا وفى آسيا وفى افريقيا تغيرات اجتماعية سريعة مقصودة أو غير مقصودة ، كما نجد حركات اجتماعية مختلفة الأهداف ولكن كلها تهدف الى مواجهة الانحلال الاجتماعى الناتج من التغيرات الاجتماعية القائمة · وأهداف هذه الحركات مختلفة لأن نتائج الانحلال الاجتماعى الناتج مختلفة كذلك ، ومن ثم فالمشاكل الاجتماعية مختلفة وطرق اصلاحها والتقليل من حدتها تكون بالضرورة مختلفة ·

والآن نعود الى موضوع عوامل التغير الاجتماعى · ونحاول الاجابة عن السؤال ما العوامل التى تغير الحياة الاجتماعية للانسان ؟ أو ما العوامل التى تغير النسق الاجتماعى لمجتمع من المجتمعات ؟

والمقصود بالنسق الاجتماعى (Social System) هنا هو : (انظر الرسم البيانى السابق) ٠

(أ) الجماعات التى تمثل المصالح الاجتماعية المختلفة (Interest groups) مثل الجماعات الثقافية والاقتصادية والسياسية ٠

(ب) المنظمات الاجتماعية كالمنظمات السياسية والتربوية والدينية والاقتصادية وكمنظمة الأسرة والمسجد أو الكنيسة ٠

(جـ) طبقات المجتمع المختلفة كطبقة العمال والطبقة المتوسطة والطبقة العالية ولكل طبقة من هذه الطبقات أقسام (Sub-classes)

(د) ويضاف الى ذلك ما يعبر عنه بالثقافة والحضارة للمجتمع (Culture) ، مثل العقائد والقيم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات والمبادىء والمثل العليا ٠

٧ – وتنقسم العوامل التى تغير النسق الاجتماعى لمجتمع من المجتمعات الى :

(أ) عوامل ثقافية (غير مادية) ٠

(ب) عوامل غير ثقافية (مادية) ٠

(أ) العوامل الثقافية :

– عوامل فنية علمية صناعية ٠

– عوامل تتعلق بالقيم الاجتماعية والعقائد والعرف والتقاليد والعادات والمبادىء والمثل العليا ٠

(ب) العوامل غير الثقافية :

– عوامل طبيعية جغرافية تتعلق بالأرض والمناخ ٠٠ الخ ٠

– عوامل اجتماعية بيولوجية تتعلق بالسكان وعددهم ونوعهم وازديادهم ونقصانهم ٠

ويلاحظ أن أى تغيير فى النسق الاجتماعى يؤثر بالتالى فى العوامل الأخرى ، وأن أى تغير فى أحد العوامل الأخرى يؤثر فى النسق الاجتماعى ٠ ويلاحظ ايضا أن العوامل الرئيسية لأى تغير اجتماعى هى العوامل الثقافية وعلى الأخص العوامل الفنية العلمية الصناعية ٠

٨ – وفى ضوء كل ما سبق وغيره من نتائج البحوث والدراسات

التى قمت باجرائها أو الاشراف عليها ، تبين ان أهم النتائج المتعلقة بظاهرة التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى المعاصر ما يلى :

(أ) العوامل التى تشجع على التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى :

– السكان (ازديادهم وهجرتهم من الريف الى الحضر والاهتمام بالأطفال فيه فضلا عن العمل على ارتفاع هامة المرأة المصرية) ..

– التصنيع .

– انتشار الحياة فى المدن (مع الأخذ فى الاعتبار ان تريف المدن أصبح ظاهرة فى الوقت الراهن) .

– التعليم (ويتضمن بالضرورة التربية) .

– التقدم الصحى .

(ب) العوامل التى تقاوم التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى :

– الجماعات الرجعية وهم يمثلون القوى الاجتماعية التى تتعارض مصالحهم مع التغير الاجتماعى المقصود الذى يهدف الى الافضل والى ما يجب أن يكون أو ما يمكن ان يكون عليه المجتمع فى ضوء عقائده وقيمه ومبادئه ومثله العليا .

– الاستعمار بالمعنى الحديث وهو قوة خارجة عن المجتمع ولكن أثرها يبدو واضحا نظرا لأن الحياة الاجتماعية الدولية قد اصبحت متشابكة وديناميه . (أصبحت الحضارة الغربية فى وقتنا الراهن حضارة عالمية) .

(ج) العوامل التى تؤثر فى خط سير التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى الحالى :

– الأساليب التى تستعمل لمواجهة زيادة عدد السكان .

– تشجيع التصنيع .

– اصلاح الأراضى الزراعية (غزو الصحراء الشاسعة مثلا) .

– سياسة التعليم (الاهتمام ليس فقط باصلاح الجامعات بل بالمعاهد الاخرى قبل الجامعة من دار الحضانة ومابعدها ايضا) .

– التقدم الصحى فى القرى .

– تنسيق الخدمات العامة (الصحية – الثقافية – الاجتماعية – الفنية مثلا) فى ضوء سيادة العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة .

٩ — ضرورة التكيف الاجتماعى :

ان الانحلال الاجتماعى (Social disorganization) **يوجد دائما** مصطحبا بالتغير **الاجتماعى · والانحلال الاجتماعى يظهر فى اشكال مختلفة** تثبت فى المجتمع باسره . وقد يشمل الانحلال الفرد كما يشمل الجماعات والمجتمع كذلك .

وانني اقصد بمفهوم التكيف الاجتماعى ان يكون اعضاء المجتمع قادرين على **مواجهة التغيرات الاجتماعية بصفة عامة · والانحلال الاجتماعى بصفة** خاصة (أى المشاكل الاجتماعية الموجودة فى المجتمع والتى مازالت **قائمة ولم تحل**) ·

١٠ — والمقصود بالموقف الاجتماعى عندى ان نحاول عن وعى علاجه وتحسينه **او تغييره او تطويره ، وهذا الموقف الاجتماعى اما (١) انه ينبث من ظروف المجتمع او البيئة الاجتماعية او (٢) انه يدعو الى تطبيق القوى والوسائل الاجتماعية لتحسينه أو تغييره أو تطويره** ·

وغالبا مايندمج هذان النوعان ويظهران مميزات مشتركة . **ويدخل فى** الفئة رقم (١) عيوب وعدم تكيف والنقص فى الأفراد والأسر **والجماعات** الصغيرة ، والا مثلة على هذه الأمور ، البطالة ، والمرض ، الفقر ، **والرذيلة** .. الخ .

اما الفئة رقم (٢) فنجد انها تشمل العيوب وعدم التكيف فى **البناء** الاجتماعى ذاته وفى وظائفه ، وليس فى طاقة فرد واحد او **جماعة صغيرة** اصلاح هذه العيوب ، والأمثلة على هذه الأمور الحروب ، **البطالة الدورية** ، الفساد السياسى .. الخ .

وعلاج **المواقف الاجتماعية من الفئة رقم (١)** يكون عن طريق الاصلاح الاجتماعى اما علاج **المواقف الاجتماعية** من الفئة رقم (٢) **فهو يحتاج الى** هندسة اجتماعية (Social Engineering) وتخطيط اجتماعى (Social planing) ولما كانت عملية الانحلال الاجتماعى ومن ثم المشاكل الاجتماعية تعنى **المجتمع** باسرة فانه يلزم لمواجهتها **(أى ضرورة وجود التكيف الاجتماعى أو اجهتها)** مجهود اجتماعى لافردى . وعلى ذلك قامت الحركات **الاصلاحية فى** المجتمعات . وهى حركات تهدف الى التكيف الاجتماعى ازاء **التغيرات** الاجتماعية القائمة .

ويلاحظ ان الحركات الاصلاحية **هى فى ذاتها أداة من ادوات التغير الاجتماعى فهى قد نشأت من عوامل التغير الاجتماعى وما صاحبه من انحلال**

اجتماعى ومشاكل اجتماعية عندما رأى فريق من المصلحين ان تعـــالج وتواجه ، وهى فى الوقت ذاته **بحكم طبيعتها أداة** من أدوات التغير الاجتماعى الذى قد يصطحب انحلالا اجتماعيا ومشاكل اجتماعية جديدة .

أمثلة : القضاء على الاقطاع ـــــ صراع من اجل تحقيق عدالـــة اجتماعية .

تحرير المرأة ـــــ الصراع من أجل غرس الثقة فى نفسها التى تغرسها بدورها لأطفالها .

التصنيع ـــــ تفكك الروابط الاجتماعيـــة + صـــــور جديدة من الجريمة + مشاكل الهجرة .. الخ .

١١ ــ ويلاحظ أن لكل حركة اصلاحية اجتماعية معارضين يقفون لها بالمرصاد ويحاولون ان يقفوا فى سبيلها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولهذه المعارضة عوامل منها :

(أ) أن بعض الناس والجماعـــات لايميلون الى التجـــديد بل هم يقاومونه . وترجع هذه المقاومة للتجديد الى أن مركز هؤلاء الاجتماعى أو الاقتصادى يكون عرضة الى التهديد اذا حدث التغيير .

(ب) نجد أن بعض الحركات الاصلاحية الاجتماعية تنافس بعضـــها البعض عادة وذلك يضعفها ومن ثم يقوى مركز المعارضين للاصلاح .

وبسبب وجود الظروف الاجتماعية الملائمة أى (وجود حركات الاصلاح مصطحبابانحلال اجتماعى ومشاكل اجتماعية) نجد أن حركات الاصلاح الاجتماعية تنجح عادة على الرغم من المقاومة التى تقف فى سبيلها .

ــ والتكيف الاجتماعى **هو عملية اجتماعية** . وهى تتضمن نشاط الأفراد والجماعات وسلوكهم الذى يرمى الى الملاءمة والانسجام بينهم وبين الانساق الاجتماعية أو الأوضاع الاجتماعية أو الآراء والقيم الاجتماعية ، الجديدة ، وبينهم وبين الجماعات المختلفة ، حتى يضيق الخلاف مهما كان نوعـــــه ، ويوجد **التفاهم والانســـجام** .

وبما أن التغير الاجتماعى هو عملية مستمرة فان عملية التكيف الاجتماعى يجب أن تستمر تبعا لذلك .

١٢ ــ وسائل التكيف الاجتماعى :

(أ) وسيلة العنف : لارغام الناس على تغيير سلوكهم أو اتجاهاتهم .

(ب) وسيلة الاقناع : وطبيعة هذه الوسيلة ان تكون تدريجية وخير مثال لاستعمالها هى تجربة شطانوف وتجربة المنايل سنة ١٩٣٩ .

(جـ) وسيلة التراخى وهى وسيلة الرضا بحل الوسط كما يحـــدث بين المشاكل التى تنشأ بسبب المصالح المتنافرة بين أصحاب العمل والعمال.

(د) وسيلة التسامح : تسامح الجماعات العنصرية أو القوميـــة والجماعات المختلفة فى الدين أو العقيدة .

١٣ ــ سوء التكيف الاجتماعى :

يترتب عليه عدم مواجهة المشاكل القائمة وربما خلق مشاكل جديدة وهنا تحتم الضرورة الاجتماعية وجود التكيف الاجتماعى عن طريق :

(أ) دور الاخصائى الاجتماعى بالتعاون مع غيره من المتخصصين مثل الباحث العلمى الاجتماعى والطبيب والاخصائى النفسى والمربى .. الخ .

(ب) التخطيط الاجتماعى فى ضوء نتائج البحث والدراسات العلميـــة الاجتماعية .

(جـ) الحركات الاجتماعية بالوانها وسياساتها .

(د) القيادة الرشيدة للتغلب على الاتجاهات الجامدة والانفعالات التى تتعرض لها عملية التكيف الاجتماعى .

١٤ ــ التغير الاجتماعى والتخلف الثقافى :

ان التغير الاجتماعى فى مجتمع من المجتمعات لايكون عادة بنسبة واحدة فى كل النواحى الاجتماعية . والتغير الاجتماعى فى الواقع هو تغير فى التراث الاجتماعى للمجتمع . ومن ثم فالتغير يحدث بنسب متفاوتة فى التـــــراث الاجتماعى أو ثقافة المجتمع (Culture) والمقصود بالثقافة للمجتمع هو التراث الاجتماعى لجماعة من الناس يرثونه جيلا بعد جيل كافراد او جماعات .. ويجب الا نخلط بمدلول كلمة (Culture) مدلول كلمـــة (Race) . فالمدلول الاخير معناه التراث الجسمانى الذى يتوارثه الناس جيلا بعد جيل عن طريق دينامية العمليات البيولوجية لحفظ النوع الانسانى .. وكذلك لا يجب استعمال كلمة (Culture) استعمالا محدودا يقتصر على نوع معين من الثقافة فهو لفظ له معنى عام يشمل اسلوب او اساليب الحياة للناس فى مجتمع من المجتمعات أو فى جماعة من الجماعات .

وينقسم التراث الاجتماعى الى قسمين اى ان العناصر التى تكـــون التراث الاجتماعى يمكن تقسيمها الى قسمين :

(أ) عناصر مادية : وتشمل كل ما يستطيع الانسان ادراكه عن طريق الحواس مثل المبانى ، الاثاث ، الادوات ، الملابس ، الآلات ، وســـائل

المواصلات ، الراديو ، التليفون ، التلغراف ، التليفزيون ، الكمبيوتر ، والفيديو .. الخ .

(ب) عناصر غير مادية : وتشمل اللغة ، العادات ، العرف ، التقاليد ، المعتقدات ، القانون ، العلوم والفلسفات .. الخ .

(جـ) ويلاحظ أن العناصر المادية فى التراث الاجتماعى او ما يسميها البعض احيانا باسم « الحضارة » تتغير بسرعة اكبر من العناصر غير المادية (الثقافة) ، فبينما تتطور الحضارة فى مجتمع من المجتمعات بخطى أوسع نجد أن الثقافة فى تطورها تتخلف عن الحضارة وهذا ما يسمى « بالتخلف الثقافى فى المجتمع » وينتج عن هذا التخلف الناشىء عن درجة تفاوت التغير أو التطور فى كل من الحضارة والثقافة ما يسبب الانحلال الاجتماعى أو التقلقل أو الاضطراب فى العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع .

(د) ويلاحظ أيضا ان الحضارة هى وسائل مادية يشبع الانسان عن طريقها حاجاته ويسهل الحكم على قيمتها ، اما الثقافة فمن الصعب الحكم على قيمتها أو قياسها .

(هـ) ويلاحظ كذلك ان الحضارة قد تكون عاملا فى تغير وتطور الثقافة، كما تكون الثقافة كذلك عاملا فى تغير وتطور الحضارة .

(و) كما يلاحظ ان الحضارة قد تنتشر بين الطبقات والمستويات تقريبا، اما الثقافة فهى عادة تنتشر بين الطبقات والفئات المتشابهة . فمن الميسور عادة ان يستطيع اى شخص (رجلا كان او امراة) قيادة سيارة بعد تدريب بضع ساعات ولكن فئة معينة من العلماء يمكنها فقط أن تصل الى معرفة القوانين والنظريات التى على اساسها أو فى ضوئها صممت السيارة وبرزت الى حيز الوجود .

١٥ — علاقة العادات الفردية بالاوضاع الاجتماعية وما ينشا عنها من توافق أو تنافر :

ان نمو شخصية اى فرد منا هو عملية تدريجية تنشأ عن طريق الخبرة والتعليم والنضوج الاجتماعى .. والاتجاهات الفردية تكتسب بينما تكون عملية نمو الشخصية سائرة فى مجراها من مرحلة الطفولة حتى مرحلة البلوغ .. وتتكون العادات الفردية على اساس الاتجاهات الفردية لانها اولا وقبل

كل شيء ناتجة عن خبرات شخصية فهى نماذج سلوكية قد اكتسبها الفرد .
ومن أهم الجماعات التى تؤثر فى تكوين العادات الفردية هى :

(أ) الجماعة الاولية (Primary group) مثل العائلة وعصبة اللعب .

(ب) الجماعة الثانوية (Secondary group) مثل جماعة الطلبة فى احدى الجامعات .

ومن أهم وظائف الجماعة الاولية هى ضبط سلوك الفرد والتنبوء به .
ولما كان التراث الاجتماعى لجماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات يتحكم الى حد كبير فى تكوين نوع أو انواع الشخصيات التى تضم هذه الجماعة أو هذا المجتمع حتى يمكن أن تصلح للعيش تبعا للعادات الاجتماعية فى الجماعة أو المجتمع ، ولما كان التراث الاجتماعى فى تغير مستمر فان النتائج لكل ذلك ان يحدث صراع او تنافر وتناقض . فالتراث الاجتماعى يؤثر فى الافراد كيما يختاروا بين متناقضات · وفى عملية الاختيار ذاتها نجد تناقضا وتنافرا كذلك ·

(يلاحظ ان درجة التغير فى التراث الاجتماعى تحدث بنسب متفاوتة)
ونتيجة الصراع أو التنافر هى عدم التكيف الاجتماعى ، وعليه فاننا نجد ان فى المجتمعات المتغيرة باستمرار يوجد عدم تكيف اجتماعى **باستمرار** .. ومن نتائج عدم التكيف الاجتماعى وجود أفراد مرضى بأمراض نفسية أو عقلية ووجود أفراد مجرمين ومتشردين ووجود عاطلين لايمكن تشغيلهم .

١٦ — من الضوابط الاجتماعية :

(أ) العرف : هو عادة اجتماعية انتشرت وذاعت وتعارف الناس عليها ، اى صارت عرفا بينهم واصبحت لها صفة الالزام يجب ان يأخذ بها الافراد الذين يكونون الجماعة ·· فالعرف ضابط اجتماعى يضبط سلوك الافراد الاعضاء فى جماعة اجتماعية .

واصل العرف (Mores) هى الأنماط الاجتماعية للتعايش التى تكونها الجماعة عن طريق التجارب وتتمسك بها كأساليب واجب الأخذ بها ، وهذه الانماط لاتكون ملزمة الا اذا تطورت وأصبحت عرفا .

(ب) العادات الاجتماعية : هى انواع من السلوك اليومى لافراد

الجماعة تتعلق بنظام معيشتهم من مأكل وملبس ومسكن وعمل .. ومعاملات اجتماعية اخرى . واذا كانت العادة والتابو (Taboo) منتشرة بين المجتمعات البدائية على أنها انساق اجتماعية ضابطة لسلوكهم ولحمايتهم فان القوانين والاوامر تقوم مقامها فى المجتمعات المتحضرة .

ومن ميزة العادات أنها تيسر الحياة وتجعل الافراد يؤدون الافعال ويتصرفون فى المواقف فى سهولة وسرعة ، معتمدين فى ذلك على ما اعتادوا فعله فى مثل هذه المواقف .

(جـ) التقاليد : هى عادات مقتبسة من الماضى الى الحاضر ، ثم من الحاضر الى المستقبل فهى تنتقل من جيل الى جيل ومن السلف الى الخلف على مر الزمان .

(د) المثل الاجتماعية : هى الاقوال والمثل الشائعة التى توجد فى الاساطير الشعبية (Folklore) وعلى السنة العامة وتنتقل الى أفراد الجماعة جيلا بعد جيل ، ومن هذه المثل الكثير الذى مازال باقيا فى مجتمعنا المصرى ويؤثر فى سلوك أعضائه وبناته .

ويلاحظ ان الضوابط الاجتماعية هى كلها عناصر ثقافية (غير مادية) ومن ثم فتغيرها أو تطورها أبطأ من عناصر الحضارة (العناصر المادية) والضوابط الاجتماعية بطبيعتها تدلنا على مدى التخلف الثقافى فى مجتمع من المجتمعات .. فقد يصل المجتمع مستوى عاليا جدا من الحضارة ونجد فى الوقت نفسه أن اعضاءه يعيشون فى مناخ ثقافى آخر (أى غير متكيف) يتحكم فى سلوكهم ومن ثم ينشأ الصراع والتنافر فى تصرفاتهم وتنبت عن هذا مشاكل اجتماعية تتطلب تكيفا اجتماعيا .

٧ ــ النظرة الى بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغير الاجتماعى

قبل أن ابدأ الحديث عن هذه النظرة أود أن أقرر بعض الحقائق هى :

١ ــ اننى اتحدث كمصرى انتمى الى مصر واعتز بهذا الانتماء دونما غلو فى وطنيتى أو تعصب لها . كما اتحدث أيضا كباحث علمى اجتماعى فى ميدان مهنة البحث العلمى الاجتماعى منذ فترة طويلة .

٢ ــ واننى أومن ايمانا راسخا بأن المصالح تصنع النوايا ، وان النوايا بدورها تصنع المواقف وأن المواقف تحدد أنماط السلوك أى اننا كبشر نلاحظ ان كل او معظم مايصدر عنا من أنماط السلوك يكون فى ضوء ذلك .

٣ ــ وان الحكم على مدى تقدم المجتمع أى مجتمع يكون فى ضوء مستوى

مكانة المراة (بأدوارها) فيه ومستوى مكانة أطفاله ومستوى حياة أعضائه فضلا عن سيادة تطبيق المنهج العلمى فيه والاساليب التكنولوجية الحديثة التى يستعملها سواء كانت هذه الاساليب أساليب انتاجية او أساليب خدمات (كأساليب الاتصال مثل أجهزة الاعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون) .

٤ — وان أجهزة الاتصال بالمعنى السابق أجهزة خطيرة مافى ذلك من شك والملاحظ أنها لاتعمل وحدها من أجل تكوين المواطنين الصالحين أو المواطنين غير الصالحين ، بل هناك أجهزة أخرى خطيرة أو ربما أخطر منها مثل الاسرة والجيرة والمنظمة التعليمية والمنظمة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ والمنظمة السياسية ان وجدت .

٥ — وان خطورة أجهزة الاعلام والثقافة ان وجدت تنصب عادة على أطفال المجتمع وليس على الكبار (فى ضوء عدد السكان فى المجتمع المصرى التقديرى عن عام ١٩٨٥ نجد أن منهم نحو ١ر١٦ ٪ أعضاء أقل من خمس سنوات ونحو ٦ر٢٥٪من سن خمس سنوات الى سن أقل من خمسة عشر عاما) . وذلك لان اعضاء المجتمع الكبار قد تكونت شخصياتهم . اما الاطفال والشباب الذين فى مرحلة المراهقة الاولى ، فان شخصياتهم مازالت فى ضوء محدداتهم التكوينية والثقافية الاجتماعية والنفسية والعقلية فى دور التكوين.

٦ — ومن ثم فأننا نجد أن عطاء أجهزة الاعلام والثقافة (ومنها التليفزيون) للكبار يقتصر على امدادهم بالمعلومات والآراء . ولكن هذه الأجهزة لا تغرس فى نفوسهم الاتجاهات التى تصدر عنها عادة أنماط السلوك (المتوقعة وغير المتوقعة) . أى ان المعلومات والآراء (التى تكون فى حاجة عادة الى الفهم والادراك) يجب ان تكون من ورائها قيم (التى تغرس عادة بالتربية) حتى تصدر انماط السلوك المشار اليها .

ولا يخفى على القارىء ، فى ضوء هذا التفسير ، الفرق الشاسع بين الرأى وبين الاتجاه . فالرأى ان وجد عند الانسان منا وكان مفهوما ومدركا يتغير عادة من حين لآخر على عكس الاتجاه فان تغييره ليس بالامر السهل . فالمعلوم فى ضوء علم النفس الاجتماعى ان الاتجاه يكون تنظيما نفسيا مستقرا للعمليات الادراكية والمعرفية والوجدانية لدى الفرد . وهو يسهم فى تحديد الشكل النهائى لاستجابته الصادرة نحو الاشياء والاشخاص والمسميات المعنوية ، من حيث ان هذه الاستجابة استجابة بالاقبال أو بالنفور .

٧ — ان العملية الاتصالية فى المجتمع المصرى فى ضوء انخفاض نسبة

التعليم فيه عامل من عوامل كفاءتها وخاصــة ما يتم منها عن طريق أدوات الاتصال الجماهيرى (ومنها جهاز التليفزيون) . والملاحظ ان نسبة الأمية فى ضوء تعداد عام ١٩٧٦ هى نحو ٥٦٫٣٪ من سن ١٠ فأكثر .

والملاحظ أيضا أن تعريف الأمى فى ضوء قانون ٧٦ لسنة ١٩٧٠ هــو :
« كل مواطن يتراوح عمره بين سن ١٨ وسن ٤٥ وغير مقيد فى أيــة مدرسة ولم يصل تعليمه الى نهاية الصف الرابع الابتدائى » .

والملاحظ ان « الأمية الوظيفية » هى الاساس الفعلى للمشــكلة . ولاسيما بعد ان تأكدت جدواها بالنسبة للدول التى تنظر الى هــذه المشــكلة نظرة واقعية جادة خالية من أية مجاملات سياسية . وتعرف « منظمــة اليونسكو » الأمية الوظيفية بأنها :

« عدم الالمام بالقراءة والكتابة على النحو (بالمستوى) الذى يمكــن الفرد من ممارسة الأنشطة التى تتطلب معرفة القراءة والكتابة بما فى ذلــك توسيع معارفه ذاتيا (أى تعليم نفسه) اذا ما اقتضى الأمر ذلك » .

واذا سلمنا بأن الأمية المطلوب القضاء عليها هى الأمية الوظيفية كمــا جاء فى التعريف السابق فان نسبتها تزيد بالقطع على نحو ٥٦٫٣٪ وفــق تعداد عام ١٩٧٦ كما ذكر آنفا ، لتصل الى نحو ٨٥٪ تقريبا (على حساب أن الأمى هو من لم يكمل دراسته بنجاح حتى السنة الرابعة الابتدائية) أى مايعادل ١٧ ــ ١٨ مليون مواطن ، ويقدر الآن هذا العدد المطلق من الاميين وظيفيا بما يقرب من ٢٠ ــ ٢١ مليونا بالنسبة لمن يزيد سنهم على ١٢ ــ ٤٣ سنة (قدرت هذه الارقام على أساس تقرير المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والخاص بالاستيعاب فى المرحلة الالزامية بالتعليم العام ، ١٩٧٩) .

٨ ــ وفى ضوء نتائج دراسة لاحدى قرى الريف المصرى القريبــة من المدينة . اتضح ان تعرض الغالبية من الريفيين الذين تنتشر بينهم الأمية لأجهزة الاتصال الجماهيرى ومنها جهاز التليفزيون منخفض . فقد تبين ان نسبة من يمتلك جهاز التليفزيون من الاميين نحو ٣٫٣٪ ومن لايمتلك نحو ٩٦٫٧٪ ، اما من يمتلك هذا الجهاز من غير الاميين فقد بلغت نسبتهم نحو ٦٦٫٧٪ ومــن لا يمتلكون نحو ٣٣٫٣٪ . وقد يعود هذا الاختلاف الى الاوضاع الاقتصادية التى غالبا ما ترتبط بالحالة التعليمية لعضو المجتمع ، فضلا عن تباين الاهتمامات نحو الاتصال بالعــالم الخارجى وســبل تحقيق ذلك ، والتى توجد مــا بين الاميين وغير الاميين .

ولايعنى عدم امتلاك جهاز التليفزيون انه يحـــرم من لايمتلكونه من مشاهدة برامجه فى المقاهى أو الأندية الاجتماعية والثقافية (منظمـــة شـــغل أوقات الفراغ مثلا) . والملاحظ ان المقاهى على الرغم من وجود جهـــاز التليفزيون ، فاننا نجد عدم الاهتمام بمشاهدة برامجه الا ان يكون ضمنهـــا « مباراة كرة قدم » أو مسلسل « ذو مغزى محبب » لـدى رواد المقهـــى أو بعضـــهم .

وفى ضوء نتائج بحث أجريته على بعض المشاهدين من الشبان لأحد الافلام المصرية المعروضة على شاشة جهاز التليفزيون . وكانوا فريقين : فريق كل اعضائه من الاميين (الذين لايعرفون القراءة والكتابة الابجدية) واعضاء الفريق الثانى من طلبة المدارس الثانوية والفنية . وقـــد لاحظت تضارب اقوال اعضاء الفريقين . فالاميون الشبان كانوا يرون مايتمنون أن يروه على عكس الشبان الآخرين من الطلبة ، فقد استوعب الاخرون مغزى الفيلم واهدافه مع اختلاف فى بعض التفاصيل .

وفى ضوء كل ماسبق تتبين خطورة اجهزة الاتصال الجماهيرى الثقافيــة فى مصر ومنها جهاز التليفزيون . فقد اكدت هذه الأجهزة أن « الفرد » فى عالم اليوم لايمكنه بالخبز وحده أن يعيش انسانا . والملاحظ ان منظمة الامم المتحدة قد اهتمت منذ تأسيسها بالاعلام والاتصال ، فالمادة التاسعة عشرة من الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر فى عام ١٩٤٨ نصت على انه :

« لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير ، ويشـــمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون اى تدخل واستقاء الأنبــاء والأفكار وتلقيهـــا واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

ويلاحظ أنه قد جــاء فى ديباجة الشرف الصحفى الدولى الذى وضعته لجنة حرية الاعلام التابعة للمجلس الاقتصـــادى والاجتماعى فى دورتهـا الرابعة عشرة فى عام ١٩٥٢ ما يلى :

« ان حرية الاعلام والصحافة حق أساسى من حقوق الانسان ومحك لجميع الحريات التى ينوه بها ميثاق الامم المتحدة وينص عليها الاعـــلان العالمى لحقوق الانسان ، فهى عامل جوهرى يتطلبـــه التقدم فى ســـبيل التوفيق وصون الســـلام » .

والملاحظ ان منظمة الأمم المتحدة قد بادرت بالاهتمام بجهاز التليفزيون (كاحد اجهزة الاتصال اى الاعلام والثقافة) الذى بدأ تسويق معداته فى

نهاية الحرب العالمية الثانية ، وان كان أول ارسال تليفزيونى منظم كان قد بدأ فى فرنسا فى عام ١٩٣٣ · وبدأ التليفزيون العربى ببغداد فى عـــام ١٩٥٨ ، وفى بيروت فى عام ١٩٥٩ ، وفى القاهرة فى عام ١٩٦٠ ، وعقد المؤتمر الدولى للتليفزيون فى الاسكندرية فى عام ١٩٦٢ ·

ويرى البعض ان جهاز التليفزيون المصرى بعد اقامته بيننا أكثر من ٢٥ عاما عايش فى خلالها ستة ملايين أسرة · والسجلات الرسمية لا تذكر عدد الأجهزة المنتشرة فى ربوع الجمهورية المصرية العربية من أقصـــاها الى أقصاها وان اعترفت بأهمية جهاز التليفزيون وخطورة تأثيره · وذلك كما تقول السجلات الرسمية أنه :

« قناة الاتصال الوحيدة التى اجتمعت لها كافة الميزات التى انفردت ببعضها قنوات الاتصال (كالسينما والمسرح والاذاعة ·· الخ) ·· واذا كانت المجتمعات الحديثة فى الدول المتقدمة حضاريا ، قد تنبهت الى اهمية « التليفزيون » واهمية ما يتمتع به من خواص متميزة جعلته فى مقدمـــة قنوات الاتصال ، واذا كانت هذه الدول المتقدمة ذات المستوى الحضـــارى المرتفع قد عملت على الاستفادة من امكانات التليفزيون واســـتغلاله فى كافة مجالات الحياة ، بدءا من الاعـــلام والتثقيف والترفيه ، وانتهـــاء باستخدام الدوائر التليفزيونية المغلقة فى مجـــالات التعليم بكافة مراحـــله وفى مجالات التدريب المختلفة ، فان المجتمعات الآخـــذة حديثا بأســـباب الحضــــارة فى الدول النامية أكثر حاجة الى الاســـتفادة من امكانات التليفزيون » ··

والملاحظ ان البرامج التى يقدمها جهاز التليفزيون المصرى فى خـــلال ساعات الارسال برامج شتى منها الدراسى والثقـــافى والترفيهـــى وخدمـــات موجهة وسياسى ودينى وتعليمى واعلانات تجـــارية فضـــــلا عن برامج الطوائف · وقد تضمنت هذه البرامج ما يخص الأطفال والشباب ·

ولا جدال فى أن انتشار أجهزة التليفزيون وبخاصـــة فى الفتـــرة الأخيرة ، بجانب استخدام أجهزة التليفزيون « الملون » قد صرف عــــددا كبيرا من الأطفال (وغيرهم من الشباب والكبار) عن متابعة الاذاعـــة فى الراديو ، خاصة بعد كهربة الريف ، ووصول الارسال الى القرى ·

واذا تحدثنا عن علاقة جهاز التليفزيون المصرى بمـــا يبثه من برامج بتنمية الأطفال ، فان هذا الجهاز له علاقة هامة بتنمية الوعى لدى الكبـــار

الراشدين فيما يتعلق بضرورة تثقيف الأطفال وبوسـائل هـذا التثقيف وصوره وبكيفية المفاضلة بين هذه الوسائل ٠

ان قضايا الطفل المصرى خطيرة وهامة وتحتاج الى الاهتمام الواعى من الدولة ومن جماعات الاسر وغيرها من الجماعات ٠ فالمعروف ان الاسرة « السوية » هى مهد الضمير الانسانى ، أى انه لا يمكن لانسان ما وحـده أن يكون لنفسه ضميرا ، وانه يحتاج بالضرورة الى الجماعة « السوية » لتكونه له ٠ اى ان الادراك الخلقى تنبت جذوره فى حياة الاسرة مع ملاحظة أن أجهزة التنشئة الأخرى اصبحت تشترك فى تكوين هذا الادراك ومن هذه الأجهزة كما سبق أن أوضحنا أجهزة الاعـلام والثقافة ومنها بالضرورة جهـاز التليفزيون ٠

والملاحظ ، وهذا كلام معاد تحدث فيه الكثيرون ، ان مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسـية يئن من أدواء ومشاكل عديدة تقف فى سـبيل تنميته ومنها بالضـرورة مشاكل الشباب وقضاياهم ٠ وأعيد كلام الآخرين مرة أخرى وأقول ان هذه الادواء والمشاكل تجعل من مجتمعنا مجتمعا متخلفـا ٠ ومن ثم فانه من العسير ان يقوم المجتمع بفئاته وقادته بالتنمية المرجوة ٠ واقصد بفئـات المجتمع المصرى المعاصر هنا أهمها ، أى فئة الشباب الذين فى فئة العمـر من سن ١٥ الى سن اقل من ٣٠ سنة الذين بلغت نسبتهم فى ضوء عـدد السكان التقديرى فى عام ١٩٨٥ ، نحو ٢٧٪ من سـكان الجمهورية ٠ فالشباب هم حملة مشـاعل التنمية ٠ أى أن التنمية بهم ولهم ولمن يأتى بعدهم من أجيـال ٠

والملاحظ اننى لا أوافق أبدا على اتهام أجهزة الأعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون ، وحدها ، بأنها سبب ضياع أعضـاء المجتمع المصـرى المعاصر وبخاصة الشباب منهم ٠ صحيح أن هذه الأجهزة كما سـبق أن ذكرت تؤثر على أطفال المجتمع وشبابه فى سن المراهقة الأولى ، بمعنى أنها قد تغرس فيهم بعض الاتجاهات التى تنفر منها أهداف قيم المجتمع المصرى الايجابية ٠ ولكنها أى هذه الأجهزة لا تمد باقى اعضاء المجتمع الآخرين الا بمجـرد معلومـات وآراء ، ونجد كمـا سـبق ان لاحظنـا ان الأميين فى مجتمعنا لا يفيدون كثيرا أو قليلا من برامج أجهزة الأعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون ، وان هؤلاء الأميين وبخاصـة ممن يعانون من الأمية

الابجدية قد يصيبهم الضرر المعنوى مما يسمعونه أو يرونه ويسمعونه ، فهم **لا** يرون ولا يسمعون فى ضوء ظروفهم **الا ما يتمنون أن يروه أو يسمعوه !**

واننى أرى بحق ان المسئولين عن جهاز التليفزيون المصرى بل وعن **اجهزة الاعلام والثقافة فى الجمهورية ، رجالا كانوا** أو سيدات أو آنسات ، **يعتبرون من القادة الثقافيين فى المجتمع المصرى المعاصر** . والملاحظ ان عملية بناء مجتمعنا الجديد هى عملية جذرية وشاملة ، **أى أن زواياها** عديدة . تتضمن البناء الاجتماعى والبناء الاقتصادى والبناء السياسى والبناء الايديولوجى أو الثقافى غير المادى جميعا . وتعنى هذه **العملية** مواجهة الكثير من التحديات . وليست هذه التحديات هى ، فحسب ، تحديات عمليات الانتاج ورفع مستوى المعيشة وارساء التنظيم السياسى الوطنى ، وغرس مبادىء الديمقراطية بأنماطها وأنواعها **(الثقافية والعلمية فضلا عن السياسية مثلا)** ، ومواجهة أعداء الوطن فى الخارج وفى الداخل، وتطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص ، بل هى أيضا **خلق المناخ الثقافى الاجتماعى** ذو الأهداف الايجابية الذى فى ظله يمكن أن تواجه كل هذه التحديات . اننا فى مسيس الحاجة الى تطهير المتناقضات الثقافية الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، والى التخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها . ولن يفعل ذلك سوى القادة الثقافيين المصريين (ومنهم بالضرورة **القادة الاعلاميون جميعا** وبخاصة قادة جهاز التليفزيون المصرى) . واننى أرى أن تطهير المتناقضات الثقافية الاجتماعية والتخفيف من حدة ألوان الصراع الناشىء عنها ييسران بالضرورة وضوح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر (أطفالا كانوا أو شبابا أو كبارا) ، وان وضوح الرؤية يعنى تيسير بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضل . **وعلى هؤلاء القادة ان يجندوا جماهير الشعب** فى سبيل مواجهة المشاكل القومية ومنها مكافحة الامية ومكافحة تعاطى المخدرات بأنواعها وتهريبها والاتجار فيها ومنها مواجهة مشكلة السكان وغيرها من المشاكل القومية . ان تجنيد جماهير الشعب وبخاصة من كانوا من فئة الشباب كما حددتها النظرة الحالية **يعنى قيادتهم** . وقيادة هؤلاء تعنى الاتجاه بطاقاتهم نحو العمل الصالح . والمعروف **ان العمل الصالح هو شرط الوجود الانسانى ،** والتحديات التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر يمكن **بالقيادة المخلصة** والقدوة الصالحة **واختيار الهدف أو الأهداف وتيسير المشاركة** فى **هذا**

الاختيار والاسهام في اصدار القرار ـ يمكن ان تواجه وأن توجه في سبيل تحقيق الآمال المرجوة ·

فالصحـــــراء ، مثـــلا ، لن تخضر دونما عمل بناء قادر واع يتفجـــر بالضرورة في ضوء وضوح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا · والصحراء مهما رددنا لن تخضر وحدها أو لمجرد اننا نفوت عليها !

والمعلوم انه في ضوء العلم لا شيء مطلق · وجهاز التليفزيون يمكن أن يفيد ويمكن أن يضر * ولعله أن يفيد من يمارسون بث برامجه كمصـدر للرزق والشهرة ، ولعله أن يضر بأن يدمر طاقات الشباب المصرى أو يزيف أهداف الحياة المشرقة التي يرنون اليها . ولعل برنامجا يبث « مباراة لكـــرة القدم مثلا » أن ييسر على رجال شرطة المرور أعباءهم ، ولعل نفس البرنامج يبث أيضـــا ما تنفر منه أهداف قيم مجتمعنا الايجابية ومثله العليا · ومن الظلم الفادح أن نلقى العبء على أجهزة الاتصال الجماهيرى ومنها اجهزة الأعلام والثقافة التي تتضمن جهاز التليفزيون · فنحن جميعا نتاج مجتمعنا اقصد نتاج أجهزة التنشئة الاجتماعية التي توجد عادة فيه · وكل مجتمع يستحق المواطنين الصالحين الذين فيه كما يستحق المواطنين غير الصالحين الذين فيه . والانسان المصرى يصنع بالضرورة مجتمعه · واذا صلح المجتمع صلح أعضاؤه وكذلك ، في الوقت نفسه ، اذا صلح أعضاء المجتمع صـلح المجتمع ·

ولعل الحل الأمثل لتكوين المواطن الصـــالح المصرى أن نعمل على تحديد سماته التي يرى المجتمع المصرى في الوقت الراهن ضرورة التحلى بها في ضوء محددات شخصيته سواء كانت هذه المحددات تكوينية أو ثقافية اجتماعية أو نفسية عقلية · على ان تعمل أجهزة التنشئة الاجتماعية المشار اليها متضامنة في ظل سياسة قومية تتوافر لهـــا الامكانات المادية والبشرية من أجل غرس السمات ، التي تمت الموافقة عليها ، في نفوس أعضاء المجتمع وبخاصة الأطفال منهم والشباب ·

(*) يحدث ذلك لكل شيء من الاشياء ومن كل شيء من الاشياء ماديا كان مثل هذا الجهاز وغيره كجهاز الفيديو أو جهـــاز الكمبيوتر او معنويا فالحق عند غير الاسوياء من الناس باطل عند الاسوياء منهم ، والباطل عند الاخيرين حق عند الاولين والامثلة على ذلك عديدة ·

وبالاضـــافة الى ما سبق فاننا نلاحظ ان بعض الثقافات يجتذب كل ما هو جديد أو مســـتحدث • أى أن فكرة الجدة ، فى حد ذاتها ، قد تكون ســببا لاختيار ما هو جديد ومحاولة اســتخدامه • ان الامريكيين مثلا ، يفعلون ذلك • ويلاحظ أن الاعلانات عن البضائع أو الخدمات فى المجتمع الأمريكى تســـتفيد من هذا الاتجاه عند الامريكيين • فالجـديد والأحسن والذى طرات عليه التحسينات ، كل ذلك يجتذب اعضاء هذا المجتمع •

ويبدو أن الجديد أو المستحدث فى المجتمعات الصناعية (التقدمية) يكون ، عادة ، موضـــوع اجتذاب أنظار هذه المجتمعات • ولعل النظـام الصناعى ذاته أن يكون صانع هذه القيم والاتجاهات • وعلى العكس من ذلك نجد أن المجتمعات غير الصــناعية النامية ، فى أنحاء الدنيا ، لا يأبه اعضاؤها ، بنفس الدرجة ، للجديد أو المستحدث • نجد الشخص فى هذه المجتمعات وكأنه قد يكون ، شرطيا ، لينظر الى الأشياء الجديدة نظرة ملؤها الشك • وحتى اذا لم يكن متأكدا من هذه النظرة ، فهو على الأقل يبدو غير مكترث •

والقدرية فى مجتمع ما تنحو نحو التمسك بالقـــوى التقليدية فى هـــذا المجتمع • وتشـــكل ، فى الوقت نفسه ، قوى مانعــة للتغير توازى القوى الأخيرة • ونرى فى المجتمعات الصناعية (التقدمية) أن الناس قد أثبتوا لأنفسهم كما أثبتوا لغيرهم أنهم قادرون على التسلط على الطبيعة فضلا عن الظروف الاجتماعية التى تواجههم ، وأى موقف اجتماعى غير مرغوب فيه لا يعنى عندهم الا مجرد حاجز يمكن التغلب عليه • أو يكون مجرد تحدى لما لديهم من أصالة • ويبدو أن أعضاء المجتمعات الصناعية يعتقدون أن أى أمر من الأمور يمكن تحقيقه • أو على الأقل يمكن ، فى ضوء خطة سليمة ، أن يواجه . وعلى العكس من ذلك تجد المجتمعات غير الصناعية (النامية) حيث درجة التســـلط على الطبيعة أو على الظروف الاجتماعية تكون عادة درجة منخفضة • ان الجفاف الذى يهاجم فى وحشية بعض هذه المجتمعات او الفيضـــــانات التى تغرق بيئتها الجغرافية أو اصـــــابة محصـــول مـــن محصـــولاتها بحشرة معينة • كل ذلك • يرجع ، فى نظر اعضــــاء هذه المجتمعات ، الى تأثير غضب الآلهة أو الأرواح الشريرة التى لا يســـتطيع الانسان أن يتحكم فيها وأن كان من الواجب عليه أن يسترضيها . والملاحظ أن مستوى المعيشة فى المجتمعات غير الصناعية (النامية) يجعل أى عضو

من أعضائها يعيش ، عادة على الكفاف · وهذه المجتمعات لا تيسر وجود الخدمات الاجتماعية والطبية اللازمة لأعضائها . والناس فيها يموتون في سن مبكرة . وتحت كل هذه الظروف ، يكون من المتوقع أن يتسرب اليأس الى نفوس أعضاء هذه المجتمعات . اليأس من تغير أحوالهم الى الأفضل لأنه مهما حدث أو يحدث فهو من الآلهة أو الأرواح الشريرة ، وارادة الآلهة أو الأرواح الشريرة فوق كل ارادة · ارادة الطبيعة ، وارادة الظروف الاجتماعية ، وارادة الناس جميعا ·

ونلاحظ أن كل مجتمع يعجب بثقافته (بمعناها العلمي) · المجتمعات الغربية تفعل ذلك · والمجتمعات الشرقية ترى ذلك · وكل مجتمع من المجتمعات ، بأسلوب أو بآخر ، يرى أعضاؤه ، عادة ، أن ثقافته هي أحسن الثقافات · ان أعضاء المجتمعات البدائية قد يعترفون بأن المدية المصنوعة من الصلب خير من المصنوعة من الحجر ، وأن الوعاء المصنوع من الالمنيوم افضل من المصنوع من الفخار · ولكن هذه الأشياء بعض العناصر الثقافية وليست كلها · ان جوهر العناصر الثقافية الحقيقية ، كما أراه ويشاركني آخرون ، يكون فى محيط تفكير الناس وما يعملون · وفى اتجاهاتهم · وفى الأشكال الاجتماعية · وفى العقائد الدينية · ولعل قياس مدى امتياز هذه العناصر الثقافية أو حتى البرهنة على صحتها · مسألتان غير يسيرتين · وان كان من الممكن ، فى ضوء العلم ، أن تتحققا ·

وكما يعجب الناس بأساليب الحياة التى يعيشونها فى مجتمعاتهم ، نجدهم كذلك يتفاخرون بها · كما نجد لونا من الكرامة الشخصية قد ينبت بتأثير بعض هذه الأساليب · ان هذا اللون من الكرامة يكون كاذبا اذا وجد عضو المجتمع من العيب أن يتعلم لأنه رجل بالغ ، بحجة أن التعلم لا يكون الا للأطفال · وعلى الرغم من أنه كاذب ، فهو موجود · فى المجتمعات التى لا تؤكد « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ، ولأنه موجود فهو مانع من التغيير الى الأفضل · ومن قبيل هذا اللون الكاذب من الكرامة ، ان نجد الفلاحين يرفضون شراء البذور الصالحة بأسعار منخفضة · لأن هذا الشراء يجعلهم فى نظر انفسهم وربما فى نظر الآخرين اقل كرامة · لأن الفلاح صاحب الكرامة هو الذى ينتقى البذور من المحصول الذى زرعه هو نفسه · ومن الملاحظ أن النساء كبيرات السن ، فى الأسر الممتدة ، فى القرية لهن سطوة على الأصغر منهن من النساء · وقد يقفن حائلات امام الأخيرات،

اذا كن حوامل أو فى حاجة الى العلاج ، للذهاب الى المستشفى أو الى احد الأطباء المتخصصين .

وحواجز العجب والتفاخر وخشية ضياع ماء الوجه ضـد التغيير الى الأفضل لا توجد ، فحسب ، فى المجتمعات البدائية او الريفية . وانما نجدها احيانا ، فى بعض المجتمعات الصناعية . فى المجتمع الامريكى مثلا . حيث نرى ان بعض طلبة الدراسات العليا فى جامعة هارفارد يستنكفون من حضـور فصول اللغات الأجنبية ، ويفضلون تعلم هذه اللغات بأنفسهم بالمراسلة .

وتبدو هذه الحواجز ، واضـحة ، عندما نرى بعض الناس يجدون من العيب أن يعملوا بأيديهم . لأن العمل اليدوى ، فى ضوء نظرتهم ، عمل مشين .

والملاحظ ان أساليب اشباع الحاجات فى الحياة عديدة ومتباينة . وليس بالضرورة أن تؤخذ فى الاعتبار الناحية الاقتصادية ، فحسب ، لتفضيل أسلوب على آخر . ليس من الضرورى ، مثلا ، أن تطلب من الفلاحين زراعة نوع معين من المحاصيل لأنه أرخص أو لأنه يعطى كمية أكبر . ثم نتوقع أن يوافقوا على زراعته فى التو واللحظة . انهم قد يرفضون ، وذلك لان قيمة الكيف فى تقديرهم اعلى من قيمة الكم . ونجد نفس الملاحظـة فى محيط عـادات الأكل . حيث قيمة التذوق تلعب دورا هاما فى قبول كل ما هو جديد .

ويلاحظ انه من الصعب أن ترتبط كل عناصر الثقافة ونظمها ، منطقيـا ، بعضها ببعض . حيث نجد بعض هذه العناصر وهذه القيم قد يرتبط منطقيا فى سهولة ويسر . وان البعض الآخر ليس كذلك . لقد رفض هنود « النافاهو » (Navaho) الديانة المسيحية وقاوموها لأن العنـاصر الثقـافية والنظم الثقافية المتعلقة بعقائدهم تتناقض منطقيا مع العنـاصر الثقافية والنظم الثقافية المسيحية . أنهم يخشون الموت خشية رهيبة كما يخشـون الموتى وكل ما يتعلق بهم أو بعودتهم أو قيامهم . والديانة المسيحية تستند أساسـا على الموت وعلى قيامة الأموات .

ونجد فى البلاد التى تؤمن بالبوذية المشاكل العديدة التى تواجه مكافحة الحشرات الضارة بالزراعة . لأن البوذية ، كديانة ، تحرم قتل كل ما هو حى مهما كان شكل الحياة فيه .

والملاحظ أن أى تغيير ثقافى لا يمكن أن يحدث فى عزلة لأن أى تغيير يولد ، عادة ، تغيرات ثانوية تحد شبالتبعية . وقد تتسع التغييرات الثانوية حتى تصل الى المناطق الثقافية البعيدة فى أعماق تصرفات الناس . وكذلك نجد

أن مدى التغييرات التى يمكن أن تستحدث يتوقف على بعض التغييرات الاخرى التى تحدث أو التى يكون من المقصـــود حدوثها ، ومدى تأثيرها على قبـــول التغييرات المستحدثة أن التغييرات المستحدثة لها ثمن اجتماعى معين . ان مزايا المستحـــدث يجب ان تكون أعظم من النتـــــائج المتوقعـــة . حتى نتوقـــــع قبول هذا المستحدث . فى قرى الهند ، مثلا ، نجد الناس يطبخون طعامهم على المواقد المفتوحة فى المطبخ . ولا توجد مداخن . والنوافذ قليلة . ومن ثم يملأ دخان المواقد حجرات المنزل ، ويؤثر الدخان ، بدوره ، على أسقف الحجرات . ان طبخ الطعام فى هذه الأحوال أمر غير مريح . بل هو يسبب بعض الأمراض . منها أمراض العيون . وعندما استحدث نظام آخر للطبخ حيث المواقد المغلقة المتصلة بمداخن . وحيث بيعت هذه المواقد بأثمان متواضعة . لم يقبل فلاحو الهند هذا النظام وكان نصيبه الفشل . وذلك لأن أسقف الحجرات مملوءة بالنمل الأبيض الذى يقتله الدخان ، أو يضعف قواه . وان المواقد الصحية الرخيصة تعنى عدم قتل هذا النمل الأبيض وتعنى تغيير الأسقف من حين لآخر . أى تعنى مصاريف ابهظ وتكاليف أكثر . الأمر الذى لا يستطيع الفلاحون ، فى ضـــــوء ظروفهم الاقتصادية ، أن يتكبدوه . وفى « بوليفيا » لوحظ أنه عندما ادخل نوع معين من الأذرة « الأذرة الكوبية الصفراء » أن هذا النوع له مزايا عديدة . منها أنه ينمو فى المناطق المعتدلة ، وأنه ينضج بسرعة ، وأنه أكبر حجما من الأنواع المحلية الأخرى ، وأن مناعته ضد الحشرات أقوى ، وانه يغل محصولا اكبر . . الخ ، ولقد توقع الخبراء أن يسهم نوع الأذرة الجـــديد فى تحســـين التغذية للناس والحيوانات . وكان هذا التحسين الهدف الأول من ادخال هذا النوع الجديد . وقد وجد ان زراعة نوع الأذرة الجديد قد لاقت اقبالا شديدا عند المزارعين ، كما لاقت نجاحا . ولكن لعـــوامل أخرى غير التى توقعهـــا الخبراء . ان صلابة هذا النوع . وان يسرت تخزينه . كانت عاملا معـــوقا لطحنه ، ورغب المزارعون عن طحنه لأنه يستغرق وقتا أطول فضلا عن بعض الصعوبات الأخرى . منها أنهم غير راغبين فى ارسال المحصول الى طواحين المدينة . ومع ذلك فقد تحول الزارعون عن طحن المحصول الى استخدامه فى صناعة المشروبات الروحية التى يستطيعون بيعها بأثمان عالية . ومن ثم نجد ان نوع الأذرة الجديد قد يسر صناعة المشروبات الروحية بدلا من تحســـين تغذية الناس والحيوانات فى هذه المنطقة .

والملاحظ أننا نعلم نماذج الكلام بسهولة عندما نكون اطفالا ، ولكننـــا ، كبالغين ، نجد الصعوبة فى تعلم اللغات الأجنبية . وبخاصة نطق هذه اللغات .

والثقافة فى مجتمع ما تحدد ، عادة ، **اوضاع النوم** عند اعضاء هذا المجتمع . كما تحدد أوضاع **وقوفهم وجلوسهم واسترخائهم** . والثقافة فى مجتمع ما ، **تحدد الاشارات والرموز** التى يستخدمها اعضاء هذا المجتمع . وكيف يمسكون الأدوات وكيف يستعملونها . وكيف **يدربون اجسامهم** ازاء العديد من المواقف . نجد الناس فى افريقيا ، مثلا ، اذا كانوا واقفين ، **يقفون على ساقين مستقيمين** ، واذا انحنوا ينحنون من الوسط لكى يتيسر لهم العمل بالأدوات قصيرة اليد التى يستعملونها . ونجد الناس فى بعض المجتمعات **وهم يطبخون الطعام** ، يفعلون ذلك وهم يجلسون . ومن ثم تكون المواقد منخفضة ، وقد يصيب الطعام ، من جراء ذلك ، بعض الأقذار . وعندما اقترح فى جزائر « كوك » أن يطبخ الطعام على مواقد مرتفعة **رفض الناس ذلك** . لأن هذا الوضع غير مريح لأنه يضطرهم الى الوقوف بدلا من الجلوس . ونجد نفس الملاحظة عند **استعمال المرحاض العالى بدلا من المرحاض العادى** . نجد أن الأشخاص الذين تعودوا فى حداثتهم على استخدام المرحاض العادى لا يستريحون اذا اضطروا الى استخدام المرحاض العالى . ومن حق القارىء ان يرجع الى كتاب « جورج م. فوستر » .

Tridition cultures and the impact of the tchnological change, (N.Y. Harper and Row) 1965, pp. 66-89.

ولعل بعض العوامل الثقافية المعوقة للتغيير الى الأفضل ان يكون واضحا فى مجتمعنا المعاصر . ان الكثير مما ذكرناه عن هذا الموضوع ، وغيره ، يعيش معنا لا يزال . انه يعيش معنا كرواسب بالية ، **ينتظر الدراسة الموضوعية** حتى يفهم ، ويواجه أو يوجه ، حتى يتغير الى الأفضل ويكفى أن نذكر بعض هذه العوامل المعوقة للتغيير . منها الاتجاه غير العلمى السائد وبخاصة فى الريف المصرى . فتفكير الفلاح تفكير حسى . اى انه يعتقد فيما **يرى ويحس** . ومنها نظرة الفلاح نحو عملية استبدال مورد المياه وذلك بحفر آبار صحية كمورد جديد يستخدمها بدلا من مياه الترعة الضارة . ومنها حذر الفلاح وتردده . وبخاصة فى استخدام الآلات التى بواسطتها يمكن معرفة مقدار ما ينتج . انه يفضل استخدام النورج ، مثلا ، على استخدام آلات الدرس الحديثة . لان المحصول سر بينه وبين ربه ولايريد أن يعرفه أحد . ومنها احتماء الفلاح فى ضباب الغيبيات . فوباء دود القطن غضب من الله جل وعلا . ومنها نظرة الفلاح الى الحيوانات ومنزلتها العالية عنده ومبيتها فى داره مع زوجته وأولاده . ونجد هذه العوامل الثقافية المعوقة للتغيير الى الأفضل فى امور اخرى . منها النظرة العامة **نحو الأطفال ونحو الشباب** .

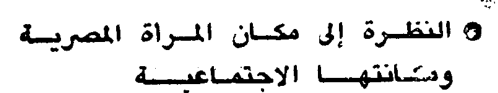
ومنها مفهوم الوقت .. ومفهوم الحكومة .. ومفهوم المراة عند الرجـــل .. ومفهوم الرجل عند المراة .. الخ (انظر سيد عويس : الخدمة الاجتماعيـــة ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعـــارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٢٢٠ ــ ٢٢٤) .

والملاحظ ان الأغلبية الساحقة من المصريين المعـــاصرين لا يأكلون لحم الخنزير فهو حرام عند المسلمين منهم ، وقد يذكر المصريون المعاصرون ما كاد أن يحتيق ببيع شراب ((البيبسى كولا)) عندما روج بعضهم ، نكاية فى المسئولين عن انتاج هذا الشراب ، فكرة أن من عناصر هذا المشروب يوجد دهن الخنزير . ولعل اقامة الزوايا والمساجد على الترع فى بلادنا ومايستلزم الصلاة فيها من عمليات الوضـــــوء وما قبـــل الوضــــــوء .. ان تكــون عامـــلا من عوامل انتشـــــار البلهارســـــيا والانكلســــتوما . ولعل محـــاولة التغيير ، فى هذا المجـــال ، ان تكون أمرا شــــــاقا يحتـاج الى توعيـــة خاصة خالصة ومخلصة ، كما يحتاج الى امكانات مادية معينـــة . واستعمال « ورق التواليت » فى مجتمعنا ، فى محيط بعض جماعاته ، أمر مشـــكوك فيه لعوامل دينية . على الرغم من القدرة على شرائه . وبالمثل قد نجد امثلة اخرى عديدة حيث تلعب قيمة التذوق ، فى مجالها ، دورا حاسما ، ومن هذه الأمثلة : عدم الاقبال على شراء اللحوم المستوردة ، أو على شراء بعض المأكولات المعلبة . ولعل الموقف السلبى للعديد من أوليـــاء الأمور فى الأسر المصرية المعاصرة من عملية تنظيم الأسرة ، أن يرجـــع الى بعض العناصر الثقافيـــة السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر . بعضها يرجع الى تفسير خاطىء لوجهة نظر الدين . وبعضها يتصل بقيمة العصبية السائدة اتصالا وثيقا ، وبعضها يتصل بعنصر أو اكثـــر من عناصر مقومات المكانة الاجتماعية المكتســـــبة فى مجتمعنا . كما أن بعضها ، أيضا ، يرجع الى عوامل اقتصادية بحتة .

وفى ضوء ماسبق .. نجد بعض العوامل الثقافية التى قد تقف فى سبيل التغيير الى الأفضل . وهى عوامل ، اذا حاولنا هذ االتغيير ، لابد أن تؤخذ فى الاعتبار . حتى نضمن التغيير المنشود . أى أن تعويقها للتغيير لا يمكن أن يكون مطلقا فالأشياء المطلقة ، والأمور المطلقة ، فى ضـــوء العلم ، لا يمكن أن يكون لهـــا وجـــود .

ثالثا

نظرات إلى حياة المرأة المصرية



- النظرة إلى مكان المرأة المصرية ومكانتها الاجتماعية
- النظرة إلى عوامل الاشباع الجنسى
- النظرة إلى تكوين الأسرة المصرية بانواعها ووظائفها الثقافية والاجتماعية

٨ ــ النظرة الى مكان المرأة المصرية ومكانتها الاجتماعية

ان المرأة فى بلادنا كانت ولا تزال العمود الفقرى للأسرة ٠ وكيان الأسرة الصالح يترقف ، الى حد كبير ، على صلاحية المرأة كزوجة وكأم ٠ ومع ذلك فقد لا يرى البعض منا هذا الرأى ٠ يرى هؤلاء فى المرأة عواملها التكوينية فقط ٠٠ أى أنهم يرون تباين هذه العوامل عنها فى الرجل ٠٠ ويرون ، لذلك ، أن الرجل هو الأقوى والأعظم وأن المرأة هى الأضعف والأحقر ٠

وما العوامل التكوينية ، فى رأيى . سوى جزء من أجزاء شخصية المرأة الدينامية . . فهناك العوامل الثقافية الاجتماعية والعوامل النفسية والعقلية التى تكمل الصورة الحقيقية لهذه الشخصية ٠

وكما يرى هؤلاء عوامل المرأة التكوينية فحسب ، يرون كذلك دورا اجتماعيا واحدا من الأدوار الاجتماعية التى تستطيع المرأة أن تقوم بها فى المجتمع ٠٠ أى مجتمع ، وأقصد بذلك دورها البيولوجى الاجتماعى فحسب ٠ ولا يرى هؤلاء الأدوا رالاجتماعية الأخرى التى قد تؤديها المرأة فى محيط الأسرة كأم وكزوجة وكأخت وكابنة ، ولا يرون دورها كمديرة لشئون البيت ودورها كصديقة لأبنائها وبناتها ودورها كزميلة لزوجها ٠ وينسون فى غمار تعصبهم الأجوف أدوارها الاجتماعية الهامة ، فى خارج محيط الأسرة ، وهى الأدوار العديدة التى تستطيع أن تشترك فى أدائها جنبا الى جنب ، مع الرجل ، فى كل المجالات ٠٠ فى سبيل بناء المجتمع ٠

ان المرأة لا يمكن ان تكون امرأة فحسب ٠ اقصد لا يمكن ان يكون مفهوم المرأة بمعناه الضيق فحسب ، أى بمعناه البيولوجى الاجتماعى

فحسب · ولكن قد تكون المرأة امرأة ذات شخصية اجتماعية ، اقصد قد تكون لها أدوار اجتماعية عديدة دينامية متداخلة تؤديها فى المجتمع الذى تعيش فيه . والرجل كذلك قد يكون له أدوار اجتماعية عديدة متنوعة . ولا شك أن هناك أدوارا اجتماعية لا يقدر على أدائها الرجال · فعلى الرغم من أن الرجل قد يؤدى الوظيفة الاجتماعية للأم فى تنشئة ابنه . فهو لن يستطيع أن يلد ولدا ·

والملاحظ ان الشخصية الاجتماعية للمرأة تزداد نموا كلما نمت جسميا ونضجت عقليا وعاطفيا وكلما نمت خبراتها الاجتماعية الثقافية ، أى كلما زادت علاقاتها واتسعت مجالاتها ، أى كلما تعددت أدوارها الاجتماعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه ·

والملاحظ ، أيضا ، انه كلما ازداد تعدد الأدوار الاجتماعية التى تؤديها المرأة ، زادت مكانتها الاجتماعية ارتفاعا · وان عكس ذلك صحيح ، أى أن هذه المكانة الاجتماعية تنخفض ويقل خطرها ، وتضعف قيمتها الاجتماعية كلما قلت أدوار المرأة الاجتماعية التى تؤديها للمجتمع الذى تعيش فيه .

وقد تذبذبت مكانة المرأة الاجتماعية ، ارتفاعا وانخفاضا ، على مر الأيام · حدث ذلك فى مجتمعنا · كما حدث ذلك فى المجتمعات الأخرى · ونرى ذلك واضحا عندما كان الانتساب للأم هو النظام السائد فى ظل النظام الأموى ، حيث كانت أدوار المرأة الثقافية الاجتماعية عديدة ، وكان التقدير الذى يضمره الابن لأمه ، فى مجتمعنا القديم ، مثلا ، من عظم الشأن بحيث نجد كثيرا فى مقابر الدولة القديمة صورة أم المتوفى ، فى العادة ، الى جانب زوجته ، بينما تهمل صورة الوالد فى أغلب الأحيان ·

ولايغرب عن بال الكثير منا الظاهرة المزرية التى كانت متفشية فى مجتمعنا الى عهد غير بعيد القصد ظاهرة « الحريم » · وهى ظاهرة كانت ترمز الى المدى الذى وصلت اليه نوعية انحطاط مكانة المرأة فى ذلك العهد · وهى نوعية تأباها النفس الانسانية ، وتبين فى وضوح استغلال الانسان لأخيه الانسان ، أو استغلال الرجل للمرأة ، أى استغلال نصف المجتمع لنصفه الآخر ·

وقد وجدت ظاهرة « الحريم » فى ضوء ظروف مجتمعنا الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الرغم من تعاليم الاسلام ،

دين المجتمع السائد فى ذلك الحين . والدين الاسلامى ، كما هو معروف ، هو دين الثورة على وأد البنات . ومن تعاليمه مشروعية الزواج . فالزواج فرض عين على كل مسلم قادر . ومن تعاليمه ، ايضا ، أن اعتبر النساء شقائق الرجال ، وأن جعل للزوجة على زوجها حقوقا . فمن حق المرأة ان تختار زوجها ، وانها بزواجها لا تفقد اسمها ، ولا شخصيتها الذاتية ، ولا اهليتها فى التعاقد ، ولا حقها فى الملكية ، ولا يضيع من استقلالها المالى شيء . ومن حقوق المرأة على زوجها العشرة بالمعروف والعدل وحقوقها الجنسية والانفاق . واخيرا وليس آخرا من حق الزوجة على زوجها أن يقدم لها مهرا .

ومن تعاليم الدين الاسلامى ، كذلك ، أن جعل للزوج حقوقا على زوجته ، ومن حقوق الزوج على زوجته الطاعه والقوامة على الاسرة . وتكون هذه القوامة ، بالضرورة ، محدودة . ومن حقوق الزوج على زوجته تدبير البيت وصيانته ، والطلاق عند الضرورة ، وتعدد الزوجات بشروط ، واخيرا وليس آخرا من حق الزوج على الزوجة التهذيب عند العصيان !

وعلى الرغم من الاختلاف الكبير على تفسير هذه التعاليم الاسلامية ، فهى تعاليم تسندها قيم اجتماعية تأبى ، بالضرورة ، وجود ظاهرة مثل ظاهرة « الحريم » . ولكن هذه القيم الاجتماعية نظرية، والتعاليم التى تسندها القيم الاجتماعية النظرية شيء ، وممارسة هذه التعاليم ، فى ضوء الظروف والثقافة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، شيء آخر . ومع ذلك فان مكانة المرأة فى مجتمعنا قد تطورت منذ ذلك الزمان الأغبر . أصبحت مكانة المرأة الاجتماعية قبل عهد رفاعة الطهطاوى ، وقاسم أمين غيرها بعد ذلك . واصبحت مكانتها الاجتماعية قبل ثورة عام ١٩١٩ غيرها بعد ذلك . وقبل ثورة عام ١٩٥٢ نجد أن مكانة المرأة الاجتماعية غيرها بعد ذلك . ذلك لان ظروف مجتمعنا قد تطورت فى هذه المراحل تطورا زاد من مكانة المرأة الاجتماعية ارتفاعا . فمن مجتمع اقطاعى فى مطلع القرن العشرين تحول مجتمعنا الى مجتمع اقطاعى شبه راسمالى بعد ثورة عام ١٩١٩ . ومن مجتمع اقطاعى شبه راسمالى قبل ثورة ١٩٥٢ ، يتحول مجتمعنا ، فى الوقت الحاضر ، الى مجتمع يحض على رفع هامة المرأة .

ومع ذلك فالملاحظ ان علاقات الانتاج القديمة ، فى مجتمعنا الحالى ، لم تصف تصفية نهائية حتى الآن . فالرواسب البالية لا تزال تخيم على مناخ

مجتمعنا الثقافى · ومنها الرواسب التى تتعلق بمعاملة المرأة المصرية · فهى في عقول الكثيرين تنسج خيوطها كالعنكبوت . ومفهوم المرأة عند العديدين من الرجال ، فى مجتمعنا ، **مفهوم منحرف** . ومفهوم الرجل عند العديدات من النساء ، **مفهوم منحرف كذلك** · وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو واضحة فى الكثير من الامور · تبدو عند اختيار المرأة للرجل لتتزوجه وعند اختيار الرجل للمرأة ليتزوجها . وتبدو عند المغالاة فى طلب المهور . وتبدو عند تصدع الاسرة المصرية بالطلاق دونما مبرر وتبدو فى تعدد الزوجات دونما شرط واضح ، وتبدو فى حجم جناح الاحداث واتجاهاته ،كما تبدو ، أحيانا ، فيما يقوله بعض الرجال فى مجتمعنا ، فى ضوء بعض عناصر تراثنا الثقافى المصرى ، عند الحديث عن النساء · نجد ذلك واضحا فى قولهم : « لا أمان للنساء » ، وقولهم : « لعن الله النساء ولو نزلن من السماء » !

وصور الانحراف فى كلا المفهومين تبدو جليةواضحة فى الاتجار بالمرأة· عن طريق تكوينها البيولولوجى ، وقد نجد ذلك فى **الاعلانات والدعاية للافلام**، وفى **الاعلان** عن الروائح العطرية وعن « أحمر شفاه » ، وحتى فى الاعلان عن شراب « الكوكا كولا » . ونجد هذه الاعلانات فى الجريدة اليومية ، وفى الصفحة الاولى للمجلة الاسبوعية ، وعلى الشاشة الكبيرة ، وعلى الشاشة الصغيرة على السواء .

ويتفنن أصحاب هذه الاعلانات ما شاءت لهم عقولهم الملوءة بخيوط الرواسب البالية التى تتعلق بمعاملة المرأة أن تفعل · فنجدهم يتملقون شهوات الرجل فيرسموا جسد المرأة ، وهو عنصر واحد من عناصر مكونات شخصيتها الاجتماعية ، **عاريا مرة أو شبه عار مرة أخرى** ، أو يرسموا جزءا من اجزائه ، فى بعض الاحيان . وهم اذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجسد المرأة دونما حياء · أونجدهم يستخدمون الرموز فى بعض الاحيان الاخرى ، **ولهم من التفاحة المشهورة ، تفاحة حواء** ، مجال وأى مجال · وهم اذ يفعلون ذلك يؤكدون ، بوعى أو بغير وعى ، رمز الخطيئة ، خطيئة المرأة ، فى كل لحظة . وكأنها خطيئة لم تغفرها لها رحمة الله ورضوانه . بل هى خطيئة أبدية يذكرها لها الرجل ، وهو شريكها ، فى كل حين ، ويحاول ان ينال منها عن طريقها على الدوام .

وكما تنال الاعلانات ، بأنماطها وصورها ، من المرأة ، يفعل ذلك ، تماما ، ما نجده فى **مضمون بعض القصص والتمثيليات المكتوبة عنها** ، أو

المعروضة على الشاشة الكبيرة او على الشاشة الصغيرة او على المسرح . يحدث ذلك فى مجتمعنا ، كما يحدث ذلك ، ايضا ، فى المجتمعات الاخرى ، والامثلة على ذلك كثيرة .

ومن صور الاتجار بالمرأة ، أقصد الاتجار بعواملها التكوينية ، صورة ظاهرة البغاء .

وعندما تصفى علاقات الانتاج الاقطاعى شبه الرأسمالى ، **تصفية نهائية** ، نتوقع وجود جيل من الرجال لا تسنح له الفرص أبدا لشراء المرأة ، سواء بالمال أو بأية وسيلة أخرى من وسائل السيطرة الاجتماعية . كما نتوقع أيضا ، وجود جيل من النساء لا يضطررن أبدا للاستسلام لأى رجل لأى **سبب سوى الحب الانسانى الحقيقى** . هذا ما نتوقعه ونحن متفائلون ، على الرغم مما نراه الآن من معاملة المرأة الواقعية ، فالرجل المصرى يعاملها معاملة تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، وفى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقا وصبابة وهياما . يكتب فى ذلك الأشعار والأزجال والمواويل ، ويحكى القصص والروايات ويظهر ذلك فعلا وعملا . ولعل المعاملة السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها أن تكون امورا غير متناقضة . فالمرأة المصرية فى نظر الرجل المصرى ، حتى الآن ، لاتزال متاعا . ولعلها أن تكون **متاعه الوحيد المرموق** . وهى اذا كانت راضية بهذا الوضع الغريب ، فهى تفعل ذلك ، كما سبق أن أوضحت ، فى ضوء العلاقات الاجتماعية .. علاقات الانتاج الاقطاعى الرأسمالى التى لم تصف . وفى ضوء بعض العناصر الثقافية غير المادية الباقية لاتزال . ومهما يكن من الامر فان المرأة المصرية ، على الرغم من كل هذه الامور ، فضلا عن بعض العوامل الاخرى ، **قد عصمت الرجل المصرى من الشذوذ الجنسى** الذى نرى الوانه العديدة موجودة فى العديد من المجتمعات ، وبخاصة فى المجتمعات الغربية حيث الحرية الجنسية لا التربية الجنسية فى هذه المجتمعات تسود ، وحيث نجد مكانة المرأة الاجتماعية فيها مكانة تغبطها عليها الكثيرات من النساء المصريات .

ولعل القارىء ان يتذكر أنه عندما رفعت السيدة هدى شعراوى وزميلاتها النقاب من على وجوههن فى عام ١٩٢٣ وهو أمر تقره تعاليم الدين الاسلامى ولا تأباه ، **كان هذا الامر متوقعا** فى ضوء نتائج دعوة « رفاعة رافع

الطهطاوى » الى مناقشة مفهوم « الحب » فراى رحمه الله ان « من احسن الاحسان الى البنات تزويجهن الى من هوينه واحببنه » . كان ذلك منذ عام ١٨٧٣ ، أى منذ أكثر من مائة عام · والى نتائج دعوته الى « وحدانية » الزواج . « لان عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط احد الطرفين بالآخر ، ومشروط فيه الامانة ضمنا على الوجه الذى تضته الحكمة الالهية » . والى نتائج دعوته « بأنه لا يليق من النساء الا كمال الصيانة والعفة ، وسلوك سبيل الحياء .. فان الحياء ممدوح وعدمه مذموم » .

وكان رفع النقاب من على وجوه النساء المصريات منذ حوالى ٦٤ عاما متوقعا فى ضوء ما ذكره « محمد عبده » وهو يتحدث عن « قوامة الرجال على النساء اذ يقول رحمه الله منذ أكثر من ثمانين عاما وهو يتحدث عن « قوامة الرجال على النساء » .

« واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة فى بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم » .

وفى ضوء وقائع التاريخ المصرى نجد أن المرحوم « محمد عبده » كانت تحيط به كوكبة من المريدين المؤمنين بحرية المرأة · ونذكر من هؤلاء « قاسم أمين » و « سعد زغلول » و « عبد الله النديم » و « فتحى زغلول » و « لطفى السيد » و « حافظ ابراهيم » و « أحمد شوقى » و « خليل مطران » .. وكان أبرز هؤلاء « قاسم أمين » الذى نشر كتاب « تحرير المرأة » فى عام ١٨٨٩ . وقد اثار هذا الكتاب جدلا عنيفا فتولى الرد على معارضيه فى كتابه الثانى « المرأة الجديدة » الذى نشر فى عام ١٩٠٦ . وقد اهدى كتابه الثانى الى « سعد زغلول » .

وكانت ثورة عام ١٩١٩ التى قادها « سعد زغلول » احد مريدى « محمد عبده » فرصة رائعة لتطور المجتمع المصرى فى ذلك الحين وابراز قيم البذل والتضحية والجهاد ضد الانجليز المستعمرين ، باسم الدين الحنيف وباسم الشعار الذى خرج من الشعب المصرى ولم يفرضه أحد على أعضائه الا وهو : « **الدين لله والوطن للجميع** » . كانت هذه القيم التى برزت فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى فى ذلك الحين ، كلها ، قيم ذات أهداف حميدة نابعة من وجدان أعضاء الشعب المصرى ، ذكورا كانوا أو اناثا ·

ولما كان « **النقاب** » لا يمت الى الثقافة المصرية بصلة . ولما كانت نتائج دعوة « الطهطاوى » ثم « محمد عبده » ومريديه فيما يتعلق بمكانة المرأة

المصرية قد اثمرت،فقد رفعن هذا النقاب من على وجوههن رغم الذين عارضوا ذلك من القادة الثقافيين المصريين مثل « محمـــد فريد وجدى » و « طلعت حرب » • ومع ذلك فقد انتصر رفع النقاب من على وجوه النساء المصريات وبارت تجارته فى الاسواق •

ومع ذلك فالملاحظ ، وبخاصة فى الريف وفى المناطق الشعبية فى المدينة ، أننا نجد النقاب مرفوعا من على وجه المرأة المصرية ولكنها تحمل على رأسها الاثقال التى ينوء بحملها الرجال • نجد المرأة المصرية فى هذه البقاع تحمل « المشنات » و « أوعية المأكولات بأنواعها » ، كما تحمل « صفائح المياه » • ونجدها أيضا تعمل فى بناء المساكن الجديدة أو ترميم القديم منها وتستخدم راسها فى حمل « المونة » وفى حمل « البلاط » ولعل ما تفعله المرأة المصرية فى هذه المجالات على الرغم من رفع النقاب من على وجهها أن يخفض « هامتها » •• ومن ثم يخفض « مكانتها الاجتماعية » •

واذ ادعو الى رفع « هامة المرأة المصرية » فلعل هذه الدعوة أن تجد آذانا صاغية عند الرجـــال المصريين آباء كانوا أو اخوة أو أزواجـــا ، وبخاصة ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين • عصر الحضـــارة العالمية ، وعصر العلم والتكنولوجيا الحديثة التى بلغت الذروة العلميـــة أو كادت •

واذ ادعو الى رفع « هامة المرأة المصرية » فان تعاليم الدين الحنيف تحضنى على ذلك • فرفع النقاب وحده لا يكفى ، اما رفع الهامة فانها تعيد الثقة فى نفس المـرأة المصرية التى بدورها تمنحها لاطفالها الذين عندمـا يبلغون اشدهم يكونون الادوات التى تواجه التنمية الشاملة التى يرجـــو تحقيقها المجتمع المصرى المعاصر •

واننى أرى ان مكان المرأة ومكانتها الاجتماعية فى مصر تبدو واضحة اذا لاحظنا الامور التالية :

١ ــ ان للحكم على أى مجتمع يجب ان نحاول التعرف على :

(أ) مكان المرأة فيه ومكانتها الاجتماعية •

(ب) مستوى رعاية الطفولة فى هذا المجتمع •

(جـ) مستوى سيادة الاتجاه العلمى الحديث فى هذا المجتمع •

(د) مستوى الحياة التى يعيشها اعضاء هذا المجتمع من حيث :
المستوى المادى (الصحة + التغذية + المسكن اللائق •• الخ) •
والمستوى المعنوى (الفكرى) •

٢ ـ ان المرأة فى أى مجتمع تؤدى أدوارا عديدة منها :

دور الام
ودور الزوجة
ودور الابنة
ودور الاخت
ودور الزميلة
ودور الجارة ‥ الخ ٠

والرجل مثل المرأة يؤدى أدوارا عديدة كذلك منها :

دور الاب
ودور الزوج
ودور الابن
ودور الاخ
ودور الزميل
ودور الجار ‥٠ الخ ٠

٣ ـ ان حياة الاسرة فى مصـــــر قديمة قدم الدهر ٠ ونقوش الدولة المصرية القديمة تزخر بالمناظر ذات الالوان الزاهية التى تمثل لنا صورا من الحياة القديمة ٠

ونجد فيها المصرى القديم يصحب معه زوجته فى الحدائق ، ونلاحظ ان زوجته تشاطره كل حياته وكل أعماله كما كانت ترافقه فى الوقت نفسه فى كل لحظة ٠ وكان اطفالهما فى صحبتهما دائما ٠

٤ ـ ان العلاقات الاسرية التى نجدها فى هذه النقوش ـ حياة المرح والود ـ لاتدل فقط على ماتحويه من آثار فنية وانما تعد كشفا جديدا ذا أهمية أساسية فى تاريخ الاخلاق ٠ لان هذه الصور والنقوش المدونة فوق جدران القبور ، مع حكم « بتاح حتب » (التى سأذكر بعضها بعد) ، تقدم لنا برهانا تاريخيا قاطعا على ان الادراك الخلقى نبتت جذوره من حياة الاسرة ٠

٥ ـ انه لا يمكن لانسان ما ان يكون لنفسه ضميرا ، وانه يحتاج دائما الى الجماعة لتكوينه له ٠ والمعروف أن الاســـرة هى أول جماعة يبدأ فيها الطفل عندما يولد ٠

٦ ـ واننى أومن بأنه اذا صلحت الجماعة صلح أعضاؤها ٠

واننى اومن فى الوقت نفسه بأنه اذا صلح اعضاء الجماعة صلحت الجماعة .

وأن السلوك الحسن محصور على الارجح فى اول الامر فى دائرة الاسرة .

٧ — ومن حكم بتاح حتب نجد ما يلى :

« اذا كنت رجلا ناجحا ، وطد حياتك المنزلية ، واحب زوجتك فى البيت كما يجب » .

« واذا كنت رجلا ناجحا ، فأسس لنفسك بيتا واتخذ لنفسك زوجة تكون سيدة قلبك » .

« وان الزوج الكيس هو الذى يجعل زوجته سعيدة أولا بالمحبة التى تلزمه ان يفسح لها فى قلبه الاعتبار الاول ، ثم يأتى بعد ذلك بمستلزمات الجسم من غذاء وملابس ، ثم بالكماليات كالعطور والدهان » .

« واجعل قلبها فرحا مادمت حيا ، فهى حقل مثمر لرفيقها » .

٨ — والانثى المصرية هى :

(أ) حاملة التراث وحافظته .

(ب) واذا أتيحت لها الفرصة فهى تسهم فى خلق بعض عناصر الثقافة .

(جـ) تعطى دائما أكثر مما تأخذ . (أول من يستيقظ وآخر من ينام) .

(د) وفى محيط ارتكاب الجرائم نجد ان نسبته عند الانثى المصرية حدثا كانت أو شابة او بالغة نسبة ضئيلة .

٩ — ان النكسة التى أصابت المرأة المصرية وبخاصة التى تؤدى دور الزوجة هى اقحام ظاهرة « الحريم » على المجتمع المصرى فاصبحت فى ضوء نتائج وجود هذه الظاهرة مجرد بضاعة ومتعة . كما اصبحت قيمتها تقوم بمحددات شخصيتها التكوينية فحسب .

ولم تؤخذ فى الاعتبار محددات شخصيتها الثقافية الاجتماعية ولا محدداتها النفسية والعقلية .

١٠ — اننى فى ضوء تاريخ حياتى عشت فى الفترة التى كانت قبل قانون عام ١٩٢٩ كما عشت فى الفترة التى مرت بعدها . كنت فى الفترة الاولى يافعا والاحظ ماكانت عليه حياة المرأة المصرية وبخاصة التى كانت تؤدى دور الزوجة فقد كان الرجل بما يؤديه من أدوار يتحكم فيها فى الاغلبية الساحقة من المواقع . كانت تعيش الزوجة تحت مظلة القهر ، وكانت تعيش أيضا فى ظلام الامية بكل

أنواعها . ولا تعرف من أمر دنياها الا ما ورثته ثقافيا من عناصر ذات اصالة كانت تحملها وتحافظ عليها .

١١ — وهاقد مرت فترة طويلة عدد اعوامها يربو على الستة والخمسين عاما . وعاش أعضاء الشعب المصرى ، ذكورا واناثا ، احداث هذه الفترة وهى احداث جسيمة . فقد اندلعت فى خلالها الحرب العالمية الثانية ، وثارت مصر ثورة عام ١٩٥٢ ، وبذل أبناء مصر وبناتها التضحيات من أجل نيل استقلالها السياسى . وحاربت مصر اسرائيل أربع حروب . وحدثت تغييرات جذرية فى بنية المجتمع المصرى . وانتعشت الحياة الثقافية فانتشرت أجهزة الاذاعة وأجهزة الشاشة الصغيرة . وبنيت الجامعات وأصبح عددها ١٣ جامعة وفتحت أبوابها لشباب مصر من الذكور والاناث . وخرجت المرأة المصرية الى ساحات العمل وأصبح متوسط نسبة من يعملن منهن فى القوى العاملة من ٢٠٪ الى ٢٥٪ . ونجد فى التعليم الابتدائى نحو ٦ر٣٩٪ (١٩٧٩/٧٨) طالبة .

ونجد فى التعليم الاعدادى نحو ٧ر٣٦٪ (١٩٧٩/٧٨) طالبة .
ونجد فى التعليم الثانوى نحو ١ر٣٩٪ (١٩٧٩/٧٨) طالبة .
ونجد فى التعليم الفنى نحو ٨ر٢٧٪ (١٩٧٩/٧٨) طالبة .

١٢ — ان المرأة فى ضوء تأدية دوريها كزوجة وكأم تترك بصماتها على شخصية اطفالها منذ لحظة ولادتهم والى الابد سواء قدر لهؤلاء الاطفال ان يكونوا فى المستقبل ازواجا أو زوجات أو عاملين أو عاملات أو رؤساء أو رئيسات أو مرؤسين أو مرؤسات . وسواء كانت ميادين العمل هى الحقول أو المصانع أو الدواوين أو المدارس والمعاهد والجامعات أو خدمة القتال فى سبيل الوطن . *

وعلى الرغم مما ذكرت من قبل فاننى أكرر أن الرجل المصرى اذ يعامل المرأة المصرية معاملة قد تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، وتراه فى بعض الاحيان يتغنى بكيدها ، تراه فى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلها عشقا وصبابة وهياما . يتغنى فى ذلك بالمواويل والازجال والاشعار ، ويحكى القصص والروايات . ويظهر ذلك فعلا وعملا ،

---

* عدد الطالبات الجامعيات ٢٢١٩ طالبة عام ١٩٥١/٥٠ اصبح ١٥٦٦٤٩ طالبة عام ١٩٨١/٨٠ .

تراه يستخدم اشارات اليد والاصابع والوجه للدلالة على ذلك أحيـــانا ، أو يستخدم الكلمات وهو يعاكس أو فى وقت الصفاء أو بعد ذلك أحيانا أخرى .

« كيـد النســا كيـد لو ابوزيد يميل منهم
لو عنتر بن شــداد ايشــوف العذاب منهم
لهم فعــل بطــال زالت الجبـــال منهم
الواحـدة منهم فى كـل بلـوة تلقاهـــا
قاعدة تقلب فتن لاجـــل الخـراب والشر
وتكـره الطيبــة وفى الرديــة تلقاهـــا
ومطــاوعة ابليس على فعل النكــد والشر
وكــل يســـيرة مع المخاليــق تلقاهـــا
هم النسا على الدوام وجودهم اساس الشر
والعقــل لو غاب يكون السبب منهـم » .
و « قاضى الغرام فوق جبــل عالى ينادينى
قال فين مفارق احبابه قلت انـــا ودينى
قال لــى تعــود للحبــايب قلت وديـنــى
دول الحبــــايب العـــــزاز
ولا لهمش فى الجمــــــال وصفـــة
انا نفسى ازور النبى واقعد حـداه وأصفى
ان كــــان قلبــى يبيح لغــــيركم ويصفى
امـــوت كافـــر ولاتوفاش على دينــــى » .

★★★★

وفى احدى الدراسات التى قمت باجرائها عن « **ظاهرة الكتابة عــــلى هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر** » لاحظت كتابة العديد من عبارات الاغانى المصرية التى تتضمن معانى عديدة . ومن هذه المعانى ما يترنم بالحب والهوى : « الحب كـده » و « الهـوى هوايـا » و « أنت الحب » و « أهـل الهوى مساكين » و « اهل الهوى ياليل » و « جددت حبك ليه بعد الفـــؤاد ما ارتاح » و « زى الهوى ياحبيبى وآه من الهوى » . ومنها ما يترنم بالشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال : « أروح لمين » و « بلاش أسية ارحم عنيه » و « اكتر من مرة عاتبتك وأديتلك وقت تفكر » و « تفيد بايهياندم وتعمل ايه ياعتاب » و « كلمونى تانى عنـك

نكرونى » و « قابلته نسيت انى خاصمته » و « هجرتك يمكن انسى هــــواك وأودع قلبك القاسى » و « ياهاجرنى » و « لانوم ولادمع مخلاش الفراق فيه » (كان اصلها لانوم ولا دمع فى عنيه) و « ما اطال النوم عمرا وما قصر عمرا » (كان اصلها فما اطال النوم عمرا ولاقصر فى الاعمار طول السهر) و « مـــن فرحتى لابنام ولابصحى » و « سهران لوحدى » و « ودع هواك » و « كايدة العزال » و « كايدة العزال انا من يومى » و « كايدة العـــزال ياسكينة ! » .
ومن معانى عبارات هذه الاغانى نجد ما يترنم بالامل والفرح والغزل والدعابة والتسامح والسلامة : « أمل حياتى ياحب غالى » و « من فرحتى تهت مـــع الفرحة » و « أبو سمرة السكرة » و « ادلـــع يارشـــيدى على وش الميه » و « بتبص لى كده ليه ؟ » و « على عينى كرملة » و « ماخدش العجوز انا » و « انساك ده كلام انساك ياسلام » و « سالمة يا سلامة » .

وقد كتب آخرون على هيكل مركباتهم تعبيرات شعبية تتضمن معانى الغزل المفتوح والغزل المستور : « آخـــر طريقك فين » و « النبى تبسم » و « بطل تقل بقى » و « قوللى آخر طريقك فين ياحلو ياللى ماشى » و « كـــده شربات » و « منى عينى هو » و « صباح الفل ياعود الفل » و «اوعى الهوى !» .

وقد لاحظت انه فى ضوء الدراسة المشار اليها ، وفى ضوء دلالات هـــذه النتائج ان الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات موضوع الدراسة على الرغم من أن بعضها مكرر ، وان معانى بعضها متشابهة ، وعلى الرغم من ان اشكالها متعددة — قد اختارها كاتبوها انفسهم بمحض ارادتهم واصروا على كتابتها على هياكل المركبات التى يستخدمونها على الرغم من عدم موافقة الدولة على هذه الكتابة . وانهم اذ يكتبون ما يكتبون بمحض ارادتهم ، فانهم فى حقيقة الامر يحاولون ان يسمعوا اصواتهم دون ان يراهم احد ، اى انهم فى حقيقة الامر يحاولون بمحض ارادتهم ان يهتفوا . ومعانى الحب والهـــوى والشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، فضلا عن معانى الامل والفـــرح والغـــزل والدعابة والتســـامح ، كل هذه المعانى تعكس العديد من العناصر الثقافية غير المادية التى تملأ المناخ الثقافى الاجتماعى لمجتمعنا المصرى المعاصر . وهم فى ضوء ظروفهم الثقافيـــة الاجتماعية والاقتصادية قد اختاروا هذه المعانى من هذا المنـــاخ لكى يسمعوا اصواتهم دون ان يراهم احد ، اى لكى يهتفوا هتاف الصامتين ، واصطنعوا من أجل ذلك دونما وعى ، جهازا اعلاميا شعبيا من أجهزة الاعلام فى مجتمعنا المصرى المعاصريتحرك على امتداد مدن هذا المجتمع وقراه،وهو جهاز اعلامى

يدعو فى ضوء طبيعته الى تثبيت العديد من المعانى السابق ذكرها والتى لاتزال تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، ومنها الحب والهوى على الرغم من ان الحب ، كما يقول المثل الشعبى المصرى « **عاوز كلفة علشان تدوم** الالفـــة » .

ومن ازجال « بيرم التونسى » التى شاعت وذاعت ، نجـد :

فى كـل عـام للورد أوان — الا النسوان
بقـدرتك نابتيـن ألـوان — أبيض وأحمر
وانت اللى تعلم وانا اجهـل — فيه ايه اجمل
من دى الخدود واللى لاتدبـل — ولا تتغـير
ودى العيـون اللى اشهدلك — بها واسجدلك
دى خلت الطـاغى انقـادلك — والمتكبـر
والشـفتين اللى فالقهـم — كنت خالقهم
للابتسـام ولا رازقهـم — دانت تحير
العبـد يعشـق بالقـوة — وعشق لجوه
كمـان جهنم ؟ أيه هـو — محناش معشر
.... — ...
.... — ...
يا مسلمين الله ياحريم — أنا مالى غريم
غيركم أروح وياه فى جحيم — يوم المحشر
الدنيا والنسوان وخلاص — والراجل لاص
لا طبـلة ينفـع ولا بلاص — لو يتكسر

والرجل المصرى منذ الزمان القديم وحتى الآن **تجده يفتتن بجسم المرأة او بعض اجزائه** . ففى مجموعة طيبة وهى مكتوبة على بردية هيراطيقية ويرجع اصلها الى مدينة طيبة عاصمة الدولة الحديثة التى اسستها الأسرة الثامنة عشرة فى عام ١٥٧٠ ق.م. يقول المحب عن حبيبته :

« فريـدة حبيبتى فى حسـنها
مـا مثلهـا احـد
أجمـل من كـل النساء هـى مشرقة
أنظـر اليهـا
كالنجمـة الآلهـة

فى مطلع العام السعيد
ساطعة باهرة وضاءة البشرة
جميلة العينين حين تنظر
عذبة الشفة حين تتحدث
كلمة زائدة لا تقولها
طويلة العنق جميلة الثدى
شعرها لا زورد أصيل
ذراعها يفوق الذهب
أصابعها أزهار اللوتس
مشدودة الخصر عند انسياب الردف
تزيد ساقاها من جمالها
تخطو على الأرض فى نبل
أسرت قلبى بعناقها
وأدارت رقاب كل العشاق
مشدوهين بجمالها » .

وقد استمر الاهتمام **بالجسم الانسانى أو بعض أجزائه وبخاصة جسم المرأة** ، والاهتمام بالدور الذى يلعبه فى مجالى الحب والغزل حتى الآن . نجد ذلك فى المواويل الشعبية المصرية التى يتغنى بها الشبان فى القرية المصرية المعاصرة :

٩ — النظرة الى عوامل الاشباع الجنسى :

١ — فى ضوء **التراث الثقافى الاجتماعى المصرى** نلاحظ أن الاشباع الجنسى له مكانة خاصة للعوامل الآتية :

(أ) ان الله جل وعلا قد أنعم على الانسان بالغريزة الجنسية بقصد التناسل .

(ب) والتناسل هو انبل وظائف الغريزة الجنسية .

(جـ) والنكاح قبل الزواج يرغب فيه الذكور والاناث المصريون **فى سن معينة** بشكل ملحوظ . نجد ذلك منعكسا فى المواويل والأزجال والأغانى والنكت والالفاظ والاشارات والأصوات . ويكاد أن يكون مفهوم « الرغبة فى النكاح »

فى ضوء هذا كله صنوا لكل من مفاهيم « **الحب** » أو « **المحبة** » أو « **الوصـل** » ، وهى مفاهيم ، كلها ، فى الكثير من الأحيان ، **رومانتيكية** .

انظــــر :

« قلبى هــــوى بنت بتبيع خــوخ فى ســـبتها
اذا فاتت على القــوم بتسبى القــوم بثباتهـــا
لها جوز نهود يشـــبه كمـــا الرمان فى ســـبتها
أنـــا من حبـــى فى البنت فت الأهــــل والبـــلدى
انا تنى ماشى وراء البنت لما خـــار علينا الليــل
أنـــا قلت ما طيـــلا يا بنت بنـــا بلـــــدى
قالت ماشية العـــــوازل وأنـــا يا جـــدع بالليل
البنت معها لواحظ تشــــبه لســـلام بـــلدى
الشـــعر منتــور يشــــبه لظـــلام الليـــل
أنا قلت يابنت عندى جوز بنانى بيدووا الطيوربالليل
وقفت البنت يـــا ناس وشـــالت عينهـــا فى
الوجــــــه كيف القمـــر والجسم كالليـــة
حــــرة نقيـــــة لكن الأنـــــدال ســـبتها »

(**موال مصرى**)

انظـــر ايضـــا :

« عينى رأت بنت بيضــــه بتمـــــلى والندا نازل
والشـــعر الأصـــفر عـــلى الخـــــد نــــازل
طلبت منهـــا الوصـــال قالت لى ياجدع أرجـــع
لتمـــوت قتيــل المحبــــة والنـــــدا نــــازل

(موال مصرى)

(د) ومع ذلك فالملاحظ أن النكاح قبل الزواج الذى لا يكون بغــرض التناسل بل بغرض الاشباع الجنسى **أمر غير أخلاقى وغير مشروع** . « اهربوا من الزنا كل خطية يفعلها الانسان هى خارجة عن الجسد . لكن الذى يزنى يخطىء الى جسده . أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لــكم من الله وانكم لســتم لأنفســـكم » (اكو ٦ : ١٨ و ١٩)

و « ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحدة رجلها » .
(اكو ٧ : ٢) . « وكذلك ان النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن » (اتى ٢ : ٩) . والجنة التى فيها « ما لاعين رأت ولا اذن سمعت ٠ ولا خطر على قلب بشر » تكون للمؤمنين « والذين هم لفروجهم حافظون . الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » (المؤمنون ٥ — ٦) « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » و « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن او أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن او نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (النور : ٣٠ — ٣١) .

(هـ) فالتناسل يعنى **حفظ النوع البشرى** . والمجتمع الانسانى لكى يستمر يتطلب حفظ النوع البشرى .

(و) وعلى البنت أن **تبقى بكرا حتى تتزوج** . والا عاقبها المجتمع اذا فرطت اشد العقاب . فقد تقتل اذا فرطت أو على الأقل تنبذ وتعيش فى الحضيض .

٢ — اى أن **أهم العوامل** المتعلقة بموضوع الاشباع الجنسى هى :

(أ) عوامل اجتماعية : حيث يكون الاشباع الجنسى للتناسل حتى يستمر حفظ النوع ويبقى المجتمع .

(ب) عوامل ثقافية : حيث يرغب الذكور والاناث المصريون فى سن معينة فى القيام بعملية النكاح ، وأن مفهوم « الرغبة فى النكاح » فى ضوء التراث الثقافى المصرى يعنى مفهوم « الحب » أو مفهوم « المحبة » أو مفهوم « الوصال » . وهى مفاهيم كلها ، فى الكثير من الاحيان ، رومانتيكية .

(حـ) عوامل ثقافية ودينية : حيث ان الله جل وعلا قد أنعم على الانسان بالغريزة الجنسية بقصد التناسل .

— وان التناسل هو انبل وظائف الغريزة الجنسية .

— وأن النكاح قبل الزواج الذى يكون بغرض الاشباع الجنسى فحسب وليس التناسل أمر غير أخلاقى وغير مشروع .

(د) وحيث يجب أن تبقى البنت بكرا حتى تتزوج ، والا عاقبها المجتمع اذا فرطت أشد العقاب .

٣ — ويكون الاشباع الجنسى بطريقة مشروعة بالزواج وتكوين الاسرة التناسلية . ويكون الزواج فى أغلب الاحيان ، وبخاصة فى الريف ، زواجا مبكرا للعوامل الآتية :

(أ) لتحقيق رغبة أعضاء الاسرة التوجيهية (أسرة الاب والام والاخوة والاخوات) . لكل من الزوج والزوجة . فالملاحظ أن الحفاوة بمناسبة الزواج اجتماعيا وثقافيا حفاوة كبيرة على كل المستويات .

(ب) لحماية الشبان والشابات من الوقوع فى وهدة الرذيلة . فالزواج « نصف الدين » (حديث نبوى) ومن « استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم » (حديث نبوى) .

(ج) لاكتساب مكانة اجتماعية مرموقة هى مكانة الزوج للشاب الذى يتزوج ، ومكانة الزوجة للشابة التى تتزوج .

فالزوج يشعر ببعض الاستقلال ويبدأ حياة رجولته ضامنا احترام أعضاء المجتمع وبخاصة الكبار منهم . والزوجة تشعر بهذا الاستقلال وتبدأ حياة أنوثتها ضامنة احترام اعضاء المجتمع وبخاصة الكبار منهم .

« تعدتى بين أعتابى (أعضاء الأسرة التناسلية) ولا تعدتى بين احبابى (اعضاء الأسرة التوجيهية) . (مثل شعبى) . « ظل راجل ولا ظل حيطة » (مثل شعبى) .

(د) لتخلص الزوج والزوجة ، فى الكثير من الاحيان ، من اعباء الصرف على أسرتيهما التوجيهية ومن قيودهما . وحيث يشترك الزوجان فى القيام بأعباء أسرتهما التناسلية ويعاون القادر منهما غير القادر . والملاحظ أن زواج البنت يرفع ، فى بعض الاحيان ، بعض الاعباء الاقتصادية عن كاهل اسرتها التوجيهية .

٤ — أى أن أهم العوامل للزواج المبكر هى :

(أ) عوامل اجتماعية : حيث يسعد أعضاء الأسرة التوجيهية ، وهم أحياء ، بزواج الابن ليكون أسرة تناسلية له امتدادا لاسرته التوجيهية .

— وحيث يكتسب كل من الزوج والزوجة مكانة اجتماعية جديدة تضفى عليهما الاحترام والاستقلال .

(ب) عوامل ثقافية : وهى تتعلق بقيمة ستر « عرض الفتاة البكر » وبقيمة تجنب « بوارها » . كما تتعلق بعلانية الزواج والحفاوة به .

(جـ) عوامل ثقافية دينية : وهى تتعلق بحماية الشبان والشابات من الوقوع فى وهدة الرذيلة .

(د) عوامل اقتصادية : حيث يستقل كل من الزوج والزوجة اقتصاديا بالتخلص فى الكثير من الاحيان من اعباء أسرتيهما التوجيهية ومن قيودهما . وحيث يتعاونان اقتصاديا فى القيام بأعباء أسرتهما التناسلية .

— وحيث يرفع بعض الأعباء الاقتصادية عن كاهل أسرة الزوجة التوجيهية .

١٠ — النظرة الى تكوين الاسرة المصرية بأنواعها ووظائفها الثقافية والاجتماعية

ان الأسرة موجودة فى كل مجتمع ، ويندر ان يفلت منها الطفل العادى فى اى جزء من اجزاء العالم . وذلك على الرغم من اختلاف العادات التى يمارسها اعضاء هذه الوحدة الاجتماعية الأساسية من مجتمع لآخر .

واذا تيسر لنا ان نعتبر الاسرة لبنة أساسية فى المجتمع ، فهى ايضا، فى مضمونها الاجتماعى بناء ذو تكوين معين مسئول عن عدد من الوظائف الاجتماعية والبيولوجية .

واذا عالجنا موضوع بناء الاسرة المصرية أو تكوينها ، من حيث تطوره وما يتوقع له من تغير فى ضوء ظروف مجتمعنا المتغير ، نلاحظ بعض الملاحظات .

فمن حيث تكوين الأسرة (أو نطاق الأسرة) نلاحظ انه اخذ يضيق شيئا فشيئا ، حتى اصبحت الأسرة لا تشمل الا زوج وزوجة ومن يعولان من ابناء . وهذا ما يمكن ان نطلق عليه **« الأسرة الفردية »** . وبدأ هذا النوع من الأسرة فى المدينة . وهو يتكاثر على الدوام كلما اتسعت رقعة الحضر فى مجتمعنا . وهذه الرقعة تتسع ويزداد اتساعها على مر الأيام .

ونلاحظ أنه بظهور الأسرة الفردية فى مجتمعنا اختفت أنواع أخرى من الأسر ، وظهرت معالم أنواع أخرى من الأسر الجديدة .

فنجد ، مثلا ، وفى وضوح ، بداية اختفاء ((**الأسرة المركبة**)) وهى الأسرة التى تتكون من أسرتين أو أكثر من الأسر الفردية وتجمعها صلة القربى ويعيش أعضاؤها فى مسكن واحد . ونجد هذا النوع فى الوقت الحاضر فى الريف وفى بعض أحياء المدينة (مثل الأسر التى تكون فى الغالب قد نزحت من الريف الى المدينة ولم يمر على ذلك أمد طويل) . وهناك نوع آخر من الأسر بدأ يتلاشى كذلك ، هو ((**الأسرة الممتدة**)) ، وان كان لايزال موجودا فى مجتمعنا ولكن خارج نطاق المدينة فى معظم الاحيان . وتتكون الأسرة الممتدة من عدد من الأسر الفردية على صلة من القربى ، وهى عادة الأسر الفردية للرجل وأبنائه أو للمرأة أو بناتها التى يعيش أعضاؤها فى مسكن واحد كبير أو فى عدة مساكن صغيرة متقاربة .

وكلما ازدادت نسبة وجود الأسر الفردية فى المجتمع أو بمعنى آخر كلما اختفت الأسر المركبة والممتدة من المجتمع ، نتوقع ظهور نوعين واضحين آخرين من الأسر . وذلك من حيث وظائفهما الاجتماعيا العامة . فنجد الشخص العادى ، مثلا ، من حيث مكانته الاجتماعية فى محيط الاسرة كوحدة يتحتم عليه أن ينتمى فى خلال حياته الى أسرتين : الأسرة الأولى هى مايمكن أن نسميه أو نطلق عليها « **أسرة التوجيه** » وهى تتكون من أبويه واخوته وأخواته ، والأسرة الثانية ((**أسرة التناسل**)) ، وهى تتكون من زوجته وأبنائه ونلاحظ أن هاتين الأسرتين مختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وان تشابهتا من حيث التكوين . كما يلاحظ انهما تتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بينهما بمرور الزمن (*) .

ولابد من التنويه بأن ظهور الأسرة الفردية موجود فى مجتمعنا منذ زمن ليس بالقصير . ولكن الملاحظ هو ازدياد نسبته على الدوام ، ونمو الاتجاهات الاجتماعية نحوه ، فضلا عن ملاحظة سمة **السرعة المذهلة التى** يتحقق بها .

وكما تطور تكوين الأسرة على مر الايام نلاحظ **أن وظائفها الثقافية والاجتماعية** قد تطورت كذلك . فالاسرة المصرية فى مبدأ نشأتها كانت تقوم بمعظم الوظائف الاجتماعية من اقتصادية ودينية وخلقية وقضائية وتربوية

---

* يلاحظ أن أزمة الاسكان التى يواجهها الشباب المصرى الذين على وشك الزواج فى الوقت الراهن تقف عائقا فى سبيل هذا الانفصال .

وترويحية ، ونجد الكثير من هذه الوظائف تمارسها الأسر المركبة والاسر الممتدة وخصوصا فى المناطق الريفية حتى وقتنا هذا . ولكن اذا أمعننا النظر فى الوظائف الاجتماعية فى محيط الاسر الفردية نجد أن أغلب الوظائف الثقافية والاجتماعية المشار اليها قد انتزعت منها . وهذا يعنى أن الصلات الاسرية (أو العائلية) لم تعد **تتحكم فى البناء الاجتماعى** ، واصبح عدد كبير من الوظائف الثقافية والاجتماعية التى كانت الاسر فى الماضى تقوم بها من قبل تقوم بها بعض الاجهزة الاخرى فى قطاعات البناء الاجتماعى . وهذا يعنى أن الاسرة (أى الأسرة الفردية) قد أصبحت **أكثر تخصصا** من ذى قبل .

وقد لاحظنا من قبل أنه كلما ازدادت نسبة وجود الأسر الفردية فى المجتمع ، أو بمعنى آخر كلما اختفت الاسر المركبة والاسر الممتدة من المجتمع ، توقعنا ظهور نوعين واضحين آخرين من الأسر الفردية هما « أسرة التناسل » و « أسرة التوجيه » . وهما أسرتان مختلفتان من حيث الوظائف والعلاقات ، وان تشابهتا من حيث التكوين ، وهما تتجهان نحو الانفصال حيث يتوقع ضعف الروابط بينهما بمرور الزمن .

ونحن نرى أن **أهم** وظائف أسرة التناسل تنحصر فى **تنظيم الاشباع الجنسى** بصورة يقرها المجتمع ، وحفظ النوع البشرى **عن طريق انجاب الأطفال** . أما مهمة القيام بعملية التنشئة الاجتماعية للأطفال أى اعدادهم للحياة أعضاء صالحين فى المجتمع الذى ولدوا فيه ، فهى **أولى مهام اسرة التوجيه** . فهى بحكم تكوينها تحتوى على جيلين يشتركان معا فى **معيشة واحدة** ، فالزوجان يكونان جيلا سابقا ، والأطفال يكونون جيلا لاحقا . ويعلم الجيل السابق الجيل اللاحق وينقل اليه النماذج الحضارية والثقافية المختلفة التى توجد فى المجتمع . فالأطفال **يدربون أول ما يدربون** فى الأسرة على عمليات الأكل والاخراج ومواجهة الألم والكلام والنظافة واستعمال الملابس وأدوات الزينة فضلا عن عمليات التفاعل الاجتماعى المتعددة .

وجل الأطفال يولدون عادة فى أسر توجيه سواء كانت أسرة فردية أو غير ذلك . ولكن يلاحظ كما سبق القول أن معظم أسر التوجيه وخصوصا فى المناطق الحضرية **هى أسر فردية** .

وكذلك يمكن القول بأن جل أعضاء المجتمع البالغين ينتمون الى أسر التناسل .

ومعنى هذا اننا نتوقع وجود اطفال لا يولدون فى اسر توجيه (الأطفال غير الشرعيين) * وكذلك وجود أعضاء بالغين لايتزوجون لسبب أو لآخـــر (الأشخاص غير المنتمين) (**) • وقد يزداد عدد هؤلاء وهؤلاء بمرور الزمن •

ونحن نرى أنه بظهور الأسر الفردية فى مجتمعنا لايمكن أن نتوقع أن تقوم وحدها بعملية التنشئة الاجتماعية للاطفال . حتى الاطفال الذين ولدوا فى كنفها • حيث تكون أعباء الحيـــاة الجديدة عديدة ومتكررة ، وما يترتب على ذلك من توترات نفسية وعدم استقرار •

ونحن نلاحظ ان أجهـــزة اجتماعية اخرى وجماعات اجتماعية اخرى تشـــارك أسرة التوجيه الفردية فى عملية التنشئة الاجتماعية للاطفال • ومن الأمثلة على ذلك الجيرة ، والمؤسســات الدينية ، والمؤسســات الترويحية ، فضلا عن اجهزة الاعلام المتعددة •

وفى ضوء الملاحظات السابقة تظهر أكثر من علامة اســتفهام • واننى اتجاسر واحاول أن أضع النقط فوق الحروف ، واحددمجالات تســـاؤلى فى الموضوعات الآتية :

أولا : ما موقفنا ازاء تيار ازدياد الاســـر الفردية ؟ هل نوقف هذا التيار ؟ وهل اذا اردنا ذلك نستطيع ؟ هل ننظم تدفقه ؟ وهناك ســؤال أخير جدير بان يكون السؤال الاول وهو هل نحس بهذا التيار ؟ واذا كانت الاجابة عن هذا السؤال بالايجاب • فهل حاولنا التعرف على مداه ومجـــالاته عن طريق الاحصاء والبحوث ؟

ثانيا : ماذا نتوقع من آثـــار التكوين الجـــديد لاسرنا فى مجتمعنـــــا الجديد ؟ هل ســـتتغير أساليب اختيار الزوج او الزوجة ؟ هل يصاحب هذا التكوين الجديد وجود تناقض أو صـــراع بين المعايير الثقافية او المعايير السلوكية فى الحياة الاسرية ، وخصوصا فى مجال الاسر المركبة والممتدة ،

(*) يلاحظ أن عدد الاطفال غير الشرعيين آخذ فى النقصان بسبب استخدام وسائل منع الحمل المختلفة •

(**) يقصد بهؤلاء الاشخاص الذكور او الاناث الذين يعيشـــون فى عزلة ثقافية ويقاسون حياة الاغتراب •

ومن ثم نتوقع يسرا فى سبيلمواجهة ظاهرة الثأر مثلا ؟ ماذا سيكون من أمر العلاقات بين الزوج والزوجة ، وبين الاب والابن ، والام والبنت ، وبين هؤلاء جميعا ؟ ماذا سيكون من أمر الادوار الاجتماعية التى يؤديها اعضاء الاسرة عادة ؟ ماذا سيكون من أمر دور الحماة ؟ واخيرا هل سيكون تصدع الاسرة الفردية ، من حيث التركيب ، سهلا بسبب صعوبة وجود الاب البديل (الجد والعم والخال مثلا) أو صعوبة وجود الام البديلة (الجدة والعمة والخالة مثلا) اذا ما فقدت هذه الاسرة الاب أو الام بسبب الموت أو الهجران أو الطلاق أو اذا مرضا أو مرض أحدهما بمرض مزمن ؟

ثالثا : ماذا نعرف عن الاطفال غير الشرعيين ؟ هل يزداد عددهم أو ينقص ؟ ماذا أعددنا لمواجهة الزيادة المتوقعة أو غير المتوقعة فى نطاق المدن الصناعية التى تنشأ والتى يزداد عددها على مر الايام ؟

رابعا : يقول بعض الناس أن عدد الاشخاص غير المنتمين فى المجتمع يزداد فى المجتمعات المتغيرة ، هل درس موضوع هؤلاء فى مجتمعنا ؟ هل يستحق الدراسة ؟ ما مدى خطورة وجود هؤلاء الناس فى المجتمع ؟ ماذا أعددنا لمواجهة هذا الموقف ؟

خامسا : ما اهداف عملية التنشئة الاجتماعية فى مجتمعنا الجديد ؟ هل درست هذه الاهداف ؟ هل رسمت الخطط الواعية المنسجمة لتحقيقها ؟. ما هى الاجهزة الاجتماعية الاخرى والجماعات الاجتماعية الأخرى التى نرى وجوب اشتراكها مع أسر التوجيه الفردية للقيام بهذه المهمة الخطيرة ؟ هل وضعت البرامج ورصدت الاموال ونسقت الجهود حتى نخرج **المواطن المصرى الجديد** ، الذى ينمو دائما نموا صحيا ، ويحب الخير والكرامة الاجتماعية ، والذى يستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة ، والمدرب على فن الحياة الجماعية ، والذى يستطيع أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العامة ؟

ومن حيث انجاب الاطفال ، ذكورا كانوا أو اناثا ، وهو من المهام الهامة لتكوين الاسرة فى مجتمعنا المصرى المعاصر وبخاصة فى المناطق الريفية او المناطق الريفية الحضرية وبعض المناطق الحضرية التى توجد فى هذا المجتمع فى الوقت الراهن ، نلاحظ ما يلى :

ـ أن انجاب الاطفال فى الاسرة التناسلية (أسرة الزوج والزوجة وابنائهما) (*) فى ظل المناخ الثقافى المصرى مطلب ضرورى للغاية للعوامل الآتية :

(أ) الاطفال زينة الحياة الدنيا . ويعتبر كل واحد منهم « ضنا » كل من الام والاب . ومن ثم نرى الحفاوة بمقدمهم فى مجتمعنا ابتداء من الحمل (الحرص عليه من الحسد مثلا ، والحرص على استكماله) ، حتى الولادة (يلاحظ ارتفاع مكانة « الداية » وكثرة الطقوس المتعلقة بالولادة)، وما بعد الولادة (المشاهرة وطقوس السبوع والختان وغيرها) ـ اقرب الى أن تكون **حفاوة مقدسة** .

(ب) ان انجاب الاطفال يدل على **رجولة الزوج** ، كما يدل على **انوثة الزوجة** وقدرتهما على الانجاب .

(جـ) ان انجاب الاطفال يكسب الزوج مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأب ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة . وهو يكسب **الزوجة مكانة اجتماعية جديدة** هى مكانة الام ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة والملاحظ أن مكانة الأم فى مجتمعنا مكانة رفيعة جدا منذ آلاف السنين عبر العصور والازمان . حتى وقتنا الحاضر .

(د) اذا كان المجتمع المصرى المعاصر **يتسع للرجل** غير القادر على الانجاب ويقبله ، فان المرأة العاقر **لا مكانة اجتماعية مرموقة لها فى هذا** المجتمع . ومن الدعوات الشائعة نجد أنه عندما يتزوج رجل من زوجة ثانية ، تدعو الزوجة الاولى على الثانية دعوات تتصل ، عادة ، بعدم انجاب الاطفال . « لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها » و « كل من قطعنى من زوجى اقطعها من ولدها ، وأستعين بالله عليها بألا تخلف ولا تتلف طول عمرها » !

(هـ) ان انجاب الاطفال وبخاصة الذكور منهم عندما يكبرون ويتزوجون يحفظون اسم أسرتهم التوجيهية (أسرة الاب والام والاخوة والاخوات) ويعتبرون امتدادا لها .

(*) يلاحظ ان الاطفال غير الشرعيين اذا ازداد عددهم يعتبر وجودهم فى مجتمعنا مشكلة اجتماعية .

(و) **ان تبنى الاطفال** يحرمه الدين الاسلامى وهو دين الاغلبية ٠

٢ – أى أن أهم العوامل للانجاب فى الاسرة التناسلية هى :

(أ) **عوامل اجتماعية :**

حيث يضفى انجاب الاطفال مكانة اجتماعية لكل من الزوج والزوجة ويترتب عليها حقوق وواجبات جديدة ٠

– وحيث ترتفع مكانة الام الاجتماعية ارتفاعا كبيرا ٠

– وحيثيعتبر الانجاب ضمانا لحفظ اسم الاسرة وامتدادا لها ٠

– وحيث ترتفع مكانة « الداية » ارتفاعا كبيرا ٠

(ب) **عوامل ثقافية :**

– حيث الحفاوة بمقدم الاطفال تكون لها مناســـبات ثقافية عديدة (ابتداء من الحمل حتى الولادة وبعد الولادة) ٠

– وحيث يدل الاطفال على رجـــولة الزوج وعلى أنـوثة الـزوجة وقدرتهما على الانجاب ٠

– وحيث تكون النظرة نحو الزوجة العاقر نظرة غير مستحبة ٠

(جـ) عوامل ثقافية دينية :

– حيث الاطفال زينة الحياة الدنيا .

– وحيث يوجد الحض على الانجاب (تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة « حديث نبوى ») .

– وحيث يحرم الدين الاسلامى تبنى الاطفال .

٣ – وكثرة انجاب الاطفال : ترجع الى بعض العوامل اهمها :

(أ) ان الاطفال فى نظر الاسرة المصرية ، وبخاصة فى الريف ، **ادوات انتاج .** ومن ثم فان كثرتهم مطلوبة .

(ب) ان الاطفال هم رجال ونساء المستقبل . وهم فى نظر الآباء والأمهات المصريين عبارة عن **استثمارات** يتوقعون الاستفادة من عائدها فى المستقبل .

(جـ) ان كبر حجم الاسرة الريفية يؤكد ارتفاع مكانتها اجتماعيا حيث قيمة « **العصبية** » أو « **العزوة** » لاتزال موجودة فى الريف بخاصة .

(د) ان كبر حجم الاسرة المصرية الريفية يستمد وجوده من قيمة الكم أو (**قيمة المظهرية**) السائدة فى المجتمع الريفى ، حيث نجد أن « كبر الجرن

ولا شماتة الاعداء » و « **امش على عدوك معرش ولا تمشــــيش مكرش »** و « لبس البوصة تبقى عروسة » . . الخ (**أمثلة شعبية**) .

(هـ) ان الانجاب المتكرر يؤكد فحولة الرجل الاب ، كما يؤكد شباب المراة الام .

(و) ان كثرة الاطفال ترجع الى مشيئة الله عز وجل ، والى حكمته . وان ارزاقهم عند الله مكفولة ، « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنــا** » . (٥١ التوبة : ٩م) « **ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وايــــاهم** » (٦ ك الانعام : ١٥١) ، و « **من كان رزقه على الله فلا يحزن** » (قول مأثور) ، والله يرزق « الدودة مــــا بين حجرين » و « ما تستـــل هم الاوربك اتم » و « بيت الفقير مليان اعزن » (أمثلة شعبية) .

(ز) ان كثرة الاطفال ضمان **لاستقرار الزوجة الأم** (أى عدم طلاقها أو الانفصال عنها أو الزواج من أخرى) فى اسرتها التناسلية .

(ح) ان شبح الموت مقلق للمصريين ومخيف ومكروه . فالمصريون اذا كانوا لايخشون الموتى فانهم يخشون الموت ويكرهونه . واذا كان « المــوت علينا حق » وان « اللى متغطى بالدنيا عريان » ، فان « الحى افضل من الميت » (أمثلة شعبية) .

والموت قد يتخطف الاطفال ، ولعل كثرة انجابهم أن تكون احــــدى الوسائل لغلبته .

٤ ــ أى أن أهم العوامل لكثرة انجاب الأطفال فى الاسرة التناسلية ، هى

(أ) عوامل اجتماعية :

ــ حيث يؤدى كبر حجم الاسرة الى ارتفاع مكانتها اجتماعيا .

ــ وحيث ان كثرة الاطفال ضمان لاستقرار الزوجة الأم (أى عدم طلاقها أو الانفصال عنها أو الزواج من اخرى) فى أسرتها التناسلية .

(ب) عوامل ثقافيـــة :

ــ حيث قيمة الكم أو (قيمة المظهرية) تسود فى المجتمع الريفى .

ــ وحيث ان الانجاب المتكرر يدل على فحولة الرجل الأب ، كما يدل على شباب المراة الأم .

ــ وحيث شبح الموت يهدد الاطفال ، وأن كثرتهم قد تكون احدى الوسائل لغلبته .

(جـ) عوامل ثقافية دينية :

ـــ حيث أن كثرة الاطفال ترجع الى مشيئة الله عز وجل ، والى حكمته .

ـــ وحيث ان الله جل وعلا هو الرازق .

(د) عوامل اقتصادية :

ـــ حيث نلاحظ أن الاطفال فى نظر الاسرة المصرية ، وبخاصة فى الريف ، ادوات انتاج .

ـــ وأن كثرة الاطفال مطلوبة . فهم استثمارات يتوقع الآباء والأمهات الاستفادة من عائدها فى المستقبل

٥ ـــ ومكانة الطفل : ذكرا كان أو أنثى ، عند المصريين المعاصرين ، وخاصة الذين يعيشون فى الريف، مكانة **مرتفعة** أحيانا أو مكانة **منخفضة** أحيانا أخرى.

ـــ وأهم عوامل ارتفاع مكانة الطفل المصرى .. هى :

(أ) ان الطفل حبيب اللـــه .

(ب) ان الطفل زينة الحيـــاة .

(جـ) ان الطفل **الصالح نعمة من نعم الله** . « ينقطع عمـل ابن آدم بعد أن يموت) الا من ثلاث : علم ينتفع به ، وصدقة جارية ، وولد صـالح يدعو له » . (حديث) .

(د) ان الطفل ذكـــر :

ـــ فالأطفـال الذكور اذا ما كبروا يكونون امتدادا للأسرة **التناسلية** ويحفظون اسمها .

ـــ والاطفال الذكور يحفظون مال الاسرة . **« الصبى يمنع العـدو »** (مثل شعبى) .

ـــ والاطفال الذكور **مصدر للمباهاة والتفاخر** .

٦ ـــ أى أن أهم عوامل ارتفاع مكانة الطفل المصرى .. هى :

(أ) عوامل اجتماعيـة :

ـــ حيث يكون الطفل (الذكر) اذا ما كبر امتدادا للأسرة التناسلية . ويحفظ اسمها .

ـــ وحيث يكون الطفل (الذكر) مصـدرا للمباهاة **والتفاخر** لأسرته التوجيهية .

(ب) عوامل ثقافية : حيث أن الطفل حبيب الله

(جـ) عوامل ثقافية دينية : حيث ان الطفل زينة الحياة .

ـــ وحيث يكون الطفل الصالح نعمة من نعم الله .

(د) عوامل اقتصادية : حيث يحفظ الاطفال الذكور مال الاسرة .

٧ ــ وأهم عوامل انخفاض مكانة الطفل المصرى ٠٠ هى :

(أ) اذا ولد مشوها أو ضعيف العقل ، اى أنه لا يستطيع أن يؤدى ادواره الاجتماعية المتوقعة .

(ب) اذا ولد ولم يكن مرغوبا فيه . كأن كان الوالدان يتوقعان ذكرا فجاءت انثى ، أو كانا يتوقعان أنثى فجاء ذكرا .

(جـ) اذا ولد الطفل وكان الوالدان على غير وفاق .

(د) اذا كانت الأسرة فى ضائقة مالية خانقة ، وكان **الطفل** غير مرغوب فيه على الاطلاق . « ان جالك الهم طوفان حط ولدك تحت رجليك » (مثل شعبى) .

(هـ) اذا كان طفلا غير صـــــالح .

(و) عندما **لا** يحترم كبار السن فى الاسرة آراءه ولا يعتدون بها فهو فى نظرهم مجرد « شخة » الأب أو الأم !! (تعبير شعبى) .

(ز) اذا تسلطت روح القدرية على الوالدين حيث يمرض الطفل أو يموت فهذا أمر الله ، وكله من عند الله . « الله جاب الله خد » (مثل شعبى) .

(ح) وفى تراثنا الثقـــافى يستخدم مفهوم « عيل » أو مفهوم « عيلة » استخداما سيئا . فقد يعتبر سبا وشتيمة اذا وجه أحدهما الى شخص بالغ مهما كانت مكانته الاجتماعية أو كانت مستوياته الثقافية والمادية .

٨ ــ أى أن اهم عوامل انخفاض مكانة الطفل المصرى ٠٠ هى :

(أ) عوامل اجتماعيـــــة :

ــ حيث يولد الطفل ولا يكون الأبوان على وفاق .

ــ وحيث لا يحترم كبار السن فى اسرة آراء الطفل **ولا يعتدون بها .**

ــ وحيث يولد الطفل مشوها أو ضعيف العقل ، أى أنه لا يستطيع ان يؤدى أدواره الاجتماعية المتوقعة .

(ب) عوامل ثقافيـــة :

ــ حيث يولد الطفل ولم يكن مرغوبا فيه . كأن كان الوالدان **يتوقعان** ذكرا فجاءت أنثى ، أو كانا يتوقعان أنثى فجاء ذكرا .

ــ وحيث يستخدم مفهوم « عيل » أو مفهوم « عيلة » **استخداما سيئا .**

(جـ) عوامل ثقافية دينية :

ــ حيث يكون الطفل غير صالح .

— وحيث تتسلط روح القدرية على الابوين اذا مرض الطفل أو مات .

(د) عوامل اقتصادية : حيث تكون الاسرة فى ضائقة مالية خانقة وكان الطفل غير مرغوب فيه على الاطلاق .

٩ — ونلاحظ فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى ان للأطفال الذكور مكانة اجتماعية أعلى من مكانة الأطفال الاناث . ومكانة الذكر التى يكتسبها سواء كان ابنا أو أخا أو زوجا أو ابا مكانة اجتماعية رفيعة على وجه العموم . ويرجع ذلك الى العوامل الآتية :

(أ) ان الأسرة المصرية هى اسرة أبوية . أى ان رجالها وشبابها وحتى فتيانها هم المسئولون الحقيقيون عنها . «الرجال قوامون على النساء» . (٣٤م النساء : ٤) .

(ب) ان الذكر المصرى يحمل اسم اسرته التوجيهية واذا بلغ أشده وتزوج يورث اسم هذه الأسرة الى ابنائه وبناته .

(جـ) ان الأسرة المصرية تتوقع من ابنائها الذكور حماية أعضائها من الأعداء ان وجد هؤلاء الأعداء .

(د) أن نسبة العاملين من الذكور فى المجتمع المصرى أكبر من نسبة العاملات من الاناث .

(هـ) ان نسبة المتعلمين من الذكور فى المجتمع المصرى أكبر من نسبة المتعلمات من الاناث .

(و) ان الذكر المصرى فى ضوء التراث الثقافى المصرى يستطيع أن يحمى نفسه على عكس الأنثى المصرية .

(ز) ان حقوق الذكر المصرى عديدة . فالذكر المسلم يرث اكثر من الأنثى « للذكر مثل حظ الانثيين » (١١ م النساء : ٤) ، وهو يمنع الأقارب غير المقربين من الميراث ، ومن ثم يحفظ مال الأسرة .

(ح) من حقوق الذكر المصرى المسلم (الرجل) أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » (٣ م النساء ٤) .

(ط) ومن حق الزوج المسلم على زوجته (الأنثى) الطاعة والقوامة على الأسرة ، وتدبير البيت وصيانته ، والطلاق عند الضرورة ، والتهذيب عند العصيان !

(ى) أن فرحة ولادة الذكر فى المجتمع المصرى شاملة ، يفرح بها الآباء والأمهات والاقارب المقربون وغير المقربين وحتى الغرباء . أى انه مفضل على

الأنثى (يلاحظ ان الرجل فى الريف المصرى اذا سار فى الطريق تتبعه **الاناث** من ورائه) .

وقد يكون عدم انجاب الذكور سببا فى طلاق الزوجة فى **بعض الاحيان** ، او الزواج من أخرى .

(ك) ان امتياز الذكر المصرى فى المجتمع المصرى يرجع الى أن **الوظائف الخطيرة** مثل الحاكم والمشرع ، ورجل الدين ، والقاضى ، والجندى المحارب ورجل الشرطة ، يشغلها الرجال ، عادة ، من أعضاء هذا المجتمع ، **فضلا عن** ان حقه فى سن معينة فى أن ينتخب وينتخب **حق الزامى** .

(ل) ان امتياز الذكر المصرى يدل عليه دلالة ساطعة ما نجده من **النفور** والغضب الشديد اذا قال ذكر مصرى **((أنــا مــرة)) !**

١٠ — اى ان أهم العوامل لارتفاع مكانة الذكر المصرى .. هى :

(أ) عوامل اجتماعية : حيث ان الاسرة المصرية أسرة أبوية .

— وحيث أن الذكور فى الأسرة يعتبرون المسئولين عنهــا .

— وحيث ان الذكر المصرى يحمل اسم أسرته **التوجيهية** ، **وعندما يبــلغ أشده ويتزوج يورث هذا الاسم الى أطفاله** .

— وحيث يكون **الذكور** من أبناء الاسرة المصرية درعا **وحماية لهــا مــن أعدائهـــا** .

— وحيث يؤدى الذكر المصرى **أدوارا اجتماعية لاتؤديها فى الغالب الانثى المصرية** مثل أدوار الحاكم ، ورجل الدين ، والقاضى ، والجندى المحــارب ، ورجل الشرطة .

— وحيث يكون حق الذكر المصرى فى سن معينة فى أن ينتخب وينتخب **حقــا الزاميـــا** .

(ب) عوامل ثقافية : حيث ان نسبة الذكور المصريين المتعلمين فى المجتمع المصرى اكبر من نسبة الاناث المتعلمات .

— وحيث تكون لولادة الذكر فى المجتمع المصرى فرحة لها صدى كبــير بين اعضاء الأسرة والاقارب المقربين وغير المقربين وحتى الغرباء .

— وحيث يكون عدم انجاب الاطفال الذكور سببا فى طلاق الزوجة فــى بعض الاحيان ، أو الزواج من أخرى .

— وحيث نلاحظ أن الرجل اذا سار فى الطريق تتبعه الاناث من ورائه .

— وحيث نجد نفــور الذكــر المصرى وغضـــبه الشديد اذا وصف بانه ((مــــــــرة)) .

(جـ) عوامل ثقافية دينية : حيث يكون نصيب الذكر المصرى فى الميراث فى ظل الدين الاسلامى ضعف نصيب الأنثى .

— وحيث يكون حقه فى الزواج بأكثر من زوجة الى اربع زوجات مــرة واحدة ، فى ظل الدين الاسلامى ، مكفولا .

— وحيث يكون للزوج المصرى حقــوق مكفولة مثل طــاعة الزوجــة ، والقوامة على الاسرة ، وتدبــير البيت وصــيانته ، والطلاق عند الضرورة ، والتهذيب عند العصيان !

(د) عوامل اقتصادية : حيث تكون نسبة عمالة الذكور المصريين اعــلى جدا من نسبة عمالة الاناث المصريات .

— وحيث نجد ان الذكر المصرى القادر يعمل فى كل الاعمال ويشغل كل الوظائف وبخاصة الخطيرة منها مثل وظائف الحــاكم ورجــل الدين والقاضى والجندى المحارب ورجل الشرطة .. الخ .

— وحيث يمنع الذكر المصرى الاقارب غير المقربين من الميراث . ومن ثم يحفظ مال الأسرة .

١١ — ومن حيث مكانة الأنثى التى تكتسبها سواء كانت زوجة أو ابنــه أو اختا أو جارة أو زميلة فاننا نجدها ، على وجه العموم ، مكانة منخفضة . على عكس مكانتها كأم فهى مكانة رفيعة للغاية . وكل ذلك يبدو على الرغم من أن التراث الثقافى المصرى ، على مر العصور ، وعلى المستوى النظرى ، قــد كفل للأنثى المصرية المحبة والرعاية ، كما كفل حقوقها فى التنشئة الاجتماعية السوية . فنجد ان الدين الاسلامى (وهو دين الاغلبية) ، مثلا ، قد جعــل للزوجة المصرية المسلمة على زوجها المصرى المسلم حقوقا عديدة ، منها حقها فى اختيار هذا الزوج ، ونلاحظ انها بزواجها لاتفقد اسمهــا ، ولا شخصيتها الذاتية ، ولا أهليتها فى التعاقد ، ولا حقها فى الملكية ، ولايضيع من استقلالها المالى شىء . وفضلا عن حقوقها على زوجها فى العشرة بالمعروف والعــــدل وحقوقها الجنسية والانفاق ، فان من حقها عليه أن يقدم لها مهرا !

ومع ذلك فاننا نلاحظ ان الانثى المصرية ، فى ضوء الواقع الحى لمجتمعنا المصرى المعاصر ، فيما عدا الانثى الام ، لاتكتسب المكانة الاجتماعية اللائقــة بها . ويرجع ذلك الى العوامل الآتية :

(أ) ان الاسرة المصرية اسرة ابوية وليست اسرة اموية .

(ب) ان نسبة العاملات الماهرات من الاناث المصريات ضئيلة جـداً ، وهن يعملن فى ظل سيطرة الذكر المصرى فى اغلب الاحيان . واذا اعتبرنا ان الاناث الريفيات يعملن ، فانهن يعملن فى ظروف يائسة يسيطر عليهـا الذكور المصريون كذلك . « البنت مسيرها للبيت » (تعبير شعبى) .

(جـ) والملاحظ ان الانثى المصرية القادرة محرومة من العمل فى اعمـال معينة يقوم بها ، عادة ، الذكر المصرى القادر . فنرى ان المجتمع يحرم على الأنثى المصرية — القادرة — العمل فى الغالب فى وظائف معينة كالحاكم ، ورجل الدين ، والقضى ، والجندى المحارب ، ورجل الشرطة مثلا .

(د) ان نسبة الامية بين الاناث المصريات نسبة مرتفعة للغاية قد تصل فى بعض القرى المصرية ، فى بعض الاحيان ، الى مائة فى المائة ، أو تقل عـن ذلك قليـلا .

(هـ) على الرغم من وجود حقوق للأنثى المصرية على المستوى الثقافى النظرى ، فاننا نلاحظ انهـا :

— ترث اقل من الذكـر .
— انها لاتمنع الاقارب من غير المقربين من الميراث .
— انها ترغم على الزواج فى بعض الاحيان .
— انها لاتمارس حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها . وهـذا نـادر .
— انها تطلق لانها لا تنجب الذكور او تطلق احيانا لأتفه الاسباب .
— انها تعيش فى ظل شبح « الضـرة » .
— ان حقها فى سن معينة فى أن تنتخب وتنتخب حق اختيارى .

(و) ويحرم على الانـاث المصريات فى سـن معينة وفى ظروف معينة الاختلاط بالذكور .

(ز) واذا كانت الأنثى المصرية تهيأ وتعد لتكون « سـت بيت » فهى تواجه دائما تقلبات سعر السوق ! فاذا كانت بكرا فهى أغلى سعرا ، واذا كانت امراة عزبة فهى أرخص سعرا . ويا ويل الانثى البالغة التى لم تتـزوج و « بارت » فان سعرها يكون فى الحضيض . وذلك على عكس الذكر المصرى الذى يرغب فى الزواج او الذى لم يتزوج . فـ « الراجل مايعيبوش غـير جيبـه » (مثل شعبى) .

(ح) وقد يرى الرجل أن يتزوج من امرأة لكى تخدمه ، وذلك لانهـــا امراة متدينة ، أو لانها ذات جمال أو مال او ذات دين ، أو ربما لانها مقطوعة من شجرة » . ومفهوم « الخدمة » هنا يتضمن كل الادوار التى يفترض ان تقوم بها الزوجـــة مثـــل دور « العمـــل فى البيت » ، ودور « أم الاولاد » ، ودور « العشيقة » . . . . الخ .

(ط) وتصبر الانثى المصرية وبخاصة الزوجة على المكاره (ومنها الزواج من أخـــرى دونما مبرر) ، وعلى الهوان الضيم (ومنها الشتم والضرب) من أجل « لقمة العيش » أحيانا ، أو من أجل أن « يحميها راجل » ، أو تحقيقـــا للمثل الشعبى « قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى بين أحبابى » ، أو تحقيقا للمثل الشعبى القائل « ظل راجل ولاظل حيطة » .

(ى) والملاحظ ان الرجل المصرى اذ يعامل المرأة المصرية معاملة تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، وتراه فى بعض الاحيـــان يتغنى بكيدها ، فانه فى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من اجلها عشـــقا وصبابة وهياما . يكتب فى ذلك الاشعار والازجال والمواويل . ويحكى القصص والروايات ، ويظهر ذلك فعلا وعملا . ولعل المعاملة السيئة للمرأة المصرية وتدليلها وعشقها ان تكون أمورا غير متناقضة . فالمرأة المصرية ، فى نظـــر الرجل المصرى ، حتى الآن لا تزال متاعا . ولعلها ان تكون متاعه الوحيد المرموق

انظـــــر :

« قاضى الغـــرام فوق جبـــــل عالى ينادينـــى
قال فين مفـــــارق احبـــابه قلت أنـــا ودينى
قـــال لى تعـــود للاحبـــاب قلت ودينــــــى
دول الحبايب العزاز ولا لهمش فى الجمال وصفة
انـــا نفسى ازور النبى واتعد حـــداه واصفى
ان كـــان قلبـــى ييبــــح لغـــــيركم وبصفى
امـــوت كافـــر ولا توفاش عـــلى دينـــــى »

— انظـــر ايضـــــا :

« كيـــد النســـــا كيـــد لو أبو زيد يميل منهم
لو عنتر بن شـــداد ليشـــوف العـــذاب منهم
لهم فعـــل بطـــــال زالت الجبـــــال منهـــم

الواحــــدة منهم فى كــــل بلوة تلقـــــاها
قاعدة تقلب فتن لاجل الخـراب والشـــر
وتكـــــره الطيبـــة وفى الرديــة تلقاهـــا
ومطاوعة ابليس على فعل النكد والشـــر
وكـــل يســــيرة مع المخاليق تلقاهـــــا
هم النســا على الدوام وجودهم اساس الشر
والعقـــل لو غــاب يكون الســـبب منهم » .

(ك) وعلى الرغم من ان الزوجة المصرية المسلمة تحمل اسم اسرتها فان ابناءها ، ذكورا كانوا أو اناثا ، ينتسبون رسميا الى أبيهم .

(ل) والملاحظ اننا نجد فى ضوء التراث الثقافى ان النساء فى الغـالب « ناقصات عقل ودين » .

(م) ونجد ان اسم الأنثى المصرية وبخاصة اذا كانت زوجـــة أو كانت اما ، لايجب ان يذيعه أحد . وذلك لأن اذاعته تعتبر خطيئة لاتغتفر لمذيعهـــا اذا كان ذكرا بالغا) وبخاصة اذا كان المستمع من الغرباء .

(ن) وعلى الرغم من ان « البنت حبيبة امها » كما يقول المثل الشعبى المصرى ، فاننا نلاحظ أن الابن الذكر افضل عند الأم وعند الأب معا .

(س) ويستخدم فى تراثنا الثقافى مفهوم « امراة » (مرة) اســتخداما سيئا . فقد يعتبر سبا وشتيمة اذا وجه الى ذكر مهما كانت مكانته الاجتماعية او كانت مستوياته الثقافية والمادية . وقد تعير به الأنثى المصرية اذا نافسها ذكــر مصرى .

« اللى ينتخب مرة يبقى مرة » (هتاف شعبى فى احدى قرى المنوفيـــة فى الانتخابات السابقة) .

١٢ ـــ اى ان اهم العوامل لانخفاض مكانة الأنثى المصرية ماعدا قيامها بدور الأم هى :

(أ) عوامل اجتماعية : حيث ان الأسرة المصرية هى أسرة أبوية وليست اموية . ومن ثم فالذكور هم المسئولون . وانتساب الابنــاء الى أبيهم وليس الى أمهم .

ـــ وحيث تعد الأنثى لتكون « ست بيت » . ومن ثم فادوارها الاجتماعية خارج أسرتها محدودة .

ـ وحيث يحرم على الأنثى المصرية بعض الاعمــال الخطــيرة ويقتصر العمل فيها على الذكور .

ـ وحيث يكون حق الأنثى المصرية فى سن معينة فى ان تنتخب وتنتخب حقا اختيــاريا .

ـ وحيث تتزوج المراة لخدمة الذكر الزوج . وتقوم بادوار اجتماعيــة عديدة داخل البيت .

ـ وحيث تنخفض مكانة الأنثى المصرية اذا تزوج زوجها من اخرى .

ـ وحيث تنخفض مكانة الأنثى المصرية اذا لم تتزوج و « تبور » .

(ب) عوامل ثقافية : حيث تكون نسبة الأمية بين الأناث المصريات نسبة مرتفعة للغاية .

ـ وحيث يتفاوت مهر الأنثى حسب كونها بكرا او عزبة .

ـ وحيث تخطب الأنثى المصرية لجمالها ولمالها ولدينها (حديث نبوى).

ـ وحيث ترغم الانثى المصرية فى الكثير من الاحيان على الزواج .

ـ وحيث تكون الأنثى الزوجة فى نظر الذكر الرجل مجرد متاع . ولعلها أن تكون متاعه الوحيد المرموق .

ـ وحيث تعيش الزوجة فى كنف زوجها فى ظل المعــاملة السيئة التى لا ترقى الى المعاملة الرشيدة . فهى تصبر على المكاره (الزواج من اخرى) وتصبر على الوان الضيم (منها الشتم والضرب) .

ـ وحيث تعيش الأنثى المتزوجة فى وجل وخوف من شبح « الضرة » .

ـ وحيث تطلق الأنثى الزوجة لأنها لا تنجب الذكور .

ـ وحيث لا يستحب اذاعة اسم الأنثى المصرية اذا كانت زوجة او اما .

ـ وحيث نجد أنه على الرغم من أن « البنت حبيبة أمها » فان الابن الذكر مفضل عند الأب والأم معا .

ـ وحيث ان الأنثى المصرية اذا سارت فى الطريق مع احد رجال الأسرة تسير من ورائه .

ـ وحيث يستخدم مفهوم « امراة » (مرة) استخداما سيئا .

(جـ) عوامل ثقافية دينية :

ـ حيث ترث الأنثى اقل من الذكر .

ـ وحيث لا تمارس الأنثى المتزوجة حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها . وهذا نادر .

— وحيث يحرم على الأناث المصريات فى سن معينة وفى ظروف معينـــة الاختلاط بالذكور .

— وحيث تخطب الأنثى المصرية لجمالها ولمالها ولدينها .

— وحيث ينظر الى النساء على أنهن « ناقصات عقل ودين » .

(د) عوامل اقتصادية : حيث نجد ان نسبة العاملات الماهرات من الاناث المصريات نسبة ضئيلة .

— وحيث تعمل الأناث المصر يات الماهرات منهن وغير الماهرات فى ظـــل سيطرة الذكر المصرى فى أغلب الأحيان .

— وحيث تكون أعمال الانثى المصرية خارج الأسرة محدودة .

— وحيث لا تمنـــع الأنثى الأقـــــارب من غير المقـــربين من المـــيراث (أى لا تحفظ مال الأسرة) .

١٣ — ولا يألو المجتمع المصرى الا ان يؤكد « الحقيقـــة القـــائلة » ان الانسان ليس حيوانا متمدنا بالطبع ولكنه يتمدن بالتطبع وذلك بالقيام بتنشئة أطفاله الذكور ومنهم الأناث · فالملاحظ أن عملية التنشئة هى وظيفة الأسرة التوجيهيـــة المصرية (أى أسرة الابوين التناســـلية) . والملاحظ أن الأسرة التوجيهية المصرية ليست فى ضوء الظروف الاجتماعية الثقافية فى مجتمعنـــا المعاصر ، وحدها ، تقوم بعمليات تنشئة أطفال المجتمع . فالمدرسة والجيرة ، والمنظمة الدينية (المسجد والكنيسة بخاصـــة) ، والنـــادى الاجتمـــاعى ، والمنظمة السياسية ، فضلا عن اجهزة الاعلام والثقافة (الجريدة والمجـــلة والكتاب والسينما والمسرح والاذاعة المسموعة والتليفزيون والفيديو مثلا) ، تسهم جميعا ، مع الأسرة التوجيهية ، فى عمليات التنشئة الاجتماعية لهـــؤلاء الأطفال . ومع ذلك فاننا نلاحظ أن الأسرة التوجيهيـــة المصرية تهتم بتنشـــئة الأطفال للعوامل الآتية :

(أ) ان الاطفال مخلوقات ضعيفة يستحقون الرعاية والقبول . « انى لم اغتصب لبنا من فم طفل » (من التراث الفرعونى) ، و « هو ذا البنون ميراث من عند الرب ثمرة البطن أجرة (مز ١٢٧ : ٣) ، « وليخش الذين لو تركـــوا من خلفهم ذريةضعافا خافوا عليهم » (٩ م النساء : ٤) .

(ب) وعلى الوالدين ان يحبـــوا أولادهم وان يربوهم ويؤدبوهم . « أن السمع مفيد للابن الذى يسمع · فاذا دخل الســـمع فى (أذن) من يسمع ، فيصبح السامع شخصا يســـمع . ان الســـمع طيب . والقول طيب . ولكن

للسامع ميزة لان السمع مفيد للسامع ، والسمع خير من كل شيء . » (من التراث الفرعوني) ، و « وانتم ايها الاباء لاتغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره » (١ ف ٦ : ٤) ، و « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٢٤ ك الاسراء : ١٧) ، و « اللي ما يربيه أبوه وأمه تربيه الايام والليالي » و « ان كبر ابنك خاويه » (مثلان شعبيان) .

(ج) والاهتمام بالقيام بعمليات التنشئة للاطفال هو تأكيد لاحدى وظائف الاسرة . حيث تكون الاسرة ، في **شخص الاب أو الام أو ولي الأمر أو الوصي** ، لها ولاية تربية الاطفال ورعايتهم ، والولاية على نفوسهم وعلى أموالهم .

(د) ان الاباء والامهات في ضوء التراث الثقافي المصري يسعون وراء الرزق (لقمة العيش) من اجلهم ومن أجل اطفالهم ويرون ان هذا السعي « عبادة » . ومع ذلك نلاحظ ان الام المصرية اذ تقول « اللي يدي ابني بلحة تنزل حلاوتها في بطني » تقول ايضا « قلبي على ابني انفطر وقلب ابني على حجر » . وكما يقول الانسان المصري « سيدي وسيد اجدادي اللي يشيل همي وهم أولادي » ، نراه يقول ايضا « ان جالك الهم طوفان حط ولدك تحت رجليك » (امثلة شعبية) .

(هـ) ان الاهتمام بالقيام بعمليات تنشئة الأطفال ، وبخاصة الذكور منهم عندما يكبرون ، ضمان لحفظ اسم اسرتهم التوجيهية ، وضمان لامتداد هذه الاسرة .

(و) ان الاهتمام بالقيام بعمليات تنشئة الاطفال ، اذا ما كبروا ، وكان عددهم كبيرا ، يؤكد تحقيق قيمة « **العصبية** » أو « **العزوة** » التي لاتزال سائدة في المجتمع الريفي بخاصة .

(ز) ان الاهتمام بالقيام بعمليات تنشئة الاطفال ، اذا ماكبروا ، يؤكد تحقيق استقرار الزوجة الام (اي عدم طلاقها أو الانفصال عنها أو الزواج من اخرى) في اسرتها التناسلية .

(ح) ان الاهتمام بالقيام بعمليات تنشئة الاطفال ، اذا ما كبروا ، يؤكد تحقيق الاستفادة منهم اقتصاديا في المستقبل كأدوات انتاج أو كعائد استثمارات .

١٤ — أي ان اهم العوامل للقيام بعمليات تنشئة الاطفال في الاسرة التوجيهية المصرية (اي اسرة الابوين التناسلية) .. هي :

(أ) عوامل اجتماعية : — حيث يكون الاهتمام بالقيام بعمليات تنشـــئة الاطفال تأكيدا لاحدى وظائف الاسرة .

— وحيث يكون هذا الاهتمام اذا ما كبر الاطفال ، وبخاصة الذكور منهم ، ضمانا لحفظ اسم أسرتهم التوجيهية ، وضمانا لامتدادها .

— وحيث يكون هذا الاهتمام ، اذا ما كبر الاطفال ، ضمانا لاســتقرار الزوجة الام (أى عدم طلاقها او الانفصال عنها أو الزواج من اخرى) فــى اسرتها التناسلية .

(ب) عوامل ثقافية : حيث تكون قيمة السعى وراء الرزق (لقمة العيش) من قبيل العبـــادة .

— وحيث يتأكد تحقيق قيمة « العصبية » أو « العــزوة » التى لاتزال سائدة فى المجتمع الريفى بخاصة .

— وحيث يدعو التراث المصرى القديم الى الاهتمام برعاية الاطفـــال وقبولهم وحبهم وتربيتهم وتأديبهم .

— وحيث نجد ان « اللى ما يربيه ابوه وامه تربيه الايـــام والليـــالى » و « ان كبر ابنك خاويه » . (مثلان شعبيان) .

(جـ) عوامل ثقافية دينية : حيث يدعو الدين المسيحى والدين الاسلامى الى الاهتمام برعاية الاطفال وتنشئتهم ، وان للاطفال حقوقا عند الوالدين منذ ولادتهم منها . . البر بهم وتعليمهم والمساواة بينهم فى العطية .

(د) عوامل اقتصادية : حيث يتأكد تحقيق الاستفادة منهم اقتصاديا اذا ما كبر الاطفال فى المستقبل :

— كأدوات انتـــاج .

— وكعائد للاستثمارات .

١٥ — وبالاضافة الى كل ما سبق أجدنى مضطرا الى أن أختم موضوع هذه النظرة بدور الاسرة فى ثقافة الطفل المصرى :

(أ) فالاسرة ، من وجهـــة النظر الاجتماعية ، هى احـــدى الجماعات الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع ، وهى تعتبر من أهم هـــذه الجماعات . فهى ، كما يقول أوجست كونت (August Cont) الوحدة الاجتماعية الاساسية التى تنشأ عن طريق ترابط التجمعات الجماعية التى يكون التعاون الواعى أساس وجودها ، مثل الطبقات الاجتماعية والمدن ، ويمكن اعتبــار

الاسرة وحدة نشاط اجتماعى لاشخاص يعيشون معا فى تفاعل مستمر فى بناء حضارى معين ، وهى مسئولة عن عدد من الوظائف الاجتماعية والبيولوجية .
وعند كل من مابل ايليوت (Mable Elliot) وفرنسيس ميريل (Francis Merril) أن الاسرة يمكن تعريفها بأنها وحدة بيولوجية اجتماعية مكونة من زوج وزوجة وابنائهما . ويمكن اعتبار الاسرة ايضا نظاما اجتماعيا او منظمة اجتماعية متعارفا عليها ، تقوم بسد حاجات انسانية معينة .

وفى ضوء ماذكرت من قبل أرجو ان يلاحظ القارىء ، دونما ملل من التكرار ، أن الاسرة كجماعة اجتماعية موجودة فى كل مجتمع . ويندر أن يفلت منها الطفل العادى فى اى جزء من أجزاء العالم . . ومن وجهة النظر الحضارية نجد أن العادات التى يمارسها أعضاء هذه الجماعة الاساسية تختلف من مجتمع لآخر . فانتشار وجود الاسرة فى المجتمعات يعتبر العامل الاساسى للعنصر الاجتماعى لاى موقف حضارى ، وان كل حضارة يجب بالضرورة ان تحتوى على نماذج من العادات توائم هذه الحال .

(ب) وقد تطور نطاق الأسرة على مر الايام ، واخذ يضيق شيئا فشيئا حتى وصل الى الحد الذى استقر عليه الآن فى معظم الامم فى العصر الحاضر . فاصبحت الأسرة لا تشمل الا زوجا وزوجة ومن يعولانهما من ابناء . اى ان الأسرة اصبحت أسرة نووية أو اسرة فردية . ويكثر هذا النوع فى المدينة . وقد يتسع نطاق الأسرة ويكبر فى بعض الأحيان ، فنجد فى الريف مثلا الأسرة المركبة او نجد الأسرة الممتدة .
وتكون الأسر فى المجتمعات المختلفة ، فى معظم الاحيان ، عن طريق الزواج وتوجد صور عامة لنظام الزواج ، هى بترتيب شيوعها :
- نظام الزواج الفردى .
نظام تعدد الزوجات .
- نظام تعدد الأزواج .
- نظام الزواج الجماعى .
ويشيع فى مجتمعنا النظامان الأول والثانى .

وكما تطور نطاق الأسرة على مر الأيام تطورت وظائفها الاجتماعية كذلك . واصبحت الأسرة (وخاصة الأسرة الفردية) اكثر تخصصا من ذى قبل . بل يمكن القول بأنها اصبحت اكثر تخصصا مما كانت عليه فى اى مجتمع سابق معروف . واصبح من اهم وظائف الأسرة (الفردية) تنظيم الاشباع الجنسى

بصورة يقرها المجتمع ، وحفظ النوع البشرى عن طريق انجاب الأطفال ، والقيام بعملية تنشئتهم الاجتماعية .

وتجب ملاحظة أن الأسرة فى بعض البيئات ، وخاصة فى البيئات الريفية ، لاتزال الى الوقت الحاضر محتفظة ببعض الوظائف التقليدية * . ومهما يكن من الأمر فقد أصبحت الوظيفة الهامة للأسرة (وخاصة أسر التوجيه) فى الوقت الحاضر هى القيام بعملية التنشئة الاجتماعية لأطفالها (**) . وأصبحت الاسرة فى هذا الضوء ، بحق ، « مهد الشخصية » . فمنذ السنين الأولى

وفى أثنائها تتكون عند الفرد عن طريق اسرة التوجيه النماذج الاساسية لردود الفعل الخاصة بالتفكير والشعور ، كما تتكون المعايير والقيم التى قد تؤثر على تاريخ حياته المقبلة (***) .

ولا يتأتى قيام الاسرة بهذه الوظيفة الهامة الا بتهيئة الوسائل السليمة المتعلقة بالحضانة والكفالة للاطفال وخاصة فى مراحل نموهم الاولى . وهذه هى مهام الاسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا ، أو على حد قول ميريام ف . ووترز (Meriam V. Waters) مهام الاسرة السوية . نقول ذلك ونحن نعلم ... أن اجهزة اجتماعية أخرى أصبحت فى ضوء ظروف المجتمعات الحديثة تشارك الاسرة فى هذه العملية ، أقصد عملية التنشئة الاجتماعية . مثل الجيرة والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ والمنظمة الدينية واجهزة الاعلام .

(*) من اهم هذه الوظائف فى راينا الوظائف الاقتصادية والدينية والقضائية والتعليمية .

(**) يلاحظ أن كل شخص فى معظم المجتمعات ينتمى فى خلال حياته ، عادة ، الى نوعين من الاسر ، وذلك من حيث مركزه الاجتماعى فى محيط الاسرة كوحدة : الاسرة الاولى ، هى ما يمكن أن نطلق عليها أسرة التوجيه وهى تتكون من أبويه واخوته واخوته (يستثنى بالطبع الطفل غير الشرعى) . والاسرة الثانية هى اسرة التناسل وهى تتكون من زوجته وابنائه (ويستثنى بالطبع من لم يتزوج) .

(***) قد تكون اسرة التوجيه لشخص ما أسرة بديلة تتكون من زوج وزوجة وأبناء ليسوا بالضرورة أبويه واخوته واخواته .

(د) ومجتمعنا الجديد لاينكر قط اهمية الاسرة السوية ، أو الاسرة المتكاملة الناضجة اجتماعيا . ولكن مثل هذه الاسرة المثالية الحقيقية فى ضوء وجود ظاهرة التغيير الاجتماعى التى تواجه مجتمعنا ، لايكثر وجودها فى هذه الايام حيث تكون أعباء الحياة الجديدة عديدة ومتكررة وما يترتب على ذلك من توترات نفسية مما يجعل من الصعب تحقيق راحة البال . فنجد أسرا عديدة ، وخاصة فى الرقعة الحضرية فى الوقت الحاضر ، غير مستقرة او ربما يشيع فيها نوع من الارتباك . والاسرة غير المستقرة او التى يشيع فيها الارتباك تعتبر عادة مكانا غير صالح لتربية الاطفال · وأنا لا أقصد التعميم ولا أرضاه · ولكن احاول ان اؤكد حقيقة من الحقائق التى يلمسها كل متخصص فى هذا الميدان . ومهما يكن من الامر فهذه الحقيقة فى سبيلها حتما الى الزوال . ففى ضوء قيم مجتمعنا ، نجد أن الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع *. ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى ، مجددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى • وفى ضوء قيم مجتمعنا ، نجد أن المراة لابد ان تتساوى بالرجل فى فرص التعليم والعمل والقيادة وممارسة نشاطات السياسة بأنواعها .... الخ ، ولابد أن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة . وأخيرا وليس آخرا نجد فى ضوء قيم مجتمعنا أن الطفولة هى صانعة المستقبل ، ومن واجب الاجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح .

واذ أدعو الى ضرورة تكوين الاسرة السوية سواء أكانت نووية (فردية) أم ممتدة أم مركبة ، فاننى فى حقيقة الامر ادعو الى الاسرة التى تؤدى واجبات حيوية لصغارها · فهى تعطى مأوى مريحا وغذاء سليما دون أن يعرضهم هذا العطاء للخطر أو يجلب لهم أى قلق · وهى التى تساعد أطفالها على أن ينموا نموا صحيا ، وتغرس فيهم حب الخير والكرامة الاجتماعية ، وهى التى تربى أطفالها كى يستطيعوا مواجهة قوانين السلوك

(*) تعبير « الخلية الاولى » فى راى الكاتب تعبير بيولوجى ، ويفضل عليه تعبير « الوحدة الاجتماعية الساسية » . وبالمثل تعبير الاسرة هى لبنة المجتمع تعبير لا يقره علم الاجتماع فى ضوء اختصاصاته ·

العامة فى المجتمع فى المستقبل ، وكى يستجيبوا للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة • وهى التى تدرب أطفالها على فن الحياة الجمعية فى نطاقها الضيق عندما تكون العلاقات الانسانية مازالت بسيطة وحانية •
واخيرا هى التى يكون هدفها الاسمى هو فطام اعضائها لامن الرضاعة فحسب ولكن من الاعتماد على الغير ومن الاعتماد على حنان الاسرة وبساطتها حتى يستطيع شباب الاسرة أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وباداء الخدمات خارجها فى محيط علاقات انسانية تكون عادة اكثر حزما واقل حنانا وبساطة •

(د) ومن المعلوم أن المصريين المعاصرين يهتمون بالاطفال بصفة عامة• وأن هذا الاهتمام هو اهتمام قديم ومستمر • وذلك على الرغم من التغيرات الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى واجهها المجتمع المصرى منذ الماضى السحيق وحتى الوقت الراهن • فالنظر الى الطفل المصرى والاهتمام به قبل الولادة وفى اثنائها وبعدها فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى الذى لايتضمن التراث المصرى القديم فحسب بل يتضمن ايضا تعاليم الديانة المسيحية وتعاليم الديانة الاسلامية •

وفى ضوء مهام الاسرة السوية التى سبق ذكرها نلاحظ أنها هى التى تبدأ بغرسها فى أطفال المجتمع • والملاحظ أن هذه المهام فى ضوء العلم الحديث هى عناصر الثقافة التى يتلقاها الطفل منذ لحظة ولادته • صحيح أن الطفل العادى يعطى قبل ان يأخذ فهو يعطى لأمه مكانتها الاجتماعية كأم بعد أن كانت مجرد زوجة ، وهو يعطى ايضا أباه مكانته الاجتماعية كأب بعد أن كان مجرد زوج ، ومع ذلك فأن هذه الحقيقة لاتجب ماتقوم به الأسرة السوية من مهام .

واذا كانت العناصر الثقافية المشار اليها قد تكون عناصر مادية وقد تكون ايضا عناصر غير مادية ، فان مفهوم « الثقافة » بمعناه الاجتماعى العلمى يعنى اساليب الحياة التى يواجهها الشخص منا فى كل لحظة لكى يحيا فى ظل قيم المجتمع ومبادئه ومثله العليا ، أى كل النماذج السلوكية البشرية التى تكتسب اجتماعيا والتى تنقل اجتماعيا كذلك الى اعضاء المجتمع البشرى عن طريق الرموز . ومن ثم يمكن أن يقال ان الثقافة تتضمن كل مايمكن أن تحققه الجماعات البشرية .

والملاحظ أن مفهوم الثقافة بمعناه العلمى الاجتماعى يختلف كثيرا

عن معناه العام الذى يتضمن الآداب والفنون بأنواعها سواء أكانت موسيقية أم تشكيلية أم مسرحية أم سينمائية أو ما شابه ذلك . ان المثقف فى ضوء هذا المعنى يكون عادة عضوا من أعضاء الصفوة أو أعضاء النخبة فى المجتمع الذين يسمون أعضاء « الانتلجنسيا » (intelligensia) أى أهل الفكر احيانا ، أو عضوا من الاعضاء الذين يسمون العقلانين (Intellectuals) أى الذين يميلون الى الدرس والتفكير والتأمل احيانا أخرى .

ومهما يكن من الامر فان مفهوم الثقافة يعنى بوجه عام التراث الاجتماعى لجماعة من الناس يرثونه جيلا بعد جيل كأفراد أو جماعات ، ومن ثم يجب الا نخلط معنى هذا المفهوم بمعنى « العنصر » فالاخير معناه التراث الجسمانى الذى يتوارثه الناس جيلا بعد جيل عن طريق العمليات البيولوجية الخاصة بحفظ نوع الانسان . والملاحظ أن الحاجات البيولوجية التى يحتاجها الانسان كحيوان (الذى لم يتم تطبيعه) تختفى بمرور الوقت فى نماذج ثقافية . فالحيوان يأكل كلما احس بالجوع اذا استطاع ذلك ، ولكن الانسان (الذى كمل تطبيعه) اذا جاع ينتظر حتى يأتى موعد الطعام . وعملية « العطاس » هى ابتداء عملية بيولوجية ، ولكن اذا عطس الانسان تراه فى مجتمع كمجتمعنا يقول « الحمد لله » ونراه ينتظر من بجواره ان يشمته بقوله « يرحمكم الله » . أى أن الانسان ليس حيوانا متمدنا بالطبع ولكنه يتمدن بالتطبع .

١٦ — واذ أؤكد مدى الخطورة التى تواجهها الاسرة المصرية فى ضوء تنشئة اطفالها ، فاننى اقترح ماياتى : —

(أ) ان أعظم ما فى مجتمعنا هو ثروته البشرية ، وان أعظم ما فى هذه الثروة هم الاطفال .

(ب) وأن من حق الأسرة المصرية ان تجد الرعاية الكفيلة لكى تؤدى وظائفها الثقافية الاجتماعية التى تيسر تكوين المواطن الصالح .

(جـ) وأن هذه الرعاية هى من أول مهام الدول النامية منها والمتقدمة . واطفال مصرنا الخالدة فى ضوء ظروف المجتمع المصرى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن السياسية فى مسيس الحاجة الى رعاية الدولة ومؤسساتها المتعددة وبخاصة المدرسة والمنظمة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ والمنظمة السياسية فضلا عن أجهزة الاعلام والثقافة .

(د) صحيح نحن فى مسيس الحاجة الى الاسر السوية فى مجتمعنـــا ، ومع ذلك فان الاسرة وحدها فى ضوء ظروف المجتمع الراهنة لايمكن أن يتـاح لها القيام بما يجب عليها من واجبات سواء اكانت هذه الواجبات تتعلق بحمى اطفالها واحترامهم وبث الامن والامان فى نفوسهم أم كانت هذه الواجبات غرس حب الثقافة وحب الكتاب الى درجة القداسة فى نفوسهم ٠

(هـ) ومن ثم فاننى ادعو دعوة صادقة الى الاهتمام بوضع سياسة اجتماعية محددة الاهداف والأغراض ، لكى تعمل فى نطاقها أجهزة التنشئة الاجتماعية وجماعاتها بقصد تكوين المواطن الصالح الذى يعرف حقـــوقه ويؤدى عن طواعية واجباته نحو المجتمع المصرى ٠

(و) والمقصود بالمواطن الصالح فى ضوء كل ما سبق ، فى بساطة هــو كل مواطن مصرى اذا ما واجه اى موقف اجتماعى أو أى مواقف اجتماعيـــة فى كل المجالات التى يعيش فيها ، يسلك سلوكا سويا ٠ فهو يسلك هــــذا السلوك اذا كان يحيا حياته الخاصة ، وهو يسلك هذا السلوك ايضا اذا كان يحيا حياته العامة ٠ اى أن المواطن الصالح فى مجتمعنا هو الشخص الذى يؤدى ادواره الاجتماعية كما يتوقعها منه هذا المجتمع مهما كانت هــذه الادوار الاجتماعية ، اقصد مهما كان مستواها الاجتماعى ، ومهما كانت مكانتهـــا الاجتماعية ، ومهما كانت مجالاتها الاجتماعية ٠

(ز) ولن تجدى السياسة الاجتماعية نفعا ما لم تحدد السمات التــى يجب أن يتحلى بها المواطن الصالح ، والتى ذكرت بعضها من قبل ، وتحديد هذه السمات يكون عادة فى ضوء محددات شخصية هذا المواطن الديناميـــة سواء اكانت سمات تكوينية أم ثقافية (بالمعنى الاجتماعى العلمى والمعنى العام معا) ومحدداته النفسية والعقلية ٠

(ح) ووضع هذه السياسة هو مسئولية الدولة ومؤسساتهـــا المعنيـة وانني أعلن اعلانا صادقا عن ان الوقت يمر سريعا وأن الحاجة الى هـــذه السياسة حاجة ماسة ٠

رابعا

نظرات إلى حياة الشباب فى مصر

- النظرة إلى قضايا الشباب فى مصر
- النظرة إلى القيم الاجتماعية وعلاقتها بظاهرة الوطنية
- النظرة إلى الأزمة الاقتصادية وموقف الشباب المصرى منها
- النظرة إلى ظاهرة العصبية وظاهرة التعصب فى مجتمعنا
- النظرة إلى مكانة الإدمان على المخدرات فى محيط الشباب المصرى
- النظرة إلى مشروع خطة عمل ثقافى اجتماعى رياضى لاسهام المؤسسات الاجتماعية فى تربية الشباب فى محافظة القاهرة مثال



١١ ــ النظرة الى قضايا الشباب فى مصر

ابدأ هذه النظرة بشرح مفهوم الشباب فى مصر . والملاحظ انــه ليس من اليسير القيام بهذا الشرح . وذلك لان تعريف مفهــوم الشـــباب ليس سهلا . ويرجع ذلك الى ان علماء السكان يحاولون عادة الاستناد فى تحديدهم للشباب الى محك خارجى كالسن او العمر الذى يقضيه عضو المجتمع اى مجتمع فى معركة التفاعل الاجتماعى . وترى هؤلاء العلماء يختلفون فيمـــا بينهم فى تحديد بداية ونهاية هذه السن · فهناك من يؤكد منهم أن اعضــاء الشباب هم الذين تحت سن العشرين (وتبلغ نسبة هؤلاء فى ضوء التعـداد الافتراضى لعام ١٩٨٥ نحو ٦ر٥١٪ من أعضاء المجتمع المصرى) · ويلاحظ القارىء أن هؤلاء العلماء قد حددوا **نقطة النهاية** دونما تحديد لنقطة البداية .

وبعض العلماء الآخرين يؤكدون ان الشباب هم اعضاء المجتمع الذين يقعون فى الفئة العمرية من سن الخامسة عشر الى سن الخامسة والعشرين عاما (وتبلغ نسبتهم فى ضوء التعداد السابق ذكره نحــو ١ر٣١٪) ، أوهم من يقعون بين سن الخامسة عشر الى سن الثلاثين عاما (وتبلغ نسبتهم فى ضوء نفس التعداد نحو ٧٥ر٣٨٪) .

ونجد أن علماء آخرين هم علماء الاجتمــاع ·· تحديدهم العلمى الذى يؤكدونه يكون بالاضافة الى التحديد العمرى السابق · وهم يرون أن فترة الشـــباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكى يحتل مكانة اجتماعية ويؤدى أدوارا فى هذا البناء ·

ويفرق علماء الاجتماع بين الدور أو الادوار فى مرحلة الاعداد (مثل الطلاب والصبيان الحرفيين وغيرهم) والدور أو الادوار فى مرحلة الاكتمال (مثل اعضاء المجتمع العاملين على اختلاف مستوياتهم) .

وتجد علماء النفس الاجتماعي يربطون عادة بداية ونهاية مرحلة الشباب بمدى اكتمال نموهم منذ ان كانوا اجنة فى بطون امهاتهم وبعد الميلاد وحتى يشبوا عن الطوق عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها اجهزة اجتماعية عديدة .

ورؤية علماء البيولوجيا تؤكد على ربط نهاية مرحلة الشباب باكتمال نمو البناء العضوى والفيزيقى (من حيث الطول والعرض ونمو كافة الاعضاء التى لها وظائف معينة فى بناء الجسم واكتمالها) .

ويلاحظ أن ما ذكرته من وجهات نظر تقسم فى حقيقة الأمر دورة حياة الانسان (عضو المجتمع أى مجتمع)بين الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة . فالمرحلة الاولى فى غالبها تكوين بيولوجى بينما الثانية (الشباب) فهى اكتمال بيولوجى نفسى اجتماعى ، أما المرحلة الثالثة فتعد امتدادا لهذا الاكتمال الذى يبدأ فى التحلل فى المرحلة الرابعة (الشيخوخة) .

ويلاحظ ايضا أن مرحلة الشباب هى مرحلة المعاناة لانها مرحلة الاكتمال ، والاكتمال تفاعل فيه اضافة وتولد وفيه غرس ورفض وفيه فعل ورد فعل . وكل أولئك يحكم تفاعل هذه المرحلة الخطيرة .

ويلاحظ كذلك ان اعضاء المجتمع من الشباب ، ذكورا كانوا أو اناثا ، لايعيشون فى المدينة وحدها ولا يعيشون فى بقاع الريف وحدها ، ولايعيشون فى المدن المتريفة وحدها ، ولا يعيشون فى البادية وحدها . وهم ايضا ليسوا الطلبة والطالبات فحسب ولا العمال والعاملات ولكنهم ايضا من يعملون فى زراعة الاراضى وما يتعلق بها فى الريف أو يرعون الاغنام فى البادية .

وفى ضوء الظروف الاقتصادية والثقافية الاجتماعية والسياسية التى يعيشها المجتمع المصرى فى الوقت الراهن ، فانه لايجادل احد فى ان للشباب المصرى قضاياه التى لا تنفصل عن قضايا المجتمع الذى يعيشون فيه . وقد شهدت مصر فى خلال الستينيات والسبعينيات تغييرات وتحولات جذرية فى نظمها الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، من الاصلاح الزراعى والقوانين الاشتراكية وهزيمة عام ١٩٦٧ وآثارها الى معركة العبور عام ١٩٧٣ وسياسة الانفتاح الاقتصادى (الاستهلاكى) وتعدد الاحزاب .. الخ .

وقد ادت هذه التغييرات والتحولات فى مجملها الى كثير من المشاكل فى التطبيق والتنفيذ ، شأنها شأن أى تغييرات سريعة وتحولات مفاجئة غير متدرجة .. وهذا امر متوقع .

وقد اثرت هذه المشاكل علـــى قيم المجتمع المصرى وعلى ســـلوك اعضائه . **وكانت فئة** الشباب أكثر **فئات هذا المجتمع تأثرا بهـذه التغيرات** والتحولات والمشاكل المترتبة عليها ، **اذ انها تبدأ من مرحلة الطفولة فى طريقها** الى مرحلة النضوج ، أى وهى على ابواب تحمل مسئولياتها والقيام بالأدوار الاجتماعية التى يتوقعها منها المجتمع .

وفى ضوء ماسبق وغيره فأننى ارى ان الاهتمام بموضوع الشـــباب المصرى . ودراسته من زوايا عديدة منها وجهة النظر الثقافية الاجتماعية ، موضوع الدراسة الراهنة ، اصبح أمرا ضروريا .

ويلاحظ القارىء الكريم **أننى اهتممت أول ما اهتممت بتعريف الشباب .** واذا أخذنا بالرأى القائل بأن **الشباب ثلثا الحاضر وكل المستقبل،** فانه يتضح ان عدد من هم فى سن الشباب من الجنسين (المرحلة العمرية من سن ٣٠ فأقل) لايقل عن ثلثى عدد السكان أى لايقل عن ثلاثين مليون نسمة ، منهم فى مراحل التعليم مالايقل عن عشرة ملايين شاب . ومن ثم فانه لكى نرعى **الشباب** يجب أن نهتم به من قبل ولادته فنهتم بالأم **وبصحتها قبل الحمل** وفى اثنائه ثم نهتم بالطفل بعد ولادته ونجعله يعيش فى بيئة صحية وصالحة ونربيه تربية سليمة ونعوده على **السلوك السوى ونعرفه الخير من الشر ،** ثم بعد ان يشب ويكبر يرعاه المنزل والمدرسة **والدولة وتتكاتف كلها ، فى ظـل** سياسة اجتماعية محددة الاهداف والمعالم ، فى توفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاته وحتى يكون شخصيته بصورة متكاملة من جميع النواحى الرياضية والصحية والنفسية والثقافية والاجتماعية ، ومن ثم يكـون مواطنا مصريا صالحا يؤدى ادواره الاجتماعية كما يتوقعها منه المجتمع المصرى فى ضـوء مبادئه وقيمه الاجتماعية ذات **الأهداف الحميدة ومثله العليا .**

واذا لاحظنا فئة اعضاء المجتمع المصرى من سن ١٥ — ٣٠ نجد أن نسبتها المئوية فىمحيط اعضاء هذا المجتمع فىالوقت الراهن لاتقل عن ٢٧٪(*). وقد اصبحنا نلمس تغيرا فى علاقة اعضاء هذه الفئة بوالديهم . فهم يتحررون الى حد كبير من رقابتهم وتنشئتهم ، لانهم تركوا مرحلة الطفولة ، واصبحوا

(*) فى ضوء نتائج التعداد الافتراضى عن عام ١٩٨٥ .

شبابا يتمتعون بنضج عقلى وتفتح اجتماعى واتساع فى الحركة ، وان كانـوا لايزالون ، من الناحية الاقتصادية ، فى الكثير من الأحيان ، يعتمدون على الأسرة اعتمادا يكاد ان يكون تاما ، وبخاصة فى العصر الحاضر الذى نودى فيه بضرورة أن يكون التعليم متاحا للقادرين عقليا من ابناء كل الطبقات فى المجتمع . ولايجب ان نوجه اللوم على الشباب من هذه الفئة وحـدهم اذا عرفنا ان واجبات الأسرة نحو الشباب فى المجتمع المصرى لايمكن فى ضـوء ظروف هذه الأسرة من حيث انها اصبحت مجرد جهاز من الأجهزة التى تقـوم بالتنشئة الاجتماعية فيه والتى منها جماعات الجيرة والمدرسة والمنظمـة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ فضلا عن اجهزة الاعلام والثقافة .

ومع اننى اعترف بأن على الأسرة تقع واجبات تنشئة اعضاء المجتمـع من الشباب وبخاصة من كانوا فى الفئة العمرية من الميلاد حتى سن ١٥ عاما ، واعدادهم للحياة المستقبلية من النواحى الاجتماعية والدينية والخلقية والعقلية والوجدانية والجسمية ، وتربية المهارة بمختلف أنواعها ، فاننى اعترف أيضا بأن على اجهزة التنشئة الاجتماعية الاخرى المشار اليها ان تشارك الأسرة فى تأدية هذه الواجبات . ومع ذلك فاننا نلاحظ ان جماعات الجيرة فى القرية أو فى الحى أو فى المدينة،وهذا مجرد مثل ، قد أثرت،فى ضوء ماكانت تقوم به من الادوار التقليدية ، ليس فقط فى دور كل منها فى تطبيع الشباب على أيـدى الكبار من جهة ، بل ايضا فى تطويعهم لضغط الضوابط الاجتماعية التقليدية من جهة اخرى . فلقد أصبحت القرية مستهدفة لعوامل التغير ، نظرا لاتصالها القوى فى الوقت الحاضر ، ليس فقط بكل أقاليم القطر المصرى ، بل ايضا بالدول العربية والأجنبية . فكل قرية تطرد ، منذ بضع سنوات ، اعدادا متزايدة من ابنائها الى مراكز الجذب فى مصر والى البلاد العربية والأجنبيـة للعمل فى الوظائف والأعمال المختلفة المتاحة التى تستوعب اعدادا كبيرة منهم من جراء ماتمر به تلك البلاد من تنمية سريعة . وأصبح الشباب حلقة اتصال مباشر بين قراهم وبين العالم الخارجى ، كما انهم بما جلبوه معهم من سـلع استهلاكية اهمها التليفزيون والفيديو ، قد احدثوا تغيرا عميـق الأثر فى نمط الحياة اليومية فى القرية المصرية .

اما فى الأحياء فى الحضر ، فقد صار الشباب فيها الأثر الواضح ، نظرا للفراغ الكبير الذى يعيشون فيه ، وبخاصة فى ايام العطلة الطويلة فى اشـهر الصيف ، ومن ثم فاننى أؤكد على أهمية ان تكون الرياضة للجميع بدءا ببرامج ومشروعات الرياضة لمرحلة الطفولة ، ودراسة اعتبار التربية الرياضيـة

مادة أساسية من مناهج الدراسة ، وتوفير الامكانات لدعم الوان النشـــاط الرياضى والثقافى بالمدارس ومراكز الشباب والاندية وتشجيع أعضــــائها وأبنائهم على ممارستها ، والاهتمام بالبرامج والأنشطة الرياضية والثقافيـــة داخل الوحدات الانتاجية من مصانع وشركات وخارجها عن طـــريق اقـــامة المعسكرات على اختلاف انماطها أى سواء اكانت علمية ام ثقافية أم رياضية أم ترفيهية أم هذه المجالات جميعا .

واننى أرى وأرجو من القارىء الكريم أن يرى ما أرى ضرورة الاهتمام بنظام التعليم السائد ، سواء أكان فى المدرســـة أم فى الجامعة ، ولاحظت انـــه يعكس المستوى الفكرى والتكنولوجى والعلمى للمجتمع المصرى المعـــاصر . ففى مجال التعليم يعانى شباب المدن من عدم كفاية دور التعـــليم لاستقبال الاعداد الكبيرة من التلاميذ فى الثانوى . ففى القاهرة الكبرى مثلا لاتستوعب مدارس المرحلة الثانوية سوى حوالى ٤٠٪ ممن هم فى سن هذه المرحلة . ومن ثم ترتفع كثافة الفصول الدراسية وتقل امكانات المدرسة فى خدمة الشـــباب ٭. كما لاحظت ان الشباب المصرى يعانى من توتر حاد ، ومعهم أسرهم ، فى هذه المرحلة الحساسة من حياتهم ، وخاصة ان النظام التعليمى فى مصر قد جعـــل من نهاية المرحلة الثانوية مشكلة مصيرية أما أن يجتازها الشباب بدرجات تسمح له بالالتحاق بالكلية التى يرغبها ، وأما أن يرسب فتنهار كل آماله ، أو يحصل على درجات لا تمكنه من الالتحاق بالكلية التى يرغبها فيضـــطر الى الالتحاق بأية كلية رغما عنه . وفى ظل هذه الظروف نشأت مشكلة « الدروس الخصوصية » وتفشت وأصبح على كل أسرة باختلاف امكاناتها الاجتماعية والاقتصادية أن تحاول تدبير وتوفير هذه الدروس لابنائها لضمان نجاحهم فى هذه المرحلة المصيرية ٭

ولموضوع « القدوة الحسنة » اهتمام خاص عندى . وفى ضـــوء احدى الدراسات عن هذا الموضوع تبين ان الشباب المصرى قد افتقد هذه القـــدوة

(٭) لعل المؤتمر الخاص بالتعليم الذى عقد فى خلال شهر يوليو عام ١٩٨٧ أن يواجه كل أو بعض المشاكل التى يعانى منها أبناء المجتمع المصرى المعاصر ، وأن يكون هدف أهداف هذا المؤتمر ليس فقط التعليم ولكن يكون أيضا بالضرورة تيسير التربية . فالمعلوم ان التعليم شىء وان التربية شىء آخر .

ليس فقط فى محيط الأسرة بل فى محيط المدرســـة ومواقع العمل العديدة فى المجتمع . واننى أرى ملحا انه ينبغى ان تكون الدولة القدوة الصالحة التى يتعلم منها عامة الشعب . والمقصود بالدولة هنا الجهــاز الادارى ورجــاله وأبنيتـــه فهؤلاء هم الذين يراهم النـــاس ، وتلك هى الأماكن التى يرتادونها لمصالحهم . واذا كانت القدوة الصالحة قد انحسر وجودها فى المجتمع المعاصر فانه من الواجب على أولى الأمر (رجــال السياســة وغيرهم) ان يعيــدوا وجودها اذا كنا نريد شبابا يستطيعون قيادة الغد . صحيح أن عــودة هذه القدوة لن تأتى بين يوم وليلة وذلك لأ ن الظـــروف الثقافية الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية ظروف غير مواتيـــة فى الوقت الراهن . فالملاحظ ان صراع السياسة يعمل بصورة مستمرة على تشويه كل من يتصدرون للقيادة ، وان الأحوال الاقتصادية تهبط بصورة مستمرة بصورة الأب والأم حتى أصبحا فى الغالب بعيدين عن أن يقدما لابنائهما قدوة صالحة . . مع كل ذلك فاننى آمل الأمل كله فى ان دراسة هذه الظروف غير المواتية دراســـة موضوعية بقصــد تغييرها الى مايجب أن يكون أو الى ما يمكن ان يكون تيسر ، مما فى ذلك من شك، خروج القدوة الحسنة فى شخص القادة فى كل موقع من مواقع الحياة ابتداء من الأسرة ، من مكمنها . فان القدوة الحسنة مثلها مثل القيم الاجتماعيـــة ذات الأهداف الحميدة موجودة فى المجتمع المصرى ، ولكنها بسبب بعض الظروف غير المواتية المشار اليها ، وربما غيرها ، اصبحت كامنة ولا تجد المناخ الثقافى الاجتماعى المناسب لكى تظهر وتؤدى وظيفتها الحميدة التى اصـــبح المجتمع المصرى ، لكى يتجدد ، فى مسيس الحاجة اليهـــا .

وقد لاحظت فى ضوء احدى الدراسات ان المجتمع المصرى مجتمع قديم ومستمر . فهو منذ الماضى السحيق نجده بيئة واضحة المعـــالم قليلة التقلب هينة الحدة ، مأمونة العواقب ، غير ذات تأثير معاكس أو ضاغط على وجدان أهلها ، بيئة ليس فيها من صراع العوامل الطبيعية ومظاهر الرهبة والصخب ما يوجه المستظلين بها الى اعتياد الصخب والعنف ، أو يطبعهم بكثير من التوتر والتمرد ، فى حياتهم الخاصة أو فى تصرفاتهم العامة . وقد زود المجتمع المصرى القديم اعضاءه بالعديد من العناصر الثقافية المستمرة على الرغم من تعـــدد مصادر هذه الثقافة على مر الزمان ومن هذه العناصر نجد القيم الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة مثل قيمة حب المعايشة ، وقيمة الرحمة ، وقيمة الميل الى السماحة ، والوفاء ، وقيمة الاطمئنان الى حسن العقبى ولو طال أمد المحن، فضلا عن قيم أخرى مثل الايمان والعقيدة والعدالة والتعاون والوطنية والصبر

الايجابى والحصافة والاعتدال والجلد . وقد عاشت هذه القيم الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة واستمرت فى المناخ الثقافى الاجتماعى للمجتمع المصرى، ولكننا نجد فى ضوء الظروف غير المواتية ان هذه القيم تتوارى وتختفى وتستبدل بها قيم اجتماعية أخرى ذات الأهداف الغير الحميدة ٠فالملاحظ أنه منذ أن بدأت سياسة الانفتاح فى المجتمع المصرى المعاصر ، مثلا ، ان ظاهرة التغير الاجتماعى لم تتح له الفرصة ليكون على أساس من التخطيط العلمى الرشيد٠ ومن ثم برز العديد من المشاكل الاجتماعية التى واجهها اعضاء المجتمع المصرى المعاصر ٠ وبخاصة أعضاءه من الشباب الذين يكونون حوالى ثلثى أعضائه . ولعل اهم هذه المشاكل أن يكون مشكلة ((اللامعيارية)) ويقصد بهذا المفهوم فى هذا المجال « المواقف الاجتماعية التى تكون فيها المعايير نفسها فى صراع بعضها مع بعض ، ويقع الفرد بسببها فى مشكلات فى أثناء محاولاته التوافق مع متطلبات متناقضة » . والملاحظ أنه لما كانت سياسة الانفتاح لفترة طويلة ـ هى سياسة الانفتاح الاستهلاكى وليس للانفتاح الانتاجى ، ولما كان نصيب الخبراء المصريين الاكفاء فى الاشتراك فى ابداء آرائهم او فى عمليات تطبيق هذه السياسة ضئيلا ، فقد واجه أعضاء المجتمع المصرى بعامة والشباب منهم بخاصة ظهور العديد من القيم الاجتماعية ذات الأهداف غير الحميدة من مكمنها ومنها قيم المظهرية والحسد والنفاق وعدم الانتماء الوطنى وتفشى آثار القدوة غير الصالحة وغيرها من القيم الاجتماعية ذات الأهداف غير الحميدة . واصبح اعضاء المجتمع المصرى والشباب المصرى على راسهم يواجهون ظاهرة الازدواجية الثقافية . اى انه اصبح ليس كل ما يقال فى هذا المجتمع يمارس ، او بمعنى اكثر صراحة ليس كل ما يقوله قادته الثقافيون ، ومن هؤلاء القادة السياسيون ، يمارسونه . اى انهم يعظون الآخرين ولا يمارسون ما يعظون به . ومن ثم كان التحدى الحقيقى لمواجهة مشاكل مجتمعنا الثقافية الاجتماعية بعامة ومنها ما يتعلق بالشباب المصرى بخاصة ، هو ما نجده من اختلاف ما هو ايجابى فى التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظرى عما يمارسه أعضاء هذا المجتمع . انها الازدواجية الثقافية التى يجب ان ندرسها موضوعيا لكى نفهم عواملها لكى يتيسر لنا مواجهة المشاكل الثقافية الاجتماعية وغيرها التى يعانى منها المجتمع المصرى المعاصر .

وفى ضوء كل ما سبق يمكن استخلاص بعض النتائج منها ما يلى :

١ ــ ان قضايا الشباب المصرى لا يمكن أن تنفصل عن قضايا المجتمع المصرى الذى يعيشون فيه .

٢ — اننى وانا على وعى بالتعاريف العديدة لمفهوم الشباب سواء كانت هذه التعاريف التى يتبناها علماء الاجتماع أو علمـــاء النفس وعلمـــاء النفس الاجتماعى او علماء البيولوجيا، قدآثرت انتبنى تعريف علماء الديموجرافيا من حيث الاستناد فى تحديدهم لمفهوم الشباب الى محك خارجى أى الى السن أو العمر الذى يقضيه فى أتون التفاعل الاجتماعى . ولم يكن هذا التبنى بقصد التيسير على القارىء فحسب بل أيضا بقصد تفــادى الوقـــوع فى متاهات الدراسات التى فى ضوء ظروفنا فى الوقت الراهن نكون فى غنى عنهـــا

٣ — ان الأسرة المصرية مع أهمية واجباتها المتعلقة بعمليـــة التنشـــئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع المصرى وبخاصة من كان منهم فى الفئة العمرية من الميلاد حتى سن ١٥ عاما ، ان هى الا أحد الأجهزة الموجودة فى هذا المجتمع التى تقوم بهذه التنشئة والتى لا مناص من اشتراكها فى تأدية هذه الواجبات اجتماعية كانت أو دينية أو خلقية أو عقلية أو جسمية فضلا عن تربية المهارة بمختلف أنواعها .

٤ — على الرغم من وجود الأجهزة الاجتماعية المنوط بها اداء التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع المصرى وبخاصة الشباب منهم ، فانه من الملاحظ انها فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية غير المواتية التى يواجهها هذا المجتمع فى الوقت الراهن لاتستطيع ان تؤدى هذا الدور الخطير . فهى فى حاجة ماسة الى التنسيق فى ظل سياسة ثقافية اجتماعية محددة الأهداف والمعالم .

٥ — واذا كنت قد ركزت على ذكر بعض الأمثلة عن عوامل انحـــراف الأهداف التقليدية لجماعات الجيرة فى قرى الريف وفى أحياء الحضر ، ولنظام التعليم السائد سواء اكان فى المدرسة أم فى الجامعة ، وللقدوة سواء أكانت فى محيط الاسرة ام فى محيط المدرسة أم فى مواقع العمل العديدة فى المجتمع ، فاننى جد متفائل بالمستقبل .

٦ — لقد اكدت على أن القدوة الحسنة مثلها مثل القيم الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة موجودة فى المجتمع المصرى منذ الماضى السحيق ولكن بسبب بعض الظروف غير المواتية اصبحت كامنة ولا تجد المناخ الثقافى الاجتماعى المناسب لكى تظهر وتؤدى وظيفتهـــا الحميدة التى اصـــبح المجتمع المصرى ، لكى يتجدد ، فى مسيس الحاجة اليها .

٧ — وقد اشرت عرضا الى وجود ظاهرة الازدواجية الثقافيـــة فى المجتمع المصرى . بمعنى انه اصـــبح ليس كل ما يقـــال فى هذا المجتمع

يمارس . اى انه ليس كل ما يقوله قادته الثقافيون يمارسونه . ومن ثم كان **التحدى الحقيقى لمواجهة مشاكل مجتمعنا الثقافية الاجتماعية بعامة ومنها ما يتعلق بالشباب المصرى بخاصة هو ما نجده من اختلاف ما هو ايجابى** فى التراث الثقافى الاجتماعى المصرى النظرى عما يمارسه اعضاء هـــذا المجتمـــع .

واننى اذ اختم هذه النظرة فى ضوء النتائج السابقة التى قدمتها مـــن الوجهة الثقافية الاجتماعية أود أن اقترح بعض التوصيات .. هى :

— التأكيد على أن تكون مصر الوطن هى وطن كل عضو من اعضائها .

— الحاجة الماسة الى تعريف مفهوم **الشباب المصرى الصالح** ، بمعنى الشباب الذى يستطيع عن وعى اداء ادواره الاجتماعية التى يتوقعهـــا المجتمع المصرى منه فى الوقت الراهن . ذلك أن أعضاء الشباب الصالحين هم الذين تقع على عاتقهم تنمية هذا المجتمع . **فالتنمية بهم ولهم ولمن ياتى من بعدهم** . ولن يقوم بعمليات التنمية التى هى مطلب المجتمع المصـــرى فى ضوء ظروفه الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يواجهها فى الوقت الحالى الا اعضاء المجتمع من الشباب الصالحين .

— الحاجة الى غرس الأنتماء الوطنى فى قلوب وعقول كل المصريين وبخاصة من كان منهم فى فئة العمر من سن ٣٠ فاقل .

— الحاجة الماسة الى وضع سياسة اجتماعية ذات الأهداف الواضحة التى يتيسر فى ظلها أن تقوم أجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المصرى سواء أكانت الاسرة أم الجيرة أم المدرسة أم المنظمة الدينية أم منظمة شـغل أوقات الفراغ أم المنظمة السياسية أم أجهزة الاعلام والثقافة بأداء مهامها ليس فقط بتعريف مفهوم الشـــباب المصرى الصـــالح وغرس الحاجة الى الأنتماء الوطنى ومحاولة اعطاء الفرصة للقيادة الصـــالحة لكى تظهـــر وللقيم الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة لكى تخرج من مكمنها ، **بل كذلك باتاحة الفرصة كاملة للقادة الثقافيين المصريين القادرين** للقيـام بواجباتهم نحو مواجهة المشاكل الثقافية الاجتماعية التى تعانى منها البـــلاد فى الوقت الراهـــن .

١٢ — النظـــرة الى القيم الاجتماعيـــة وعلاقتها بظاهرة الوطنية :

١ — القيم الاجتماعية هى ، فى بساطة ، الأشياء التى تكون ذات قيمة معينة عند جماعـــة من النـــاس ، مجتمعين أو موزعـــين . وتنبت القيم

الاجتماعية ، عادة ، عن طريق الراى الجمعى لهذه الجماعة ، اى ان هذه القيم لا يمكن أن تفرض من الخارج على الجماعة فرضا ، ولكنها تتولد من الظروف المعاشية التى تحياها وتكون مقبولة ومعترفا بها عندها ٠

ويلاحظ أن الأشـــياء المادية تمثل أنواعا متباينة من القيم ، ذلك لأن هذه الاشياء هى فى الواقع موضوع اهتمامات انسانية متباينة قد تكون اهتمامات مادية أو اقتصادية أو معنوية . فقطعة الخشب اذا صنعها نجار وصارت مكتبا تمثل قيمة مادية ، أى تصبح ذات قيمة نفعية ٠ والمكتب ذاته كنتاج للعمل الانسانى يحتوى على قيمة اقتصادية . واذا عالج قطعـــة الخشب ذاتها فنـــان أصــــبحت قطعة فنية ذات قيمة جمالية ٠ ونجد قطعة الخشب ، فى كل العلاقات السابقة ، ليست فقط شــــيئا ماديا بل ظاهرة اجتماعية كذلك ٠ أى أنها شيء ذو منفعة ، وسلعة ، ونتاج عمل فنى جميعا ٠ أى هى موضوع اهتمامات انسانية ٠

ويلاحظ ايضا ان ظواهر الوعى الاجتماعية وتتمثل فى الافكـــــار لها كذلك قيم ، وعن طريقها يعبر الناس عن اهتماماتهم فى اســــــلوب ايديولوجى معين ٠ فأفكار الكفاية والعدل والوسائل التى تحققها تتضمن فى الواقع اهتمامات فئات من اعضاء الشعب كما تتضمن اعمالهم ورغباتهم وارادتهم ، فضلا عن الأهداف العملية للمؤسسات السياسية أو الاجتماعية التى تضمهم ٠ ومن ثم نجد أن هذه الافكار كهدف لهذه الفئات من اعضـــــاء الشعب أو كموضوع آمالهم ٠ أو كحلم يهدى اعمالهم ، هى ٠٠ أى هــــذه الأفكار فى الواقع مثل عليا أو قيم من القيم المعنوية ٠

والملاحظ انه بالاضافة الى القيم المادية والاقتصادية والجمالية نجد ايضــــــا القيم الاخلاقية والقانونية والسياسية والثقافية والتاريخية . والملاحظ ايضا أن الأفعال التى تصدر عن اعضــــاء المجتمع او التى تكون الظواهر الأجتماعية فيه ، قد تمثل قيم الخير او قيم الشر ، أى قد تمثـــــل قيما ايجابية أو قيما سلبية ، أى قــــــد تمثل القيم الاجتماعيـــــــــة التى تكون اهدافها ايجابية أو سلبية ٠ ومن ثم نجد ان الافعال المشـــار اليها قد تكون أفعالا مقبولة اجتماعيا او غير مقبولة اجتماعيا ٠ ونجد المجتمع أى مجتمع لكى يوجه انماط ســلوك اعضائه أو ينظم هذه الانماط ، يخلق عادة جهازا من المفاهيم الأخلاقية والمثل العليا والمبادىء واســـاليب تقييم هذه الافعال ، وهذه كلها من قبيل القيم الأخلاقية ٠

٢ ـ ومهما يكن من الأمر فكل شخص عادى مهما كانت مكانته الاجتماعية فى الواقع له جهـــاز معين من القيم الاجتماعية (التى قد تكون أهدافهـــا ايجابية أو قد تكون أهدافها سلبية) يمثل عنده أقدس الأشياء وربما يمثل عنده أنبل الأمور · ومع ذلك فالقيم الأجتماعية متطورة دائما ومتغيرة أبدا · ولكن يلاحظ أن تطور القيم الاجتماعية عند الشخص وتغيرها يحتاجان عند هذا الشخص الى اســـتعداد لذلك · وحتى اذا وجد هذا الاستعداد فان الحاجة الى الامكانات التى تســـاعد على هذا التطور وهذا التغير ضرورة حيوية · أى أن وجود الاستعداد مع عدم الامكانات لا جدوى منه ، ويمكن أن نقول أن العكس صحيح . ومع ذلك فاننا نلاحظ ، فى ضوء قدم المجتمع المصرى واستمراره على الرغم من مواجهته الوان المحن والبلايـــا التى عاشها ، أن القيم الأجتماعية ذات الأهداف الايجابيـــة قد تكمن فى ظـل الظروف الثقافية الأجتماعية والاقتصادية والسياســـية غير المواتية وتبرز القيم الاجتماعية ذات الأهداف السلبية وتظهر الى حيز الوجود ، ويرجع ذلك فى رأيى الى أن المجتمع المصرى أول حضارة انسانية بين بنى البشر ، وقد صدر العديد من المؤسسات الاجتماعية والسياسية فضلا عن القيـم الاجتماعية ذات الاهداف الايجابية الى العالم قاطبة .

واذ اذكر أن حضارة مصر هى أول حضارة انسانية اعطت العـالم الكثير ، فانا لا اذكر ذلك وأؤكده عبثا · فعبارة « اعرف نفســـك » التى تنسب للفيلسوف اليونانى « سقراط » (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق·م) كانت معروفة عند المصريين القدماء ويعلمها علماؤهم ومكتوبة على جدران معـابدهم ، وان « الفضـــائل الأصــلية » المنسوبة للفيلســـوف « افلاطون » (٤٢٨ ـ ٣٤٨ ق · م) وهى :

(أ) الحصـــافة
و (ب) العــــدل .
و (حـ) الاعتدال (ضبط النفس) ·
و (د) الجلـــد .

قد نسخها هذا الفيلسوف وهو يدرس « العلم المقدس » على أيـــدى الكهنة المصريين لمدة ثلاث عشرة سنة ·

٣ ـ والملاحظ أن جهاز القيم الأجتماعية (التى قد تكون أهدافهـــا ايجابية أو قد تكون أهدافها سلبية) الذى يمثل عند الشـــخص العادى

منا اقدس الأشياء وربما يمثل عنده انبل الأمور ، لا يأتى من فـــراغ ٠ أن غرس هذا الجهاز يبدأ منذ لحظـــة ولادة الطفل ٠ والمعـروف أن الشعب المصرى على مر العصور والأزمان يرحب بالأطفال ٠ ونحن نلاحظ أنه عند ولادة الطفل العادى فى المجتمع المصرى المعاصر ، يفرح الجميع ٠ يفـــرح الأهل والأقارب ، كما يفرح الغرباء ، على السواء ٠ أن الأم الوالدة تصبح شخصا آخر ، لقد قامت بالمعجزة ، صنعت مخلوقا منها وهى مخلوق اصلا ، وقد منحها الطفل المولود مكانة الام كما منح زوجها مكانة الأب ٠ اى أن الطفل المولود أعطى قبـــل أن يأخـذ ٠ ومع ذلك فاننا قد نجد الطفل المولود يراه الجميع وكأنه ملك لهم يرعونه ويصفون له ما ييسر أن يسير فى خطاه وئيدا نحو حياة أرحب ٠ جميع الأعضاء يفعلون ذلك ٠ الأطفال الصـــغار والأشخاص الكبار على السواء ويبدو أن ذلك مرجعه ، أولا وأخـــيرا ، الى ما يحفظه الملايين من المصريين المعاصرين فى أعماق قلوبهم من الماضى السحيق ، منذ آلاف السنين ، من تراث انسانى انبثق من المجتمع المصرى القديم قدم الدهر ، واستمر حتى وقتنا الراهن .

فقد حفظ هذا التراث تعاليم آتون منذ نحو ٣٥٠٠ عام ، اذ تقـــول انشودة « خلق الأنسان » :

« أنت خالق الجرثومة فى المـــرأة »
والذى يذرأ من البذرة أناســـيا »
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه »
ومهـــدئا اياه حتى لا يبـــكى »
مرضـــعا اياه حتى فى الرحم »
« وانت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل انسان خلقته »
« وعندما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته »
« فأنت تفتح فمه كلية »
« وتمنحه ضروريات الحيـــاة »

وقد حفظ التراث الثقافى الاجتماعى المصرى (الانسانى) ، ولايزال فى بعض أجزائه منذ أن بشر « مرقص » بالديانة المسيحية بالاسكندرية ، ثم كرس « اينانيوس » المصرى أسقفا عام ٦٤ ميلادية ـ أروع ما يتصل بحقوق الطفل فآيات الكتاب المقدس تتلألأ بمعانى هذه الحقوق وتنشر نورها فى اعماق اعماق قلوب المصريين المسيحيين منذ ذلك التاريخ ، وحتى الآن .

(أ) فعلى الوالدين ان **يقبلوا** اولادهم **من الله** :
« **ثم رفع عينيه** وابصر النساء والاولاد **وقال** ما هؤلاء منك ..
فقال الأولاد الذين أنعم الله بهم **على عبدك** »

(تك ٣٣ : ٥)

(ب) وعلى الوالدين ان **يحبوا** اولادهم :
« يدبر بيته حسنا له اولاد فى الخضوع بكل وقار »

(اتى ٣ : ٤)

(حـ) وعلى الوالدين ان **يربوا** أولادهم بتأديب الرب :
« وانتم أيها الاباء لاتغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره »

(أف ٦ : ٤)

(د) وعلى الوالدين ان **يعلموا** أولادهم كلام الله ، وان يخبروهم احكام الله ، وأن **يخبروهم** عن أعمال الله العجيبة ، وأن **يأمروهم** حتى يطيعوا الله
« انما احترزوا حفظ نفسك جدا لئلا تنسى الامور التى أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل ايام حياتك وعلمها أولادك وأولاد أولادك »

(تث ٤ : ٩)

(هـ) وعلى الوالدين أن **يباركوا أولادهم** ، وان **يترأفوا** عليهم ، وان **يهتموا** فى امر خلاصهم ، **وان يعولوهم** ، وان **يدبروهم** ، وان **يؤدبوهم** :
« كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه » .

(مز ١٠٣ : ١٣)

ومنذ ان غزا ارض مصرنا الخالدة جيش عمرو بن العاص ، تعطر مناخ المجتمع المصرى الثقافى الاجتماعى المصرى بتعاليم الديانة الاسلامية . وقد حفظ التراث الثقافى الاجتماعى المصرى هدى هذه التعاليم فيما يتعلق بالاهتمام بالطفل نجد ذلك فى الآيات القرآنية التى تزهو بمعانى هذا الاهتمام وتنشر شذاها . ونجد ذلك أيضا فى أحاديث رسول الاسلام وتعاليمه عليه الصلاة والسلام . وليمعن القارىء فيما يلى من الآيات :

(و) « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أمـــلا » .

(١٨ ك الكهف : ٤٦)

(ز) « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نـــاراً وسيصلون سعيرا » .

(٤ م النساء : ١٠)

(ح) « ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا » .

(١٧ ك الاسراء : ٣١)

وقد تضمنت أحاديث نبى الاسلام حقوق الوالدين فى بر أبنائهما بهما ، وطلب اعانة الوالد ولده على بره ، وأكدت هذه الاحاديث المساواة بين الاولاد فى العطية . وأبانت هذه الأحاديث حقوق الطفل منذ ولادته حيث يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى ، فاذا بلغ ست سنين أدب ، فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه ، فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصـــلاة ، وذكرت هذه الأحاديث أن من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه ، ونصحه بالرفق بالولد والبر به وتعليمه .

٤ — وفى ضوء ماسبق وغيره نجد فى وضوح ويسر ان انجاب الاطفـــال فى الاسرة التناسلية المصرية (أسرة الزوج والزوجة وابنائهما) فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، مطلب ضرورى للغاية . نلاحظ ذلك فى الريف وفى المدن المتريفة فضلا عن المدن الحضرية وبخاصة فى احيائها الشعبية عـــلى السواء . كما نلاحظه عند أعضاء المجتمع على اختلاف الثقافات والمستويات الاجتماعية والاقتصادية على السواء ايضا . فالاطفال عند المصريين (كثـــر عددهم أو قل) كانوا ولايزالون زينة الحياة الدنيا . ويعتبر كل واحـــد منهم « ضنا » كل من الام والاب . ومن ثم نرى كما ذكرت آنفا الحفاوة بمقـــدمهم فى مجتمعنا ابتداء من الحمل (الحرص على الحامل من الحسد مثلا ، والحرص على استكمال نمو الجنين فى أثناء هذه الفترة وحتى الولادة) . وفى ضـــوء نتائج احدى الدراسات التى أشرفت على اجرائها لاحظت ارتفاع المكـــانة الاجتماعية « للداية » وبخاصة فى الريف المصرى فهى أم لكل من ولدته وعمدة القرية أحدهم ! ومما يدل على تلك الحفاوة ما تلاحظه من كثرة الطقوس المتعلقة بالولادة ، وما بعد الولادة (المشاهرة وطقوس الســـبوع والختـــان وغيرها) . وكل ماذكر يؤكد على ان الحفاوة بمقدم الاطفال فى مجتمعنـــا هى أقرب الى أن تكون حفاوة مقدسة .

٥ ـ والملاحظ ، كما سبق أن أوضحت ، أن الحفاوة بمقدم الأطفال فى المجتمع المصرى وراءها قيم التراث المصرى القديم والمصرى المسيحى والمصرى الاسلامى على السواء . وتكون هذه القيم فى الاغلب الاعم « ضمير » الطفل المصرى عندما يصبح بالغا . فالطفل العـــادى يولد فى اسرة (أول جهـــاز اجتماعى للتنشئة) أى أنه يولد فى جماعة ، والطفل فى هذه الجماعة يستطيع أن يدرك ان بعض السلوك ممدوح وبعضه مذموم . وانه والآخرين يعاملون اذ يعاملون بحسب ذلك . فالحياة تمنح للمسالم (الذى يحمل السلام) ويحيق الموت بالمجرم (الذى يحمل الجريمة) . أى أن المسالم هو الذى يفعل ما هو محبوب وأن المجرم هو الذى يفعل ما هو مكروه . ومن يبدأ غرس قيم التمييز بين الخلق الحسن والخلق السىء ، اى التمييز بين ماهو حق وبين ما هـــو باطل ، اى يبدأ عند الطفل فى الاسرة (الجماعة) التى ولد فيها غرس بـــذور نظام خلقى معين .

ويتضمن هذا النظام الخلقى المعين قيما ذات أهداف ايجابية وقيمـــا اخرى ذات اهداف سلبية . ومن القيم الاولى نجد ظاهرة الوطنية (حب الوطن والشعور بالانتماء اليه والولاء له والوفاء بحقوقه) ، كما نجـــد محبـــة الناس بعضهم بعضا ، والاهتمام بدعاء الوالدين ، واحترام الكبير ، واحترام العامل ، والســـعى من أجل الرزق المشروع ، والتعاون على البر ، وحسن الخلق . والعدالة . وقد يتضمن هـــذا النظام الخلقى قيم النفـــاق ، والتملق ، وحب المظهرية ، والمغالاة ، والدعوة الى الصبر السلبى ، وعدم المبادرة ، واللامبالاة والاستسلام مثلا .

والملاحظ أن ظاهرة « الوطنية » يمكن اعتبارها قيمة اجتماعية مركبـــة ذات اهداف ايجابية أحيانا او سلبية احيانا أخرى ، أى أنها ذات صور عـــديدة من القيم الاجتماعية ذات الاهداف الايجابية أو السلبية . فهى ليست فقط قيم حب الوطن والشعور بالانتماء اليه والولاء له والوفاء بحقوقه بل هى ، أيضا ، لكى تتحقق كل هذه القيم قيمة الايمان وقيمة العطاء وقيمة البذل وقيمة التضحية فضلا عن قيمة التعاون . أى أن هذه القيم كلها وربما غيرها لابد ان تكون مـــن وراء سلوك المواطن الصـــالح .

والملاحظ أن معنى ظاهرة الوطنية الذى تقصده النظرة الحالية لايعنـــى فقط مجرد حب مكان اقامة الانسان ومقره واليه انتماؤه ولد به أو لم يولـــد ، وانما يعنى كذلك حب وطن الاسلاف والاخلاص لارضه وتقاليده ، والدفـــاع

عن سلامته . وان ظاهرة الوطنية ترتكز على التجارب التى تنمو بمرور السنين منذ الطفولة وعهد الشباب ، كما ترتكز ايضا على الارتباط بالارض والبيئة . وهى اقصد الوطنية تثير عادة مشاعر عميقة الجذور فى نفس المواطن . وترتبط ظاهرة الوطنية فى ضوء التاريخ بالقومية والامبريالية على الرغم من ان الاخيرة تبرر بأسمها ما تقوم به من استغلال مواطنين آخرين واستعبادهم وبث الحقد ضدهم وضد اساليب حياتهم .

٦ - ولا حاجة لى الى القول بأن المواطن الصالح مفهوم متغير · فهو فى المجتمع الاقطاعى غيره فى المجتمع الراسمالى ، وهو فى المجتمع الاخير غيره فى المجتمع الاشتراكى · أى أن شخصية المواطن الصالح فى كل مجتمع من هذه المجتمعات متباينة · ومن ثم تكون أدواره الاجتماعية التى تتوقعها منه هذه المجتمعات متباينة كذلك · أى ان نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته واسلوب تفكيره تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى يعيش فيه .

ولا حاجة لى الى القول بأن أعضاء المجتمع أى مجتمع هم مواطنون قد يكون منهم الصالحون وغير الصالحين . وأنهم كأعضاء فى المجتمع لايعيشون فى فراغ . انهم عادة يعيشون فى علاقات اجتماعية مستمرة . فكل شخص منا يبدا حياته ، اول ما يبدأ ، اقصد عند ولادته فى اسرة اى فى جماعة . ربما تكون هذه الاسرة اسرته الطبيعية ، اقصد الاسرة التى ولد فيها ، أسرة ابيه وامه واخوته واخواته ، او اسرة بديلة . وفى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اصبحت تشارك الاسرة جماعات اجتماعية اخرى . فى تكوين المواطنين (الصالحين او غير الصالحين) · لقد عفى الزمان الذى كانت الاسرة وحدها تؤدى عملية غرس القيم الاجتماعية (ومنها بالضرورة قيم الوطنية التى ذكرتها آنفا) فى نفوس الاطفال . ولعل اهم الجماعات التى تشارك الاسرة والتى يكون عضو المجتمع ، فى ضوء الضرورة الاجتماعية ، عضوا فيها ، هى الجماعات التى تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية لاعضاء المجتمع . اقصد الاجهزة الاجتماعية التى تقوم باعداد اعضاء المجتمع ليؤدوا ادوارهم الاجتماعية كما يتوقعها منهم المجتمع الذى ولدوا فيه ويعيشون . وتوجد هذه الاجهزة الاجتماعية فى كل المجتمعات ، ولكن وظائفها تختلف باختلاف كل مجتمع فى ضوء تاريخه ومستواه الاقتصادى وظروف الحكم فيه واساليبه فضلا عن عقائده وجهاز قيمه الاجتماعية ومثله العليا .

ففضلا عن الاسرة نجد الجيرة والمدرسة والمنظمة الدينية ومنظمة شغل

أوقات الفراغ والمنظمة السياسية واجهزة الاعلام والثقافة . كل هذه الاجهزة تعمل متعاونة أحيانا وغير متعاونة أحيانا أخرى . ونجد تأثيرها فى غرس القيم الاجتماعية بأنواعها فى نفوس اطفال المجتمع وشبابه تأثيرا كبيرا .

٧ ـ واذ اذكر القيم الاجتماعية بأنواعها فاننى اقصد القيم الاجتماعيــة ذات الاهداف الايجابية والقيم الاجتماعية ذات الاهداف السلبية على السواء فبالاضافة الى ماذكر آنفا فان من الملاحظ ان قيمة مثل « الصبر » قد تعنى فى بساطة « حبس النفس عن الجزع » والصبر بهذا المعنى قيمة اجتماعية ايجابية فالحياة الانسانية لاتخلو من الجزع ، وهى كذلك لاتخلو من الطمانينة . ومع ذلك فأننا نلاحظ ان قيمة الصبر لا تعنى حبس النفس عن الجزع دائما . فقد تكون صبرا على الضيم ، وقد تكون صبرا على الاهانة ،وقد تكون اذعانا الى حد المذلة والضعة ، وقد تكون صبرا على المشاق اللا انسانية ، وقد تكون صبرا على ضياع الحقوق !

(ورد مفهوم « الصبر » لفظه ومشتقاته فى الكتاب المقدس فى اسفاره واصحاحاته ٥٢ مرة . كما ورد هذا المفهوم ، لفظه ومشتقاته فى القرآن الكريم فى سوره وآياته ١٠٣ مرات) .

ومثل قيمة الصبر نلاحظ تغير معنى قيمة « المجاملة » فالمجاملة كقيمــة اجتماعية تعنى فى بساطة « المعاملة بالجميل » ، أى معاملة الناس بعضهــم البعض بالجميل ، أى التعامل الاجتماعى فى ضوء قيمة العرفان بالجميــل او توقع ادائه فى بعض المواقف الاجتماعية من الاخرين . والملاحظ ان قيمـــة المجاملة بمعنى المعاملة بالجميل قيمة انسانية سوية . فالعرفان بالجميــل موضوع انسانى محبب ، وتوقع اداء الجميل فى بعض المواقف الاجتماعيــة من الآخرين ييسر التكافل الاجتماعى بين الناس وفضلا عن ذلك فان مجاملة الأقوياء وذوى السلطة والسلطان للمستضعفين فى الحق تعنى العمل الصالح . ومع ذلك نجد أن قيمة المجاملة تنبت وتترعرع فى المجتمع حيث توجد العصبيات وحيث توجد الوان معينة من التعصب ، او حيث تكون الثقة فى العدالة واهية ويكون سلطان القانون ضعيفا ، أو حيث تفتقد الروح الديمقراطية بأنماطهــا . ونلاحظ أن قيمة المجاملة اذ تنبت فى هذا المجتمع تعنى معنى آخر غير سوى ، وتصبح شرا بدلا من أن تكون خيرا . واذا كانت مجالات ممارسة قيمة المجاملة غير السوية عديدة حيث نجد مداها يتسع عبر الحياة ، منذ لحظة الميلاد حتــى الوفاة ، فان هذه المجاملات توجــد اكثر فى محيط المستضعفين . فالملاحظ ان

المستضعفين من اعضاء المجتمع المصرى (وربما من اعضاء بعض المجتمعات الاخرى) اكثر عرفانا بالجميل من الاقوياء سواء كانت توتهم مادية أو غير مادية . لان الاخرين يتوقعون عادة اداء الجميل لهم ولاينتظر منهم احد عرفانا به . ومن ثم يصبح معنى قيمة المجاملة « السوية » شيئا آخر غير « المعاملة بالجميل » .

ويؤكد اهتمامى بأهداف القيم ، الذى تكرر من قبل مرارا ، ما نلاحظه على قيمة « التعاون » وعلى قيمة « الشعور بالانتماء » والقيم التى من وراء الامثال الشعبية المصرية ، ومنها :

— « كلنا ولاد تسعة » .
و « الناس مقامات »
— « كل اناء بما فيه ينضح »
و « يخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم »
— « القرش الابيض ينفع فى اليوم الاسود »
و « اصرف مافى الجيب يأتيك مافى الغيب » .

والملاحظ ان القيم التى من وراء الامثال الشعبية المصرية المذكورة قد تكون قيما متناقضة أو تبدو كذلك ، أو يتذرع بها الانسان المصرى ليتجنب عن طريقها ،عن وعى ، مواقف الحرج .

ومهما يكن من الامر فان غرس القيم الاجتماعية بأنواعها فى نفوس اطفال المجتمع يواجه فى ضوء ما سبق « ظاهرة الازدواجية الثقافية » .

٨ — ومن ثم فانه اصبح من الضرورى مواجهة هذه الظاهرة اقصد ظاهرة الازدواجية الثقافية التى توجد فى المجتمع المصرى (والتى توجد ايضا فى المجتمعات الانسانية الاخرى وان كانت عوامل وجودها لاتكون بالضرورة متماثلة) وتقتضى هذه المواجهة تعاون اجهزة التنشئة الاجتماعية جميعا فى ضوء التخطيط العلمى الذى يتطلب بالضرورة وجود استراتيجية تكون أهدافها تكوين المواطن المصرى الصالح . ولن يتحقق ذلك الا اذا عرفنا سمات هذا المواطن التى تجعله فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر صالحا . واذا نجح القادة الثقافيون المصريون فى تحقيق هذه الخطوة الهامة فانهم يصبحون على بينة من أمرهم ويعملون متعاونين كل فى موقعه مع أجهزة التنشئة الاجتماعية سواء كان المسئولون عن هذه الاجهزة من الآباء والامهات او علماء التربية أو

علماء النفس الاجتماعى أو كانوا من الاخصائيين الاجتماعيين ورجال للدين والمدرسين أو من الاعلاميين وغيرهم وغيرهم ٠

١٣ ــ النظرة الى الازمة الاقتصادية وموقف الشباب المصرى منها

لايجادل احد من المصريين المعاصرين فى ان المجتمع المصرى المعاصر يواجه مشاكل اقتصادية عديدة . كما لايجادل احد من هؤلاء فى ان الاساليب التى تحاول ان تحل هذه المشاكل ، مع حسن النيات ، لاتجدى كثيرا ٠ ومن ثم فاننا نلاحظ انه قد تولدت أزمة ثقة بين المسئولين وبين غيرهم من أعضاء هذا المجتمع ٠

والمعلوم ان المشاكل الاقتصادية فى مجتمع من المجتمعات تؤدى بالضرورة الى المشاكل الاجتماعية التى تعنى ، كما سبق ان اوضحت ، عدم القدرة على التكيف ازاء المواقف الاجتماعية التى تكون نبتت من ظروف المجتمع او البيئة الاجتماعية او تلك التى تدعو الى تطبيق القوى والوسائل الاجتماعية لتحسينه أو تغييره . واهم هذه المشاكل ، اى المشاكل الاجتماعية ، ناجمة فى الاغلب الاعم من المشاكل الاقتصادية . والمشاكل الاخيرة بأنواعها تؤدى الى القلق المرضى فى محيط الشباب وتواجههم بالضباب الفكرى ٠ وذلك لان عدم حلها بمواجهتها يمس فى الصميم الاعضاء الشابة الذين هم فى ضوء ما سبق أن اوضحنا يمثلون الكثرة الغالبة من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ٠

والمعلوم ايضا أن الشباب كل الشباب ، كما سبق ان ذكرت ، ليسوا فقط أكثر حساسية من غيرهم من أعضاء المجتمع ولكنهم فى ضوء المرحلة العمرية التى يجتازونها **يعانون** أكثر من غيرهم ٠ فهى مرحلة الاكتمال والصراع الثقافى ومرحلة **صراع الاجيال** ٠

ومن نتائج كل ذلك وغيره مثل عدم وجود القدوة الحسنة ، فضلا عن غموض المستقبل الذى يرنو الشباب اليه وأزمة الاسكان ، وتوارى أو اختفاء القيم الاجتماعية ذات الاهداف الحميدة بأنواعها ٠ ومن نتائج كل هذه الحالات الحية فى الواقع المصرى الحى فى الوقت الراهن ، نتوقع أو يجب أن نتوقع ردود فعل من الشباب المصرى الذكور منهم والاناث على السواء . ومن اهم هذه الردود نجد الشباب المصرى أو الكثرة منهم **يؤدون دور المتفرج** من الحوادث التى تحدث فى المجتمع المصرى المعاصر أو يؤدون دور

المنافق الذى يحاول ان يكسب ، ماديا أو معنويا ، الكثير بأقل جهد ممكن ، أو ينشرون الانماط العديدة من **السخرية** وبخاصة السياسية **منها فنسمع مثلا من** يقول : « احسن حاجة ان **الواحد مايعرفش حاجة** » ! . **وقد نجد الـــوان** الانحراف تستشرى بين الكثير من **هؤلاء الشباب مثل تعاطى** المخدرات **والتمرد** العنيف والتطرف سواء كان **هذا التطرف** سياسيا **أو** دينيا **أو اجتماعيا (حيث** نجد الوانا من العصبية **والتعصب**) أو نجـد فى محيط **الطلبـة منهم الفشـل الدراسى · ومنهم فى ضوء ما يواجهونه من يصـاب بالملوثات العقليـة** أو **النفسية ·**

وفى محيط **الاسرة** نلاحظ ظاهرة « صراع **الاجيال** » . والمعلوم ان **مفهوم** الصراع لا يساوى فى معناه « مفهوم المنافسة » . فالمفهوم **الاول** يعنى اجتماعيا عملية اجتماعية أو موقفا يحاول فيه اثنان أو اكثر من الكائنــات البشرية **أو** الجماعات الاجتماعية ان يحقق كل أغراضه وأهدافه ومصالحه ، ومنع الآخر أو الآخرين من تحقيق ذلك حتى لو اقتضى الامر القضاء عليه أو عليهم أو تحطيمه **أو تحطيمهم . أما مفهوم** المنافسة فانه **لايرقى** الى مفهوم الصراع فهو ليس نوعا عنيفا مثل الصراع . فالمتنافس يحاول أن ينظم جهوده أملا فى الفوز . وقـــد يعتبر بعض العلماء ان ألوان الصراع والمنافسة عبارة عن اشكال للنضــــال والكفاح .

وقد اصبح واضحا فى ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية ان نجـد الوانا من الصراع فى الاسرة المصرية . وقد يكون هذا الصراع بين الزوجين أو بين احدهما وبين ابنائهما وبخاصة من هم فى سن الشباب . وقد يرجع ذلــك الى أننا لانجد فى الوقت الراهن ، فى الاغلب الاعم ، **أجيالا زمنية فحســـب ، بل اجيالا ثقافية أيضا** · ومن ثم فانه من الضرورى جدا ان يهتم القادة الثقافيون فى المجتمع المعاصر اهتماما خاصا بالصراع بين المعايير الثقافية أو المعــايير السلوكية فى محيط الاسرة المصرية واتجاهات الادوار الاجتماعية أو نظرتهـا الى بعضها البعض .

والصراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى محيط الاســـرة المصرية فى الوقت الراهن هو فى الاغلب الاعم صراع قيمى بين الآباء والابناء (وبخاصة من كانوا فى سن الشباب) . والملاحظ ان الصراع القيمى هو عــلى وجه العموم كأى صراع اجتماعى ، صراع بين القديم والجديد . وفى الاســرة يكون هذا الصراع بالضرورة بين الاجيــال .

وفى ضوء نتائج البحوث الواقعية التى قمت باجرائها فى محيط الشباب المصرى ، وبخاصة ما يتعلق منها بنظرة الشبان المصريين غير المتزوجين الى المرأة المصرية المعاصرة . وبنظرة الشابات المصريات غير المتزوجات الى الرجل المصرى ، تبينت الوانا شتى من الصراع بين الأجيال · منها على سبيل المثال مايتعلق بمعاملة الآباء ومعاملة الامهات وبالاختلاط بين الجنسين واختيار الأصدقاء واختيار الصديقات واختيار الزوج أو الزوجة ·

وأرجو ملاحظة انه اذا اعتبرنا ان الصراع بين الاجيال فى الاسرة المصرية المعاصرة هو صراع قيمى (أى صراع ثقافى) بالمعنى العلمى ، فاننى لايمكن ان أوافق على ان المشكلة الاجتماعية الناتجة عن ذلك والتى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر يكون اساسها اختلاف الطبقات أو الفئات وصراعها بقدر مايكون هذا الاساس التفاوت بين الاجيال التى تعيش فى وقت واحد وصراعها.

والملاحظ انه على الرغم من ان هدف أهداف المجتمع المصرى فى الوقت الراهن هو التنمية بقصد تحقيق الانتاج الذى ييسر حل الازمة الاقتصادية التى يواجهها هذا المجتمع ، وان الشباب هم عمد هذه التنمية ــ نجدهم (أى الشباب) لايشتركون فى اصدار القرار ولا فى تنفيذ القرار . انهم فى ضوء الظروف السياسية بعيدون عن أن يهتم بهم أحد . اقصد ان يهتم بمشاكلهم الاجتماعية التى يواجهونها وهى نبت المشاكل الاقتصادية التى هى فى مسيس الحاجة الى جهود هؤلاء الشباب · ان الاقوال فى هذا الشأن كثيرة ولكن العبرة كل العبرة فى ان تمارس هذه الاقوال · وذلك لاننى لا أقر أبدا الذين يعظون ولا يمارسون ما يعظون به · والمشكلة عندى هى ، كما نسمع كثيرا فى بساطة وأحيانا فى عدم مبالاة ، مزيد من الديمقراطية بأنواعها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو اعلامية ·

واننى اقصد بالتنمية فى هذه النظرة ان تكون :

١ ــ انتاج أكبر عدد ممكن من السكان .

٢ ــ التوزيع لاكبر عدد ممكن من السكان .

٣ ــ الاجهزة التى تيسر الاستمرار .

٤ ــ الاجيال القادمة يجب ان تؤخذ فى الاعتبار .

واننى أقصد بالانتاج : العمل الانسانى لكل شىء جديد له قيمة (سلع أو خدمات) والملاحظ ان مايعوق الانتاج بعض العوامل ، وهى تتلخص فيما يلى :

١ ــ الصراع بين الملكية الخاصة والملكية العامة والتردد الواضح فـي مواجهة هذا الصراع فى ضوء العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة .

٢ ــ انخفاض المكانة الاجتماعية للمرأة المصرية على الرغم من ازديـاد عدد اللائى تعلمن وبخاصة اللائى يحملن الاقلام .

٣ ــ عدم مواجهة الامية المتفشية فى محيط نصف اعضاء المجتمع المصرى المعاصر مواجهة حاسمة .

٤ ــ وجود حوالى ٤١٪ من اعضاء المجتمع المصرى المعاصر لاينتجـون فى الغالب وهم الذين فى الفترة العمرية من سن ١٥ فاقل .

٥ ــ وجود ظاهرة الازدواجية الثقافية فى المجتمع المصرى بعامة وفـي معاهد التعليم بخاصـة .

٦ ــ لايزال اعضاء السكان فى المجتمع المصرى المعاصر فى ازدياد . واننى لا ارى فى هذه الزيادة عائقا وذلك لاننا اذا كان لدينا ٥٠ مليون فم فانه سيكون لدينا مائة مليون يد . والعبرة عندى فى نوعية هؤلاء السكان سواء كانوا اطفالا او شبابا او رجالا او نساء . اى ان الكيف عندى هو الاهم وليس الكم فى ذاته .

١٤ ــ النظرة الى ظاهرة العصـبية وظـاهرة التعصب فى مجتمعنا

لعل القارىء الكريم ان يتوقع منى وقد ذكرت ظاهرة العصبية وظاهرة التعصب اللتين نلاحظهما كثيرا فى محيط الشباب المصرى ان اتحدث عنهمـا فيما يلى : ــ

فالمقصود بظاهرة العصبية هو العلاقات الاجتماعية الوثيقـة التى تربط بعض جماعات المجتمع او اعضاء هذه الجمـاعات . وتبنى هذه العـلاقات الاجتماعية الوثيقة ، عادة ، عن طريق القرابة التى تستند على وحدة النسب ، سواء كان بمعناه الضيق ، او كان بمعناه الواسع . اى الذى يتضمن الحلف والولاء والدخالة *

(*) ذكر احمد أمين فى كتابه المشهور «فجر الاسلام» أنه اذا أبت قبيلة أحدهم ان تحميه لجأ الى قبيلة أخرى ووالاها ، وحسب نفسه كأنه احد أفرادها ، فوطنية البدوى وطنية قبلية لا وطنية شعبية ، اى ان « هذا الشعور بارتباطه بقبيلة يحميها وتحميه هو المسمى بالعصبية » (انظر فجر الاسلام ، طبعة ١٤ ، ١٩٨٦ ، صفحة رقم ١٠) .

واذا لاحظنا نوع العلاقات الاجتماعية الوثيقة المشار اليها نجد ان هذه العلاقات هى علاقات تعاضد الجماعات أو أعضاءها وتناصرهم واتحادهم وقوة شوكتهم وحمايتهم من العدوان الخارجى ، مهما كان لون هذا العدوان . وكلما توجد ظاهرة العصبية فى محيط جماعات المجتمع نتوقع الترابط الوثيق بين هذه الجماعات وأعضائها . كما نتوقع ، فى ضوء بعض الظـروف الاجتماعيـة ، التطاحن بين هذه الجماعات نفسها . اى ان آثـار هذه الظـاهرة ، مثل كل الظواهر ، انسانية كانت أو مادية ، آثار غير مطلقة . اى انها قد تؤدى الى الخير الذى يتوقعه المجتمع ، او قد تؤدى الى الشر الذى يحـاول المجتمع أن يتجنبه .

ونجد ظاهرة العصبية ، فى مجتمعنا المعاصر ، فى محيط جماعات الريف كما نجدها فى محيط جماعات المدينة التى لا يزال الشعور بالانتماء الى الريف عند أعضائها قويا . ويعنى هذا أن العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص الذين يعيشون فى ريفنا المصرى تكون ، عادة ، علاقات وثيقة .. علاقات الوجـه للوجه ، اى هى علاقات شخصية . وأن العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص الذين يعيشون فى المناطق المصرية الحضرية تكون ، عادة ، علاقات غير وثيقة .. علاقات ثانوية ، اى هى علاقات غير شخصية . ويعنى هذا ، ايضـــا ، ان قيمة الشخص ، قيمته الاجتماعية ، فى الريف ، كبيرة جدا . فهو .. اذ يقوم بأدواره الاجتماعية فى استطاعته أن يضر وأن ينفع ، اى انه يستطيع ان يقف فى سبيل تحقيق رغبات من حوله او ييسرها . اما فى المناطق الحضرية ، فنجد أن قيمة الشخص الاجتماعية ، بسبب طبيعة ظروف الحياة ، ليست كبيرة . لأنه فى هذه المناطق تستبدل بقيمة الشخص ، كشخص ، قيمة اخرى تمثل فى المال بكل صوره .. نقود .. ممتلكات .. سلع ... الخ ، ذلك لأن العلاقات الاجتماعية فى المناطق الحضرية علاقات ، فى الغالب ، كما سبق ان اوضحنا ، غير شخصية . والمال فى المناطق الحضرية ، بكل صوره ، يقوم ، فى الواقع ، بتحقيق رغبات الأشخاص الذين يعيشون فى هذه المناطق . وقلة المال ، فى الواقع فى معظم الأحوال ، تكون حجر عثرة فى سبيل تحقيق هذه الرغبات . والمال فى المناطق الحضرية ، بكل صوره ، علامة من علامات النجاح فى الحياة . والنجاح فى الحياة هدف كبير يسعى الأشخاص العاديون الى تحقيقــه . سواء كانوا يعيشون فى المناطق الحضرية او يعيشون فى المناطق الريفية . والحصول على هذا الهدف فى المناطق الأخيرة .. هو الحصول لاعلى المال بقدر الحصول على كسب تأييد الأشخاص . فأعضاء الأسرة الكبيرة (العائلة) فى المناطق الريفية

أقرب الى تحقيق النجاح فى الحياة من الأشخاص الذين ينتمون الى أسر أصغر، وهم • من باب أولى ، أقرب من الأشخاص غير المنتمين الى أسر . والأقربون أولى بالمعروف و « أنا واخويا على ابن عمى وانا وابن عمى على الغريب » .

ونحن فى ضوء ظروف بناء مجتمعنا المعاصر ، نجد أن المناطق الحضرية فيه تزداد يوما بعد يوم • ومع ذلك فأننا نجد ، أيضـــا ، أن ملامح ظـــاهرة العصبية لاتزال ، فى بعض مناطقه ، قائمة ومتسلطة . ولعل الوقت قد حان لكى ندرس آثار هذه الظاهرة ، دراسة علمية ، لكى نفهمها . ومن ثم نستطيع أن نوجهها نحو الخير الذى يتوقعه المجتمع الجديد الذى نحاول أن نبنيه • أو أن نوجهها عن الشر الذى يحاول هذا المجتمع أن يتجنبه . والملاحظ أن الدين الاسلامى دين الجماعة، وهو دين الاتحاد والوئام• تراه دائما ينفر من التفرقة، كما ينفر من العصبية . ويؤكد كل هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة فمات . . فميتته جاهلية . ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته، ويقاتل لعصبته ، وينصر عصبته فقتل ، فقتلته جاهلية ، ومن خرج عن أمتى يضرب برها فاجرها لا يتحاشى لمؤمنهـــا ، ولا يفى لذى عهدها فليس منى ولست منه » *

أما ظاهرة التعصب فيقصد بها التحيز ضد شخص معين أو ضد جماعة من الجماعات . ويبنى هذا التحيز ، عادة ، على أساس الانفعال الزائد على الحد الذى يندفع من شخص معين ضد شخص آخر أو من جماعة معينة ضد جماعة اخرى . وتتضمن ظاهرة التعصب ،بالضرورة ، صورة من صور الشعور بالعداوة • وقد يكون هذا الشعور بغضا مقنعا ، أو يكون فعلا بغيضا موجها ضد شخص (فرديا) ، أو ضد جماعة من الجماعات (جماعيا) . وما الفعل البغيض الفردى أو الجماعى الا تعبير ظاهر عن الشعور بالعداوة •

والتحيز ضد الأشخاص أو ضد الجماعات شىء يكتسب • أى أنه ، عادة ،

(*) يفسر هذه الاحاديث الآية الكريمة « الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجـــدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم » (سورة التوبة رقم ٩٧) وذلك لان الممعن فى البدواة يكون بالضرورة ضعيف الايمان بدين وقل ان يؤمن الا بتقاليد قبيلته ما ورثه ثقافيا عن آبائه •

شيء يتعلمه البشر . ونحن نلاحظ الأطفال الصغار قبل سن الالتحاق بالمدرسة قلما يظهرون تحيزا ، بالمعنى المفهوم ، ضــد شخص من الأشخاص أو ضـد جماعة من الجماعات مثل الجمـاعات العنصرية أو مثل الجمـاعات الثقافية (Ethnic groups) . وربما يكون التحيز عند الشخص البالغ ضد آخر أو ضد جماعة اخرى امرا مستقلا عن خبرة هذا الشخص . . خبرته الشخصية أى ان بعض التحيزات كثيرا ما ينشأ أو يكون قد نشأ دون اى اتصـال مباشر بأعضاء الجماعة او الجماعات التى يكون التحيز ضدها . اى ان الاتجاهات العنصرية ، مثلا ، ليست ، بالضرورة ، نتيجة من نتائج خبرات الاتصـــال المباشر أو احدى وظائف هذه الخبرات .

وعندما يتيح المجتمع فرصة وجود الطبقات الاجتماعية او حتى وجـود بعض الفئات الاجتماعية المعينة فيه . نجد ، فى مجالات العلاقات الاجتماعية ، ظهور درجة من التحيز المعادى اذا بدأ وضوح هذه الطبقات الاجتماعية أو هذه الفئات الاجتماعية ، جليا ، كما بدت المنافسة بينها .

والملاحظ أننا قوم لا نتعصب . ترى السماحة تعطر مناخنا الثقـافى . وترى المحبة شعارا لامعا من شعارات ثقافتنا ، ويعيش اعضـاء المجتمع . الرجال منهم والنساء والأطفال ، على وجه العموم ، يتعاونون ويتصارعون ، ولكن الصراع بينهم يتبدد بكلمة طيبـة أو بابتسـامة مضيئة أو بدعابة من الدعابات .

ومع ذلك فاننا اذ نقول « صاف يالبن . . حليب يا قشطة » . بقصـد ازالة الحزازات ، واذ نقول « غضب المؤمن كالبرق اللامع » بقصـد عـدم استمرار هذه الحزازات ، نقول كذلك « عـدو زمان مالوش أمان » بقصـد الحذر المستمر من الأعداء ، وبقصد الوقاية المستمرة من شر الأعداء .

والملاحظ ، ايضا ، أننا قوم فينا عصبية بكل عناصرها . اى بعناصرها الايجابية والسلبية جميعا . وقد ورثنا هذه العصبية ، اجتماعيا ، فى ضـوء ظروف مجتمعنا التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، من العهود السابقة . ومع ذلك فأن قيم مجتمعنا الايجابية ، وهى عديدة ، لا تدعو الى التعصـب ، بالمعنى السابق . اى بآثاره البغيضة ، بقدر ما تدعو الى دعم الولاء . اى الى تبادل الشعور بالمحبة والاهتمام والتقويم الى الأصلح ، والى ازالة أسباب التوتر والحماقة والتعاسة .

ومن ذلك أيضا فان صورا من صور ظاهرة التعصـب توجد فى محيط

بعض جماعات مجتمعنا المعاصر . أى أن بعض الوان التعصب ، وهى الوان قليلة جدا ، تظهر من حين الى حين . وهى تظهر ، حتما ، عند المنافســـة الشديدة ، المحتملة أو المتوقعة ، الفردية أو الجماعية ، من اجل الحصول على **المكانة الاجتماعية المرموقة** أو الحراك اليها فى **مجالات العمل أو السياســة (الانتخابات)** ، أو حتى من أجل الحصول عــلى لقمة العيش . وهى تظهر فى بعض الأحيان ، عند الزواج ، وتظهر هذه الالوان ، فى مجتمعنــا ، عــادة ، عندما تتميز طائفتان من الناس يتصلون بعضهم ببعض ، بسمات متباينة . **ليست سمات فطرية أو عنصرية** ولكنها ، فى الغالب ، سمات ثقافية . ومع ذلك فاننا نجد ، فى مجتمعنا ، على مستوى الأشخاص ، بعض المعــانى المحببــة التى يعطيها هذا المجتمع لـــ « الخال » أو « الشامة » و « طــابع الحســن » ، و « اللون الأسمر » . كما نجد ، أيضا ، المعانى الاجتماعية للرجل « الأشقر » « عدو الشمس » ، وللرجل الذى لا شارب له ولا لحية « الاجــرود » .. و « صباح القرود ولا صباح الاجرود » ، وللرجل الطويل نسبيا « طــويل وهبل » . والقصير نسبيا « قصير ومكير » و « شبر وقطع » وغيرهــا من المعانى الاجتماعية التى تعطى لذى الستة الأصابع واصحاب العاهات مثــل الأعور « ابو فانوس مطفى » وغيرهم وغيرهم . وكلها معانى اجتماعية غير محببة ولا مقبولة فى مجتمعنا ، **ولكنها لا تحمل فى طيــاتها ذرة من التعصــب الفطرى او العنصرى** ، وان كانت تحمل فى طياتها مجرد السخرية اللاذعة فى بعض الأحيان .

١٥ — النظرة الى مكافحة الادمان على المخدرات فى محيط الشــباب المصرى .

فى ضوء هذه النظرة ، التى لابد ان تكون نظرة علمية ، وفى ضوء ظروف مجتمعنا النامى ، نرى انه لكى نواجه مشاكل كاحدى مراحــل دورة حيــاة الانسان ، أو كفئة من فئات المجتمع التى تقع على عاتق اعضــائها مسئولية التنمية . ومن هذه المشاكل اختار مشاكل الانحــراف بأنواعه وعلى الاخص ارتكاب الجرائم بأنماطها وصورها العديدة .

وانني أرى انه لا يجب ان نكتفى بعمليات الوقاية فحســب ، أو نكتفى باتخاذ التدابير الضرورية لعلاج عضو من اعضاء هذه الفئة بأن يرتكب افعالا يعتبرها قانون العقوبات المصرى جرائم ، بل يجب ان يكون الهدف هو العمل **الجــدى فى سبيل تكوين مواطنين يتطلبهم المجتمع المصرى فى الوقت الراهن .**

فنحن نرى أنه اذا كانت دولتنا النامية تبنى مجتمعا جديدا ، فان هذا المجتمع يكون بالضرورة مجتمعا ايجابيا . أى ان يرتفع بناؤه دائما عن طريق تطبيق الأساليب الحديدة للتنمية الشاملة سواء كان ذلك فى ميدان المادة الانتاجيــة أو المادة البشرية على السواء .

وأهداف تطبيق أساليب التنمية الشاملة فى محيط المــادة البشرية هى تكوين المواطن المصرى ، فى ضوء تحديد السمات الشخصية السوية الضرورية لشخصيته الانسانية ، من حيث نواحيها الجســمية والعقليــة والعاطفيــة والاجتماعية . مع الاخذ فى الاعتبار مستوى النضج الضرورى لهذه النواحى حتى يكون شــخصا صـحيحا ناميا ، ويحب الخير والكرامة الاجتماعية ، ويستطيع أن يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة ، ويكون مدربا على مواجهة الحياة الاجتماعيــة ، ، ويستطيع ان يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخدمات العــامة ليســتطيع ، كشخص ، ان يؤدى أدواره الاجتماعية فى ضوء ما يتوقعه منه المجتمع .

ويلاحظ أن تحديد هذه السمات مهمة كبيرة ما فى ذلك من شك . وهى مهمة يجب ان يخطط لها علميا ، كما يجب أن يناط بتنفيذها لأجهزة متخصصة فى كل من القطاعين الأهلى والعام ، وبخاصة تلك التى تعنى بعمليات التنشئة الاجتماعية فى المجتمع كالأسرة والجيرة والمدرسة والنادى الاجتماعى والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية (الأحــزاب مثلا) وأجهزة الاعلام والثقــافة . وأدوار المهن التى تعمل أو يجب أن تعمل فى ميدان الانحراف والجريمة مثــل مهنة القانون والاخصائى الاجتماعى ورجل الشرطة مثلا فى ضوء الوظــائف الاجتماعية لهذه الأجهزة الاجتماعية ، أدوار بارزة وهامة .

واذا كانت الأدوار الاجتماعية للمهن المشار اليها وغيرها من الأدوار التى تعمل فى مجالات تطبيق أساليب التنمية فى محيط المادة البشرية أدوارا بارزة وهامة ، فان أدوارها فى مجالات تطبيق أساليب الوقاية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية ، ومنها أساليب الوقاية من الانحراف والجريمة ، واضحة وضرورية . ويعنى مفهوم الوقاية من الانحراف والجريمة فى رأيى وقاية المجتمع من وجود أشــخاص منحرفين أو مجرمين ، أحداثا كانوا أو شــبابا أو بالغين ، ذكورا كانوا أو اناثا ، أى القيام بالتدابير الاجتماعية والاقتصــادية والتربوية التى تحد من وجودهم . أى التدابير التى تحفظ المواطنين الأسوياء ، أسوياء . أو التى تصـحح الظروف الاجتماعية التى

تعتبر ضارة لأنها تهدد المواطنين الصالحين الأسوياء أو أسرهم ، **أو تهدد معايير المجتمع الذى يعيشون فيه** ٠

وقد يرى البعض أن المقصود من الانحراف والجريمة هو « الحيلولة دون نشوء **الشخصية الاجرامية** » ٠ واننى لا أوافق على هذا المعنى ٠ ذلك لأن الشخص المنحرف أو المجرم لا يمكن أن يكون شخصا منحرفا أو مجرما فحسب ، أى لا يمكن أن يكون فردا ذا شخصية منحرفة أو اجرامية ٠ فالشخص المنحرف أو المجرم هو شخص يؤدى أدوارا اجتماعية عديدة وديناميه ، مثله فى ذلك **مثل رجل الشرطة والقاضى** ! وهذه الأدوار كلها هى التى تكون شخصيته الاجتماعية الدينامية ٠ أى أن الشخص الذى يرتكب نمطا من أنماط الانحراف أو الجريمة أو حتى الذى اعتاد على ارتكابه ، لا يمكن أن يستمر فى ارتكابه طوال الأربع والعشرين ساعة فى كل يوم ٠ والنظرة الى ارتكاب الانحراف أو الجريمة ، وحدها ، لا تفيد **سوى رجل الشرطة** حين يحاول القبض عليه ، **أو سوى القاضى التقليدى** عندما يدينه ويصدر حكمه فى نمط الانحراف أو الجريمة الموجه اليه ! ولكن هذه النظرة لا تكفى بحال من الأحوال لتكون أساسا **لتغيير نموذج الحياة** للشخص المنحرف أو المجرم ٠ وهذا ما تهدف اليه بالضرورة الجهود التى تبذل لاعادة تنشئة هذا الشخص حتى يعود الى المجتمع مواطنا صالحا ٠ وفى هذا الضوء نلاحظ أن الشخص المنحرف أو المجرم شابا كان أو غير شاب هو فرد له « **شخصية اجتماعية** » وليست « شخصية اجرامية » ٠ وعلى الرغم من انه قد ارتكب نمطا معينا من انماط السلوك المنحرف او الاجرامى (أو حتى اذا اعتاد على ارتكاب هذا النمط أو ارتكب غيره من الأنماط) فقد يكون ابنا بارا أو اخا عطوفا أو زوجا وفيا أو أبا حانيا أو صديقا مخلصا أو عاملا حاذقا ٠٠٠٠ الخ ٠

وأرجو أن يلاحظ القارىء أننى اذ أدعو الى وقاية المجتمع من أعضائه المنحرفين أو المجرمين فاننى أدعو أيضا الى **وقاية أعضاء المجتمع من الانحراف والجريمة كذلك** ٠

وتجب ملاحظة أن هناك فئات من الأشخاص المنحرفين أو المجرمين ، وبخاصة الشباب منهم فى ضوء **المعنى الاجتماعى** لمفهوم الشباب ، لا يصح ابدا ، فى رأيى ، أن يودعوا بالسجون ومن هذه الفئات المتشردين والمتسولين والبغايا والمجرمين الشواذ سواء كان شذوذهم جنسيا أو غير

ذلك وفئات متعاطى الخمور والمدمنين على المخدرات بانواعها ٠

واذ اذكر من الفئات الســـابقة فئة المدمنين على المخدرات بانواعها وبخاصة الشباب منهم سواء كانوا من الطلاب او العمال او من اهل الريف او من اعضاء الأحياء الشعبية (أبناء وبنات البلد مثلا) ـ فاننى اذكر دور الأخصائى الاجتماعى بالتعاون مع ادوار المتخصــصين الآخرين كرجال الدين والمشرعين والمتخصصين فى علم العقاب ورجال الشرطة وغيرهم من المتخصصين فى مكافحة الانحراف أو السلوك الاجرامى بمعناها العلمى ٠ (أى تكوين المواطن الصالح ووقايته لكى يبقى صالحا ثم علاجه اذا انحرف أو ارتكب جريمة) ٠ أى اننى اذكر اسهام الأخصائى الاجتماعى مع اسهام غيره من المتخصصين فى السياسة العلمية الجنائية التى يتبعها ، أو يجب أن يتبعها ، المجتمع فى مواجهة أعضـــاء هذه الفئة من مدمنى المخـدرات بانواعها وغيرهم من أعضاء الفئات الأخرى . واقصد بالسياســـة الجنائية مجموعة المبادىء التى يتبعها هؤلاء المتخصصون لتحقيق أهداف المكافحة فى ميدان المخدرات بانواعها فى محيط متعاطيهـا أو الذين يهربونهـــا أو يتجرون فيها من الشباب وغيرهم ـ فيما يتعلق بالتجريم والعقاب والوقاية والعلاج جميعا ٠ ولعل هذه السياسة ترى ، أو لابد أن ترى ، فى ضوء قيم مجتمعنا ومبادئه ومثله العليا ، وجود علاقة جدلية بين الشخص المهرب أو التاجر أو المتعاطى والمجتمع وأن الفصـــل بين كل منهم وبين المجتمع أمر تعسفى ٠ أى أنها لا ترى ، ولا يمكن أن ترى علة هذا الســلوك المنحرف أو الاجرامى أو علله التى تكمن فى الشخص المنحرف أو المجرم وليس فى المجتمع ٠ فهى ترفض حتما الاقتصار على قول القائل « اذا صــلح أعضـــاء المجتمع صلح المجتمع » لأن عضو المجتمع (السوى وغير السوى) لا يمكن أن يعيش فى فراغ ، بل يعيش دائما منذ ولادته فى جماعات اجتماعية أى فى علاقات اجتماعية مستمرة فاذا صلحت هذه الجماعات ، وهى قوام المجتمع ، صلح هذا العضو والعكس صــحيح ٠ وهى الى جانب هذا ، أقصــد الســياسة الجنائية ، تؤمن أو يجب أن تؤمن ، بأن الانســـان ليس قالبا جامدا تحدد سلوكه محددات ثابتة ابدية لا يمكن تغييرها ٠ ولكنها ترى أن الانسان يمكن تغييره وأن المنحرف أو المجرم بالتالى يمكن اعادة تنشئته الاجتماعية . فقط علينا أن نسلك لذلك الوسائل المناسبة التى تؤدى الى تحقيق هذا الغرض ، وذلك فى ضــوء اتباع المنهج العلمى فى عمليات الدراســـة وفى عمليات التطبيق على السواء ٠ أى أن هذه السياسة اذ توافق على ان جهود رجال

الشرطة المتعلقة بضبط المخدرات قبل أن تصل الى المتعاطين وجهودهم فى تعقب مهربى المخدرات بأنواعها وتجارها والقبض عليهم توطئة لمحاكمتهم جهود مشكورة يقدرها المجتمع حق قدرها ، فأنها تعتقد ، أو يجب أن تعتقد ، فى أن الطلب هو الذى يخلق العرض ومن ثم فان الجهود كل الجهود يجب أن تبذل من أجل التعرف على عوامل الطلب على المخدرات بأنواعها حتى لا يكون هناك عرض لهذه المخدرات بأنواعها . وذلك لأن المخدرات بأنواعها هى سلعة أولا وقبل كل شىء . وعلى الرغم من خطرها وخطورتها فانها تعتبر مثل جرائم الرشوة والتهريب والجرائم الجنسية من الجرائم غير المنظورة . أى ان حجم ارتكابها كجريمة عن طريق استهلاكها أو الاتجار فيها ليس التعرف عليه سهلا أو أمرا ميسورا .

وفى ضوء الحقائق العلمية نلاحظ أن ظاهرة المخدرات بأنواعها فى مصر تمس قضية التنمية فى هذا البلد الطيب بالمعنى الحضارى الشامل وبالمعنى الاقتصادى البحت . وخصوصا اذا لاحظنا فى ضوء نتائج أحد البحوث التى اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية أن أغلبية متعاطى مادة « الحشيش » يبدأون هذا التعاطى وهم فى سن الشباب . بل اننا نجد أن نحو ١٣ر٨٪ من أعضاء عينة البحث قد بدأوا التعاطى قبل سن السادسة عشرة ، وأن الأغلبية نحو ٥٧ر٩٪ بدأ أعضاؤها يتعاطون هذا المخدر فى الفترة العمرية من سن ١٦ الى سن ٢٢ ، أما باقى أعضاء عينة البحث فقد بدأوا فى سن لا يزيد على ١٨ عاما بنسبة نحو ٢٨ر٣٪ . وبالاضافة الى ذلك نجد أن نتائج هذا البحث قد أظهرت أن نسبة كبيرة جدا من هؤلاء جميعا أى بنسبة نحو ٧٣٪ واصلوا تعاطى المخدر منذ بدء تعاطيه ولم يستطيعوا أن يقفوا فى سبيل هذه العادة السيئة .

وفى ضوء ما سبق أرجو أن يسمح لى القارىء ان أؤكد وأكرر هذا التأكيد على أن مكافحة المخدرات بأنواعها لا يمكن أن تكون « المنع » بمعناه الشرطى أو القبض على مهربى المخدرات بأنواعها وتجارها أو القبض على متعاطيها . وذلك لأن المشكلة هى فى حقيقة الأمر وجود طلب على المخدرات بأنواعها فى المجتمع ومن ثم فان البحث العلمى عن عوامل الطلب خصوصا وقد عرفنا أن بداية التعاطى فى محيط أعضاء المجتمع يمارسه الشباب ، قد أصبح أمرا حتميا . ونحن نلاحظ فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى أن من هذه العوامل أسطورة الجنس (تعاطى الحشيش مثلا) وعلاج

الأمراض والاعانة على السـهر (تعاطى الأفيون مثلا) . ومهما يكن من الأمر فان المخدرات بأنواعها هى فى حقيقة الأمر « منافذ اجتماعيـة » ضـارة يلجأ اليها بعض أعضـاء المجتمع المصرى لمواجهـة التوترات والاحباطـات والـوان القهر التى يواجهونها ، كلها أو بمفهومها العلمى هى تكوين « المواطن الصـالح » الذى لا يخالف المبادىء والقيم والقوانين المرعية والمثل العليا للمجتمع . هذا هو ما ينبغى أن تكون أهداف أجهزة التنشئة الاجتماعية التى تسهم فى تكوين المواطن الصـالح والتى ذكـرناها من قبل . والملاحظ أنه لكى تعمل هذه الأجهـزة لتحقيق أهدافها ينبغى أولا أن نحدد من هو المواطن الصالح ذكرا كان أو أنثى ؟ بعد هذا يجب وقاية المواطن الصالح ليستمر صالحا . وهذا لا يمكن أن يكون دور رجال وزارة الداخلية وحدهم عن طريق المكافحة بمعناها الشرطى (أى بمعنى المنع والقمع !) ، انمـا هو أيضـا دور الوزارات المعنية والهيئات الشـعبية والجماهير بعامة سواء كانوا آباء أو امهـات أو رجال دين او مدرسين أو أطباء أو رجال أعمال .... الخ . ولن يسـتجيب احد الا اذا احس بالشـعور بالانتماء للوطن ، مصرنا الخالدة ، وان يعمل الجميع فى ظل سـياسة جنائية محددة المعـالم والأهـداف حتى يتحقق التنسـيق والتعـاون . وبعد ذلك تأتى المرحلة الأخيرة لمن ينزلق اى مرحلة العلاج . واننى لا أقول كلاما مثاليا . ان المهم ان نبدأ الآن بالأطفـال حماية للأجيال القـادمة . واذا ما تيسر تطبيق هذا كله فسـيقل ان لم ينعدم الطلب على المخدرات بأنواعهـا وبالتالى تتراجع عمليات التهريب والاتجار والتوزيع والاستهلاك عن طريق تعاطى هذه المخدرات بانواعها . أما فى الوقت الراهن فاننا نلاحظ أن فئات الشباب ذكورا واناثا وبخاصة اعضاء فئة الحرفيين وأعضاء فئة التجار ومن يعملون فى محيطهم سواء كانوا يعملون فى الريف أو فى الحضر (فى ضوء المستوى الاقتصادى المرتفع الذى وصـلوا اليه) يقبلون بنهم على تعاطى المخدرات بانواعهـا . وقد نجد من الاغراءات من التجـار ما يفعله التـاجر (اليهودى) اذ يبيع لأعضـاء المجتمع الذين لا يمارسون تعاطى المخدرات بانواعها ، وكلهم من الشـباب فى الأغلب الأعم ، دون أن يتعجل فى اخذ الثمن . وبهذه الوسيلة يحاول أن « يربى » « الزبون » الذى يعتاد على طلب المخدر ويسـتمر فى معـاملة التـاجر الجشـع .

واننى لا أرى الانتظار حتى يتكون المواطنون المصريون الصالحون الذين

ينفرون من الانحراف أو يرتكبون الجرائم وبخاصة جرائم المخدرات بأنواعها، ولكننى أرى أن هذه الضرورة تحتاج الى أمد طويل • ومن ثم فهى من قبيل الهدف طويل الامد . اى أن المشكلة وخطورتها ، كما اتضح للقارىء مداها ، لا يمكن أن تترك دون أن نجد لها الحل المناسب . ونحن المهتمين بمشكلة المخدرات بأنواعها والادمان عليها **لدينا تجربة انسانية** نشرتها منظمة الامم المتحدة وهى « تجربة الصين » فى مكافحتها الادمان على الافيون (مكافحة علمية) والتى نجحت فى القضاء على تهريب الافيون والاتجار فيه وتعاطيه فى وقت قصير أدهش العالم قاطبة .

وفى ضوء تجربة الصين الناجحة المشار اليها والتى نشر عنها فى « مجلة المخدرات التى تصدرها منظمة الامم المتحدة » فى عام ١٩٥٨ سنلاحظ حتما **دور المشرع ودور رجل الاعلام ، وسنلاحظ أيضا دور رجل الشرطة ودور الطبيب ودور السياسى ودور الاخصائى الاجتماعى** • سنلاحظ هذه الأدوار وكيف قام أصحابها كل حسب تخصصه ، وكل حسب خبرته ، **بقيادة الجماهير** الصينية . الجماهير التى كان يصيب أعضاءها الادمان ، والجماهير التى لم يكن يصيب أعضاءها الادمان على السواء . **لقد كانت مكافحة الادمان على** الأفيون فى المجتمع الصينى تحقيقا لضرورة اجتماعية يتطلبها هذا المجتمع . وقد قام المتخصصون فى هذا المجتمع بأداء واجباتهم فى هذا المجال . **قاموا كقادة جماهير** ، واستطاعوا تحقيق الأمل • كانوا يحاربون عدوا مجهولا ولكنهم على الرغم من ذلك تيسر لهم ان يثيروا حماس الملايين من أعضاء المجتمع الصينى عن وعى علمى بالمشكلة التى كانوا يواجهونها . كل ذلك كان فى ضوء بعض المبادىء منها الاقتداء ببعض التعاليم الصينية التى استخلصوها من تراثهم ، ومن هذه نجد « ان تعرف خططك ، وأن تكون عليما بالوسائل التى يتبعها عدوك ، فان ذلك يكفل لك نصرا مبينا » ومنها أيضا « ان تهير القلوب والعزائم أهم من مهاجمة المدن » ، وفضلا عن ذلك فان ادمان مادة الافيون مرتبط بحياة المتعاطين وحياة من يحبون ويعزون ، وهو مرتبط أيضا بقدرتهم الواعية على العمل والانتاج .

واذ أختم هذه الدراسة أرجو أن يكون القارىء الكريم قد لاحظ اهتمامى ببعض الأمور وهى :

١ — اننى أدعو ملحا الى تطبيق المنهج العلمى عند تناول موضوع الشباب وعلاقته بالانحراف والجريمة وبخاصة ما كانت له صلة بتعاطى المخدرات بأنواعها .

٢ — ان الشباب كفئة من فئات المجتمع المصرى فى الوقت الراهن هم عماد تنمية هذا المجتمع . فهم اذ يقومون بعمليات هذه التنمية يلبون فى الوقت نفسه حاجاتهم وحاجات من يجيئون من بعدهم .

٣ — ان هدف الاهداف هو التعرف على سمات المواطن المصرى الصالح وفى ضوء التعرف على هذه السمات يقوم المجتمع المصرى بتكوينه عن طريق اجهزة التنشئة الاجتماعية مثل الأسرة والجيرة والمدرسة والنادى الاجتماعى والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية (الأحزاب مثلا) واجهزة الاعلام والثقافة وان يعمل الجميع فى ظل سياسة محددة المعالم والاهداف حتى يتحقق التنسيق والتعـــاون .

٤ — ان مفهوم الوقاية يعنى بذل الجهود كل الجهود لكى يبقى المواطن المصرى الصالح صالحا . وان مفهوم العلاج ان يكفل المجتمع المصرى التدابير لعلاج من ينحرف من مواطنيه .

٥ — ان مفهوم مكافحة الانحـــراف او الجريمة مثلا **لا يعنى أبدا منـــع الانحراف أو الجريمة وقمع المنحرفين أو المجرمين بعد ضبطهم** . هذا المعنى معنى شرطى لايمكن ان اوافق عليه . وعندى ان هذه المكافحة تتضمن تكوين المواطن الصالح ثم وقايته ثم علاج من يحتاج من اعضاء المجتمع الى علاج . ولا يمكن لرجل الشرطة ان يعمل **وحده** فى سبيل تحقيق هذه الأهداف .

٦ — ان الطلب على المخدرات بأنواعها **هو وحده** الذى يخلق عرضها ومن ثم فان مجهودات رجال الشرطة فى سبيل ضبط المخدرات **بأنواعهـــا مجهودات** مشكورة ما فى ذلك من شك ولكنها غير كافية للقضاء على المخدرات بأنواعها (تهريبها أو الاتجار فيها أو توزيعها أو تعاطيها) .

٧ — ان الثمن الذى يدفعه المجتمع المصرى المعاصر بسبب المخدرات بأنواعها باهظ جدا سواء أكان هذا الثمن ماديا يقدر بالنقود ام كان هذا الثمن يبدد **الطاقات الشابة** التى يحتاجها هذا المجتمع احتياجا ملحا وهى لا تقـــدر بثمـــن .

٨ — ان الأمل فى القضاء على ادمان المخدرات بأنواعها فى محيط اعضاء المجتمع المصرى **ومنهم الشباب بالضرورة** ، قائم مادام المسئولون قد احسوا بالمشكلة . لأن مجرد الاحساس بمشـــكلة من المشـــاكل الاجتماعية أو حتى الفردية هو بداية على طريق حلها . ومع ذلك فان الرجاء كل الرجاء ان تبذل الجهود كل الجهود فى سبيل العمل الجاد ، فى **ضوء العلم** ، لكى يتطور المجتمع المصرى ويقضى على الادمان على المخدرات بأنواعها . ولنا فى تجربة الصين فى القضاء على الادمان على مادة الأفيون اسوة حسنة .

١٦ ـ النظرة الى مشروع خطة عمل ثقافى أجتماعى رياضى لاسـهام المؤسسـات الأجتماعية فى تربية الشباب فى محافظة القاهرة : مثـال

يتضمن هذا المشروع الموضوعات التالية :

١ ـ الخطة لمن ؟

٢ ـ أهداف الخطة ٠

٣ ـ أهم الوسائل لتحقيق أهداف الخطة :

(أ) القيـادة ٠

(ب) البرامـج ٠

(جـ) المرافـق ٠

٤ ـ تدريب العاملين (المشرفين والمشرفات) ٠

١ ـ الخطة لمـن ؟

فى ضوء عدد سكان جمهورية مصر العربية التقديرى فى عام ١٩٨٥ ، وقدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠ نسمة ، نجد أن نسبة أعضاء المجتمع الذين فى سن ٣٠ فأقل نحو ٨ر٦٨٪ ٠ويبلغ عدد هؤلاء ٠٠٠ر٠٦٩ر٣٤ نسـمة ٠ واذا اقتصرنا على أعضاء المجتمع الذين فى سن ١٠ الى أقل من سن ٢٥ نجـد أن عددهم ٠٠٠ر٥٨٠ر١٥ نسـمة ، أى بنسبة نحو ٢ر٣١٪ من مجموع سـكان الجمهورية ٠

وفى ضـوء التعداد العام للسكان والاسكان عام ١٩٧٦ ، نجد أن عدد سكان محافظة القاهرة (من المصريين) ٧٧٩ر١٨٠ر٥ نسـمة ٠ ومن هذا يتبين أن عدد أعضاء المجتمع القاهرى الذين فى سن ١٠ الى أقل من سن ٢٥ يبلغ ٧٧٤ر٧٥٧ر١ نسمة ، أى بنسبة نحو ٣٥٪ من مجموع سكان محافظة القاهرة ٠ ومن هؤلاء نجد أن عدد ٨٨٨ر٨٨١ من الذكور وعدد ٨٨٦ر٨٧٥ من الاناث أى بنسبة نحو ٢ر٥٠٪ ونحو ٨ر٤٩٪ على التوالى ٠

واذا وزعنـا عدد السكان من سن ١٠ الى أقل من ٢٥ ذكورا واناثا الذين يعيشون فى محافظة القاهرة حسب الأقسام تبين أن أكثر الأقسـام عددا أقسام المطرية ثم الساحل ثم الشرابية ثم حدائق القبة ثم روض الفرج ثم مصر القديمة ثم السيدة زينب ثم الزيتون ثم حلوان ثم المعادى ثم الخليفة

ثم بولاق ثم الجمالية ثم الوايلى ثم الدرب الأحمر ثم شبرا ثم باب الشعرية ثم مصر الجديدة ثم الظاهر ثم عابدين ثم النزهة ثم الموسكى ثم مدينة نصر ثم الأزبكية ثم قصر النيل ثم التبين · « انظر الجدول رقم (١) » ·

وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن عدد أعضاء المجتمع القاهرى الذين يجب الاهتمام بتربيتهم هو : ١٫٧٥٧٫٧٧٤ عضوا · وقد اخترنا هؤلاء الأعضاء فى هذه المرحلة السنية (من سن ١٠ الى أقل من ٢٥) لكى لا نبدأ من فراغ · فالشباب اذا افترضنا أن فئة عمرهم هى من سن ١٥ – الى أقل من سن ٢٥ ، كانوا بالضرورة فتية وفتيات . والبدء بالمرحلة المبكرة أجدى واكثر نفعا لتحقيق الأهداف المرجوة ·

٢ – أهداف الخطة :

أن هذه الأهداف لا تعدو اسهام المؤسسة الاجتماعية فى تربية شباب المجتمع القاهرى . وذلك لأن هذه المؤسسة وحدها لا تقوم بعمليات التربية . فالمجتمع أى مجتمع انسانى فيه من الأجهزة الاخرى التى تسهم ايضا فى هذه العمليات · ومن هذه الأجهزة الأسرة والمدرسة والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية (ان وجدت) فضلا عن أجهزة الأعلام والثقافة · أن جميع هذه الأجهزة تسهم فى عمليات تربية أعضاء المجتمع أى مجتمع انسانى · ونحن ندعو فى ضوء الظروف الأجتماعية والثقافية والأقتصادية والسياسية التى يعيشها المجتمع المصرى المعاصر الى ضرورة وجود سياسة عامة واضحة المعالم والاهداف تعمل فى ظلها أجهزة التربية التى توجد فى هذا المجتمع . ان هذه السياسة يجب أن توضح أهم السمات الشخصية التى ترى أن يتحلى بها شباب مجتمعنا فى المرحلة الراهنة التى يمر بها مجتمعنا ، وأن هذه السياسة يجب أن تتضمن البرامج التى تيسر تحقيق هذه السمات الشخصية ، فضلا عن الامكانات التى تيسر هذا التحقيق · أن أجهزة المجتمع التى تسهم فى تربية أعضاء يجب أن تعمل متعاونة وأن يكون التنسيق رائدها فى ضوء ما تملى عليه السياسة العامة التى نقترح وجودها · ويجب أن نؤكد هنا على أن الأتفاق على السمات الشخصية لأعضاء مجتمعنا ، وبخاصة الشباب منهم ، لا يعنى مطلقا اننا نقترح وضع قوالب يخرج منها أعضاء المجتمع وكأنهم قوالب طوب · ولكن هذا الأتفاق ييسر الأطارات التى يجب أن تتسم بها شخصيات أعضاء مجتمعنا فى الفترة التى يعيشها هذا المجتمع فى الوقت الراهن ·

جـــدول رقـم (١)

بيان عدد المصريين للفئة ١٠ سنوات لأقل من ٢٥ ســـنة ، ذكور واناث ،

موزعا على الاقسام بمحافظة القاهرة (*)

مسلسل	بيان القسم	عدد المصريين للفئة من ١٠ سنوات لأقل من ٢٥ سنة			ملاحظــات
		ذكـور	انـاث	جملة	
١	المطـــرية	٨٤٤٠٩	٨٧٣٥٢	١٧١٧٦١	
٢	الســـاحل	٨٠٠٤٠	٧٨٣٥٢	١٥٨٣٩٢	
٣	الشرابيـــة	٧٦٤٥٦	٧٥٠٣٢	١٥١٤٨٨	
٤	حدائق القبـة	٥٣٧٢٤	٥٣٥٥٢	١٠٧٢٧٦	
٥	روض الفـــرج	٥٠٨٧٠	٤٩٠٢٧	٩٩٨٩٧	
٦	مصـــر القديمة	٤٨٣٩٣	٤٧٦٦٢	٩٦٠٥٥	
٧	السـيدة زينب	٤٨٢٢١	٤٦٨٥٨	٩٥٠٧٩	
٨	الزيتـــون	٤٤٩١٧	٤٥٦٠٢	٩٠٥١٩	
٩	حلـــوان	٤٤٢٥٣	٤٤٤٢٦	٨٨٦٧٩	
١٠	المعـــادى	٤١١٤٧	٤٣٠٤٣	٨٤١٩٠	
١١	الخليفـــة	٣٣٩٩٤	٣٤٦١٤	٦٨٦٠٨	
١٢	بـــولاق	٣٤٣٦٦	٣١٨٦٦	٦٦٢٣٢	
١٣	الجماليـــة	٣٠١٧٢	٢٩٥٩١	٥٩٧٦٣	عدد سكان محافظة
١٤	الـــوايلى	٣٠٢١٨	٢٥٤٧١	٥٥٦٨٩	القاهرة المصريين
١٥	الدرب الأحمر	٢٧٨٨٩	٢٧٣٦٣	٥٥٢٥٢	٥٠١٨٧٧٩
١٦	شـــبرا	٢٣٦٦٦	٢٣٠٠٤	٤٦٦٧٠	النســبة المئوية
١٧	باب الشـعرية	٢١٣٨٣	٢٠٦٢٩	٤٢٠١٢	٠٢ر٣٥٪
١٨	مصـــر الجديدة	١٩٧٢٧	٢١٠٩٨	٤٠٨٢٥	
١٩	الظاهـــر	١٩٣٤٥	١٨٧٦٥	٣٨١١٠	
٢٠	عـــابدين	١٥٥٠٤	١٥٠٧٣	٣٠٥٧٧	
٢١	النزهـــة	١٣٧٢٠	١٥٨٧٢	٢٩٥٩٢	
٢٢	الموســـكى	١٠٦٠٧	١٠١٣٤	٢٠٧٤١	
٢٣	مدينة نصـــر	٨٩٢٧	١١٥٠٩	٢٠٤٣٦	
٢٤	الأزبكيـــة	١٠٣٤٧	٩٥١٣	١٩٨٦٠	
٢٥	قصـــر النيل	٤٨٧٩	٥٦١٧	١٠٤٩٦	
٢٦	التبـــين	٤٧١٤	٤٨٦١	٩٥٧٥	
	جملة محافظة القاهرة	٨٨١٨٨٨	٨٧٥٨٨٦	١٧٥٧٧٧٤	

(*) ج٠م٠ع٠ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : « التعداد » العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ – تعداد السكان ، الجزء الاول ، النتـــائج التفصيلية ، محافظة القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٨ (صفحات ٤٠٥ – ٤٥٦) ٠

واذا كانت اهداف المؤسسة الأجتماعية هى الاسهام فى تربية شباب المجتمع القاهرى ، فالملاحظ ان مفهوم « التربية » قد تعددت معانيه ودلالاته • وفى ضوء خبرة الكاتب فى ميدان الشباب منذ عام ١٩٣٩ ، يرى أن تفهم التربية على انها « عملية تغيير » بواسطتها ينمو عضو المجتمع ويزدهر وتتفتح ملكاته وقدراته • وهو اى عضو المجتمع اذ يفعل ذلك فانه يكون نفسه ويتحول هو ذاته ، مع تكوينه وتحويله الآخرين والبيئة التى يعيش فيها • ان عملية التغيير هذه تهدف اولا وقبل كل شىء الى اعداد عضو المجتمع (المواطن) لكى يستطيع ان يؤدى ادواره الاجتماعية التى يتوقعها منه المجتمع الذى ولد فيه ويعيش • انها عملية تكوين الشخصية ، أى جعل « الفرد » « شخصا » ، اى فرد له شخصية اجتماعية • اى يكون العضو شخصا ذا اتجاهات فكرية نحو من يحيط به من الناس • وقد تكون هذه الأتجاهات مما يفيد او يضر المجتمع وجماعاته • وتكون فائدته للمجتمع وجماعاته فى ضوء قيم هذا المجتمع ، ويكون ضرره فى نفس هذا الضوء • اى ان قيم المجتمع وجماعاته قد تكون قيما ايجابية ، اى قيم إهدافها بناءة ، تكون من وراء افكار اعضاء المجتمع ومن وراء اتجاهاتهم ونظرتهم نحو الأمور والأشياء والأشخاص ، اى نحو الحياة التى يعيشونها او التى يصنعونها أو التى يحاولون صنعها على السواء • وهى قيم اهدافها بناءة لأنها تدعو الى الخير ولا تدعو الى الشر • ونعنى بالخير كل ما يعين على العمل الصالح من اجل الآخرين ، اى كل ما يعين على التغيير الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم • ومن ثم فهى قيم اهدافها حميدة تدعم الروح المعنوية فى صفوف اعضاء المجتمع ، وترتفع بهذه الروح وتثبتها وتقويها •

والمؤسسة الاجتماعية فى ضوء الوسائل التى يجب أن تتوافر لتحقيق خطة العمل الاجتماعى المقترحة ، اى فى ضوء قيادتها الرشيدة وبرامجها المتعددة ووجود المرافق الضرورية التى تيسر تطبيق هذه البرامج ، تستطيع أن تغرس فى نفوس اعضائها من الشباب القيم التى تكون اهدافها ايجابية ولا يمكن أن تفعل المؤسسة ذلك الا باتاحة الفرصة لهؤلاء الأعضاء لكى يعيشوا الخبرات والمواقف التى تؤدى الى صياغة شخصياتهم صياغة تحقق اهداف المجتمع فى المستقبل المشرق • اى أن تسهم فعلا وحقا فى تربيتهم ، اى أن تسهم فى عملية التغيير التى بواسطتها ينمو اعضاؤها ويزدهرون وتتفتح ملكاتهم وقدراتهم ، ومن ثم يصبحون مواطنين صالحين •

٣ ـ اهم الوسائل لتحقيق اهداف الخطة :

(أ) القيـــادة :

ـ لكى تكون قيادة المؤسسات الأجتماعية التى تسهم فى تربية الشباب قيـــادة رشيدة ، يجب ان يكون قوامها **من العاملين المهنيين** الذين تتوافر فى شخصياتهم بعض الأمور · منها أن يكونوا اصـــحاء النفس والبدن ، وأن يكونوا من المهتمين بالعمل مع الجماعات سواء أكان أعضـــاؤها من الفتيان والفتيات أم من الشـــباب · ومنها أن يكونوا مدربين التدريب الكافى النظرى والعملى على العمل مع هذه الجماعات ·

والاعتمـــاد على العاملين المهنيين يعنى **العاملين المحترفين** · مـع ملاحظة ان الاعتمـــاد على التطوع وارد فى الحســـبان ولكن أى نوع من التطوع ؟ هذه هى المسألة ! اننى فى ضوء خبراتى فى خلال فترة تنـــاهز الخمسين عاما أومن بالاحتراف وبخاصـــــة فى محيط العمـل مع الجماعات وأومن أيضـــا بالتطوع · اننى أومن بالاحتراف المشرف ، وأومن أيضـــا **بالتطوع غير المشرف** · وانى أرى أن الزمن الذى كان فيه التطوع المشرف سائدا قد ولى فى ضوء روح العصر وفى ضوء وجود معاهد عليا وكليـات للخـــدمة الاجتمـــاعية والتربية عندما تخرجت الدفعات الأولى · أى منذ عـــام ١٩٤٠ ·

ـ والقيادة الرشيدة التى تشرف على المؤسســـات الأجتماعية التى تعمل فى محيط الشباب ومن أجلهم ، يجب أن **تعتمد على الأسـلوب العلمى** فى مواجهة تحقيق الأهداف ·

ان الارتجال فى تحقيق هذه الاهداف **فى ضوء روح العصر** اصبح غير ذى موضوع ، وان تطبيق الاسلوب العلمى أولى وأجدى ·

ـــ والقيادة الرشيدة التى تشرف على المؤسسات الاجتماعية التى تعمل فى محيط الشباب ومن أجلهم ، يجب ان تعتمد أيضا على هؤلاء السادة اعضاء الجمعية العمومية لهذه المؤسسات ويتجلى هـــذا الولاء واضحـــا فى استمرار عضوية اغلبيتهم . ان الاستمرار فى جماعة من الجماعات أو فى مجتمع مـــن المجتمعات يعنى الاصالة والتقاليد السليمة والخط الواضح فضلا عن تحقيق قيم التعاون الايجابى ، أى التعاون على البر والتقوى وليس التعاون على الاثم والعدوان ، **وتحقيق التكافل الاجتماعى والتسامح** ·

ان ولاء السادة اعضاء الجمعية العمومية ، **وهم قدوة ، ييسر غرس قيمة**

الولاء لدى الاعضاء من العاملين المهنيين ، ولدى اعضاء المؤسسة الاجتماعية من الفتيان والفتيات والشباب .

— ومن القيم التى يجب على القيادة الرشيدة غرسها فى نفوس الاعضاء من الفتيان والفتيات والشباب الايمان بالديمقراطية . ان الفرص لغرس قيم الديمقراطية بين جنبات المؤسسة الاجتماعية فرص عديدة . وهى تسنح دائما فى معاملة اعضائها لا عن طريق الموعظة او عن طريق القدوة الحسنة فحسب ، بل عن طريق اتاحة المواقف السوية لهؤلاء الاعضاء لكى يمارسوها . فالانتظام فى جماعات متجانسة (اسر) مثلا ، باعتبار ان الجماعة هى الوسيلة المثلى لصياغة شخصيات افراد هذه الجماعة عن طريق التفاعل داخلها تحت اشراف العاملين المهنيين ، يتيح فرصا عديدة لممارسة الديمقراطية . والديمقراطية فى ضوء الخبرة هى انماط من السلوك قبل ان تكون مجرد شعارات . والقيادة الرشيدة التى تشرف على المؤسسات الاجتماعية التى تعمل فى محيط الشباب ومن اجلهم يجب ان تؤكد غرس هذه القيم بالممارسة عن طريق انتظام الاعضاء فى جماعات متجانسة يحكمون انفسهم بانفسهم حكما ذاتيا عن طريق لجان النشاط القويم ، أى عن طريق البرامج الهادفة الى الخير والى التغيير الى الافضل فى ضوء مبادىء مجتمعنا وقيمه ومثله العليا .

(ب) البرامج :

— ان البرامج الهادفة الى الخير والى التغيير الى الافضل فى ضوء مبادىء مجتمعنا وقيمه ومثله العليا عديدة ، ولايمكن أن تكون رياضية فقط . والتجربة قد اثبتت أن الرياضة وسيلة ولا يمكن أن تكون غاية فى حد ذاتها . ان أهداف البرامج القويمة هى تيسير عمليات التربية . ومن ثم يجب أن تأخذ فى اعتبارها أن عضو الجماعة فى مسيس الحاجة الى معاونته على تكوين شخصية سوية ، وان الشخصية عواملها ليست تكوينية فقط ، وان من عواملها العوامل الثقافية الاجتماعية فضلا عن العوامل النفسية والعقلية .

— أى أن البرامج التى يجب أن تهتم بها المؤسسة الاجتماعية هى برامج تهدف أو لما تهدف الى تكوين شخصيات الاعضاء فى ضوء عوامل الشخصية الانسانية . فهى برامج رياضية وثقافية واجتماعية وفنية وتعليمية (فصول تقوية لمن يكونون فى مراحل التعليم المختلفة مثلا) . أنها كل ذلك . واهدافها أن تيسر تكوين الشخصيات الصالحة أى أن تيسر تكوين المواطنين الصالحين الذين يتوقعهم المجتمع المصرى فى المرحلة الحالية . ان البرامج وسائل وليست أهدافا فى حد ذاتها . ونحن لانهدف فى الوقت الراهن الى تربية نجوم ولكننا

فى حاجة الى مواطنين مصريين صالحين يعرفون واجباتهم ويحرصون علـى حقوقهم ، ويؤمنون بحب الانسان لاخيه الانسان ، ويعملون الخير ويتذوقون الجمال . اى اننا يجب أن نهتم بالقاعدة العريضة من اعضاء المجتمع لكى ينشأوا التنشئة الصالحة أولا وقبل كل شىء ، واذا ظهر النجوم منهم بعد ذلك فاننا نرحب بهم .

(جـ) المرافق :

— ولكى تتحقق البرامج التى تساعد فى تكوين شخصية المواطن المصرى الصالح ، لابد من توفير المرافق الضرورية . اى توفير المبنى الصالح لتحقيق هذه البرامج . يجب أن يكون مبنى المؤسسة الاجتماعية ، مثـلا ، قد بنى خصيصا لكى يكون مؤسسة اجتماعية . تكون فيه المكتبة وحجرات الدراسة والملاعب ، ودورات المياه ، ودار العبادة ، والمسرح ، والعيادة الطبية موفورة وأن تكون فيه المياه جارية وتيار الكهرباء موفورا ايضا ، وأن تكون كل أنواع الصرف صحية . . الخ . **وأن تكون صيانة هذه المرافق موفورة على الدوام .**

— وقد يرى البعض أن فرض هذه الانواع من المرافق وغيرها فيـه الكثير من التعسف . وأن الفتى أو الفتاة أو الشاب أو الشابة قد يعيشـون بغيرها اذا ما توافر المربى الصالح وتوافرت البرامج او أنواع معينة مـن البرامج . لقد جرب المجتمع المصرى المعاصر **تحقيق الرأيين** . وقـد اكـدت الخبرة ان المرافق تلعب دورا هاما فى تحقيق اهداف التربية . أن احسـاس العضو **بالانتماء الى مؤسسة** تتوافر فيها الضرورات التى تيسر تنفيذ البرامج المتعددة الاغراض تنفيذا ميسرا ، يؤكد هذا الانتماء كما يؤكد الاعتزاز به .

— والتحدث عن مبنى المؤسسة الاجتماعية والمرافق التى يجب ان تتوافر فيه غير كاف . وذلك لان التحدث عن **موقع هذا المبنى** أمر هام ايضا . اننا فى ضوء الخبرات لانتوقع أن ننتظر عمـلاء المؤسسة الاجتماعية من الفتيـان والفتيات والشباب **أن يأتوا الى المؤسسة وهى فى موقع بعيد عنهم** . اننا فى ضوء الظروف الراهنة ومن أجل تربية شباب صالح **يحمل على ظهره** المستقبل المشرق ، يجب أن نؤكد على أن تذهب المؤسسات الاجتماعيـة حيث يعيش هؤلاء فى أحيائهم ، أو بالقرب من مواقع شغل أوقات فراغهم . مع ملاحظـة أن العديد من هؤلاء العملاء لايتطوعون للالتحاق بالمؤسسات الاجتماعية . وأن العديد من هؤلاء قد يكونون الجماعات فى خارج هـذه المؤسسات . فلنذهب اليهم ، ولا ننتظرهم حتى يأتوا الينا . ولنرفع شعار « **لنصل الى من لايمكن أن يصل الينا** » ، ولنحقق هذا الشعار فعلا .

٤ ــ تدريب العاملين (المشرفين والمشرفات) :

ان اهم اعضاء القيادة فى المؤسسة الاجتماعية هم المشرفون والمشرفات الذين يعملون مع الاعضاء . فمن هؤلاء يكون بالضرورة مدير المؤسسة ، ومن هؤلاء الذين يقودون اعضاء الجماعات (الفتيان والفتيات والشباب جميعا) ويشرفون عليهم .

وفى ضوء عدد اعضاء المجتمع القاهرى من سن ١٠ ــ اقل من ٢٥ الذى يبلغ ١٫٧٥٧٫٧٧٤ عضوا ، يحتاج الاشراف عليهم الى ٣٥١٤٢ من المشرفين والمشرفات اذا اعتبرنا أن عدد مايستطيع المشرف أو المشرفة تحمل مسئولية الاشراف عليه من الاعضاء فى المتوسط فى هذه المرحلة السنية هو ٥٠ عضوا. وتحديد الــ ٥٠ عضوا لم يجىء اعتباطا ، ولكنه جاء نتيجة الخبرة الطويلة المستمرة فى العمل مع الجماعات فى المجتمع المصرى المعاصر . فالملاحظ أن الاعضاء الصغار يحتاجون الى عناية أكبر ومن ثم فان العدد الذى يمكن الاشراف عليه منهم بعناية يكون اقل من ٥٠ عضوا ، على عكس الاعضاء الكبار فقد يكون العدد عندئذ أكبر وقد يصل الى ٨٠ عضوا أو اكثر الى مائة عضو . « انظر الجدول رقم (٢) » .

واذا كان المطلوب هو الاهتمام بأعضاء المجتمع القاهرى من الفئة العمرية من سن ١٢ ــ فأقل من ٢٥ سنة فحسب فيكون العدد المطلوب الاشراف عليهم من هؤلاء هو ١٫٥٢٤٫٦٤١ عضوا فقط . ومن ثم يحتاج الاشراف عليهم فى ضوء ماسبق الى ٣٠٤٩٣ من المشرفين والمشرفات فقط .

والملاحظ انه اذا كان عدد المشرفين والمشرفات هو ٣٥١٤٢ أو هو ٣٠٤٩٣ فان الحاجة ماسة الى انشاء هيئة خاصة تشرف على اختيارهم وتدريبهم .

واختيار المشرفين والمشرفات يجب أن يتحدد ، كما ذكرنا من قبل ، فى بعض الامور هى :

- ان يكونوا من العاملين المهنيين .
- أن يكونوا أصحاء النفس والبدن .
- أن يكونوا من المهتمين بالعمل مع الجماعات سواء أكان أعضاؤها من الفتيان والفتيات أم من الشباب .

والاختيار فى هذا الضوء ، وحده ، غير كاف . ولابد من التدريب النظرى والعملى لكى يكون المشرفون والمشرفات على وعى تام بالمهام الملقاه على عاتقهم ، ولكى يكون لديهم من المهارات مايعينهم على اداء هذه المهام على الوجه الاكمل . ومن هذه المهارات مايلى :

جـــــدول رقم (٢)

بيـــان تقديرى للمشرفين الاجتماعيين اللازمين لخدمة فئة السن من ١٠ سنوات لاقل من ٢٥ سنة حسب اقسام محافظة القاهرة

مسلسل	بيان قسم	تقدير المشرفين الاجتماعيين اللازمين ذكور	اناث	جملة
١	المطـرية	١٦٨٨	١٧٤٧	٣٤٣٥
٢	الساحل	١٦٠٠	١٥٦٧	٣١٦٧
٣	الشرابية	١٥٢٩	١٥٠٠	٣٠٢٩
٤	حدائق القبة	١٠٧٤	١٠٧١	٢١٤٥
٥	روض الفرج	١٠١٧	٩٨٠	١٩٩٧
٦	مصر القديمة	٩٦٨	٩٥٣	١٩٢١
٧	السيدة زينب	٩٦٤	٩٣٧	١٩٠١
٨	الزيتـــون	٨٩٨	٩١٢	١٨١٠
٩	حلوان	٨٨٥	٨٨٨	١٧٧٣
١٠	المعادى	٨٢٣	٨٦٠	١٦٨٣
١١	الخليفة	٦٨٠	٦٩٢	١٣٧٢
١٢	بولاق	٦٨٧	٦٣٧	١٣٢٤
١٣	الجمالية	٦٠٣	٥٩٢	١١٩٥
١٤	الوايلى	٦٠٤	٥٠٩	١١١٣
١٥	الدرب الأحمر	٥٥٨	٥٤٧	١١٠٥
١٦	شبرا	٤٧٣	٤٦٠	٩٣٣
١٧	باب الشعرية	٤٢٨	٤١٢	٨٤٠
١٨	مصر الجديدة	٣٩٤	٤٢٢	٨١٦
١٩	الظاهر	٣٨٧	٣٧٥	٧٦٢
٢٠	عابدين	٣١٠	٣٠١	٦١١
٢١	النزهة	٢٧٤	٣١٧	٥٩١
٢٢	الموسكى	٢١٢	٢٠٢	٤١٤
٢٣	مدينة نصر	١٧٨	٢٣٠	٤٠٨
٢٤	الأزبكية	٢٠٧	١٩٠	٣٩٧
٢٥	قصر النيل	٩٧	١١٢	٢٠٩
٢٦	التبين	٩٤	٩٧	١٩١
	الجملة	١٧٦٣٢	١٧٥١٠	٣٥١٤٢

— ان على العامل مع اعضاء الجماعات المشار اليها ان يضبط **نفسه** وعواطفه وثوراته الداخلية فى جميع الأحوال . **لا يجب أن يضطرب وينزعج.** واذا اضطرب او انزعج لسبب من الاسباب فعليه مهما كانت الظروف ان يمنع الاضطراب أو الانفعال من الظهور على وجهه او فى تصرفاته .

— ان على **العامل مع** اعضاء الجماعات **أن يحترم** شخصيات هؤلاء الاعضاء فى جميع الحالات على السواء . فلا يعمل على تحقير اى عضـــو لسبب من الأسباب ، ولا يعلن أخطاء العضو على رءوس الاشهاد وبخاصة **ما يمس الاخلاق منها** . ذلك لان الكرامة الشخصية راس مال الانسان ويجب تجنب ما يقضى عليها بحال من الأحوال .

— ان على العامل مع اعضاء الجماعات ان يكون حازما مع الاعضاء . واذا قال للعضو « لا » **يقصـــد** « **لا** » .

— ان عصيان الاعضاء لأوامر المشرف او المشرفة **ليس جريمة** يجب ان يعاقب عليها . ان النزاع بين المشرف او المشرفة وبين المخالف للأمر ليس **نزاعا على الطاعة** ، وانما ينصب النزاع على ما يعمل او يمتنع عن عمله . واذا عصا المخالف بالفاظ نابية وبالتحدى ، **فالحساب بين المشرف أو المشرفة وبينه على الالفاظ النابية والتحدى .**

— يجب أن يحافظ العاملون مع اعضاء الجماعات المشار اليهم عـــلى كرامتهم . ويتمسكون برأيهم ما داموا **مقتنعين بصحته** . يرحبون **بالمناقشة** فيه لمن اراد منهم ، ويرجعون عن رأيهم اذا رأوا انهم قد اخطأوا . ذلك لان كرامة المشرفين والمشرفات تأبى عليهم ان يتمادوا فى **تصرف يرون الخطأ فيه .**

— يجب ان يعنى العاملون مع اعضاء الجماعات المشار اليها العناية كلها بدوافع الاعضاء . فلا يسمحون بعقوبة مخالف الا بعد ان يكونوا قـــد استنفدوا كل جهد فى البحث وراء الدوافع .

— وخوفا على أنفسهم من الشطط فى الحكم على احد الاعضاء ، فانه يجب الا يفعل العاملون ما يريدون ان **يفعلوا ارتجالا** وفى الحال دون بحث أو روية . وبخاصة عندما تستثار نفوسهم ، فلا يعاقبون هذا العضـــو لامر يأتيه عقب العمل مباشرة ، بل يتركونه مؤقتا بعد ان يشعروه بعدم رضاهم عما يعمل . ويؤجل النظر فى شأنه لحين اجتماع العاملين (الاسبوعى) حيث تبحث مسألته وتسمع أقوال العامل ويتناقش المجتمعون فى الحالة بالتطويل.

وفى هذه الاجتماعات يجب أن **يغفل العامل الشخصى** فى الموضوع ولا ينظر الا للفائدة التى تعود على العضو واخلاقه فقط .

— واذا كانت الوشاية خصلة قد تنفع الكبار فى عملهم بين الصغار فتخفف عنهم بعض الأعباء الثقيلة وتسهل مأموريتهم فى ادارة المؤسسات ، وتمكنهم من معرفة ما يدور بين الصغار وما يحدث من بعضهم على اهون سبيل — فان العاملين بالمؤسسة **يجب أن يعلموا ان قيمة الوشاية فى تربية النشء سلبية تضر بهم ولا تنفعهم** ، وتشيع بينهم الدسائس بالحق والباطل فتصبح اداة من أدوات الظلم والافساد للذمم والاخلاق والفضائل .

— ان القاعدة التى يجب أن يسير عليها العاملون مع الجماعات المشار اليها والتى يحاسبون أنفسهم عليها دون هوادة أو لين هى أن الاعضاء الذين يشرفون عليهم **متساوون** . فلا يجب أن يشعر احد من الاعضاء بأننانحبه أو آخر بأننا نستثقل ظله ، هم اخواننا ويجب أن تكون المعاملة لهم على انهم متساوون . وفوق كل شىء يجب أن يشعروا هم بهذه الحالة وأن العاملين المشرفين عليهم ينزعون فى كل أعمالهم عن حاسة **العدل والحب والاحترام للجميع دون تفرقة** .

والملاحظ أن هذه المهارات التى يجب أن يتحلى بها المشرفون والمشرفات لايمكن أن تأتى من فراغ ، أو أن يكتسبوها بالتلقين ، بل هى تغرس فى شخصياتهم عن طريق مواجهة المواقف العديدة فى الواقع الحى وهم يعملون مع أعضاء الجماعات الذين يشرفون عليهم ويتحملون مسئولية تربيتهم ومن ثم فانه مع تقسيم الاعضاء (الفتيان والفتيات والشباب) الى أسر (أو جماعات) حسب الاعمار (فأسرة الفتيان أو الفتيات من الثانية عشرة الى اقل من الخامسة عشرة مثلا ، وأسرة الاعضاء الذين فى مرحلة انتقالية من الخامسة عشرة الى أقل من الثامنة عشرة مثلا ، وأسرة الشباب من الثامنة عشرة الى اقل من الخامسة والعشرين مثلا) — فان المشرفين والمشرفات العاملين مع الاعضاء يجب أن يعملوا فى لجان أيضا (حسب حجم العضوية فى المؤسسة الاجتماعية) ، يجتمعون تحت اشراف المشرف على المؤسسة مرة فى كل أسبوع ، لكى يتدارسوا أو يناقشوا معا المواقف وما ينجم عنها من مسائل أو مشاكل **على أن تسود المناقشات الروح الديمقراطية ، وأن يتخذوا فى كل الامور المنهج العلمى منهجا لهم** .

خاتمة

لعل القارىء الكريم أن يلاحظ ان الكتاب الحالى : « نظرات باحث علمى اجتمـــاعى مصرى » قد كتب من وجهة نظرى ، وهو يتضمن الخبرات التى صنعتنى وصنعتها · وهى خبرات فى الاغلب الأعم منتظمة أى مبنية عـلى نتائج بحوث ودراسات تمت باجرائها أو الاشراف عليها · ولا يمكن أن أقول ان هذه خبرات أى التى يضمها الكتاب الحالى هى كل الخـــبرات · ولعل القارىء الكريم ان حدس اهدافى من تحرير هذا الكتاب · اننى أبحث فى ضوء نتائج البحوث والدراسات المذكورة منذ أن ظهرت العناصر الثقافية الاجتماعية التى يموج بها مجتمعنا المصرى وبخاصـــة فى ظروفه الثقافية الاجتماعية التى تعكسها بالضرورة الظروف الاقتصادية والسياسية والى يمر بها هذا المجتمع فى الوقت الراهن ·

وهذه النظرات اعرضها كواحد من المواطنين الذين تخصصوا فى رصد الظواهر الاجتماعية والمواقف الاجتماعية فضلا عن انماط السلوك وبخاصة فى محيط **الشباب المصرى المعاصر** ·

ومهما يكن من الامر فاننى كانسان عاجز عن أن الم باطراف كل الاشياء التى وعيت بها فى أثناء مسيرة حياتى العلمية العملية · ولكننى مع ذلك حاولت أن أفعل ذلك فى نظراتى هذه الى بعض الامور التى تبرز أمامى فى كل لحظـــة أعيشها أو عشتها فى ربوع مصرنا الخالدة ·

والملاحظ ان النظرات التى يضمها الكتاب الحالى هى نظرات تمجد العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة فى عصرنا الحالى ونحن على مشـارف القرن الواحد والعشرين · وذلك لاننى أومن ايمانا صادقا بأننا يجب (اقصــــد

اجهزة البحوث العلمية الاجتماعية وغيرها من المعاهد التى تهتم بالسلوك البشرى) أن ندرس واقع مجتمعنا فى ضوء تاريخه وفى ضوء علاقاته بالمجتمعات الاخرى النامية منها والصناعية منها على السواء . ولا يكفى القيام بذلك . بل يجب ان يكون هدف أهدافنا تنقية الغث من الثمين والحرص على هـذا الثمين لكى نبنى صرح حضارتنا المتميزة .

انى احيانا اذ اقرأ ما وصل اليه العالم الغربى فضلا عن العالم السوفيتى وعالم الولايات المتحدة ، أصاب بالدوار الفكرى (أن صح هـذا التعبير) لما تم تحقيقه من الوان الحضارة سواء أكان ذلك فى مجالات الفلك أم الطب ام العلوم الفيزيقية والكيميائية أم غيرها ، ومن اجل النجاح الباهر فى عمليات تطبيق هذه العلوم ونتائج كل ذلك على الانسانية فى الحاضر وفى المستقبل القريب وفى المستقبل البعيد .

صحيح ان بعض ما تحقق قد يؤدى الى الدمار النسبى ، وذلك لانه فى ضوء العلم الحديث لا شىء مطلق . فان ما يضر البعض قد ينفع البعض الآخر . وان ما تستخدمه فيما يصلح قد يستخدم فيما يفسد . والحق عند البعض هو باطل عند الآخرين . وباسم الحق قد ترتكب أو لا ترتكب افظع عناصر الدمار ، وباسم الباطل قد ترتكب أو لا ترتكب افظع عناصر الدمار . وحتى باسم القانون وباسم الدستور وباسم الوطنية نجد التشويه المختمر فى نفوس من ينادون ذلك بقصد تحقيق المصالح .

واننى ارى أن المصالح تصنع النوايا وان النـــــــوايا تصنع المواقف الاجتماعية وان المواقف الاجتماعية فى ضوء القيم (ذات الاهداف الحميدة أو غير الحميدة) تحدد انماط السلوك .

وفى ضوء التاريخ وضوء الواقع نلاحظ كل ذلك . والناس على تباينهم يفعلون ذلك . ويتبين من هذه الملاحظة ما نواجهه فى الوقت الراهن من معان عديدة لالفاظ التطرف والارهاب والعنف . فنجد ان كلا يختار المعنى الذى يوافق مصالحه سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم غيرها . ان الحملـة التى يشنها بلد تسود فيه مصالح المغتصب يرى أن الدفاع عن حقوق أعضاء المغتصب تطرف احيانا او ارهاب احيانا اخرى أو عنف احيانا ثالثة . أى أن المغتصبين لهم اغراض يسعون ليدركوها وكذلك الذين يغتصبون . والغلبة فى ضوء الواقع ، كما يبدو لى ، تكون للقوة المادية أو المعنوية .
ومهما يكن من الامر فان قيم الحق ذات الاهداف الحميدة ستغلب حتما

قيم الباطل ذات الاهداف غير الحميدة . وإذا بدا لنا الحق أصبح للقوة .. فالقوة انماط . وفى ضوء حقائق التاريخ نجد أنه بمرور الوقت أن قيم القوة تصبح بالضرورة لقيم الحق . والتاريخ خير معلم ، فلنستفد من دروسه ولنعمل فى سبيل تحقيق أهداف مجتمعنا المصرى ، أهداف مستقبله المشرق .

ولعل قارىء هذه النظرات أن يفيد منها ، فمن حقه على أن أحقق له ذلك . وذلك أننى اكتب لكى اقرأ . ومن قرأ ما أكتب هو فى حقيقة الامـــــر شريك فيما اكتبه . ومهما كانت معاناتى من أجل اخراجها الى النور فهى من أجل مصرنا الخالدة . فانا عشت فيها وبها ومن أجلها .

وبالله التوفيق ..

الكتاب الذهبى

رئيس مجلس الإدارة
عبد العزيز خميس

رئيس التحرير
عدلى فهيم

الإشراف الفنى : مارى ميخائيل

العنوان : القاهرة مؤسسة روز اليوسف
٨٩ أ شارع قصر العينى
ت : ٣٥٤٠٨٨٨ - ٣٥٤٠٨٨٧ - ٣٥٤٠٨٨٨
٣٥٤٧٨٥٦

مكتب الاسكندرية :
شارع كنيسة دبانة
ت : ٨٠٧٦٤٠ - ٨٠٩٢١١
٨٠٩١٣٤

المراسلات : باسم رئيس التحرير
الإعلانات : بالاتفاق مع الإدارة

رقم الايداع
١٧٧٠ / ٨٨

رقم الايداع
٨٨ / ١٧٧٠